

محمد ﷺ

كما ورد في

كتاب اليهود والنصارى



تأليف

البروفسور عبد الأحد داوود

(قسيس أرميا في إيران سابقاً)

محدث

كما ورد في

كتاب اليهود والنصارى

تأليف

البروفسور عبد الأحد داوود

(قسيس أورميا في إيران سابقاً)

ترجمة

محمد فاروق الزين

دار أبو القاسم للنشر والتوزيع

جدة - شارع الصحافة - أمام نادي الاتحاد الرياضي

هاتف ٠٢/٦٧١٤٧٩٣ - فاكس ٠٢/٦٧٢٥٥٢٣

ص.ب ٦١٥٦ - جدة ٢١٤٤٢

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

حقوق الطبع محفوظة

أذنت بطبعه إدارة المطبوعات بجدة

دار أبو القاسم للنشر والتوزيع

شارع الصحافة - أمام نادي الإتحاد الرياضي

ص.ب ٦١٥٦ جدة ٢١٤٤٢

جدة - المملكة العربية السعودية

هاتف ٦٧١٤٧٩٣ - فاكس ٦٧٢٥٥٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِينَ
يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ
إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ
آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف
الآية ١٥٧) .

مؤلف الكتاب

هو البروفيسور عبد الأحد داوود المسمى سابقاً (دافيد
بنجامين كلداني) عندما كان كاهناً كاثوليكياً من طائفة الكلدان
ويوجد نبذة عن حياته في مقدمة الكتاب . وقد أجاب المؤلف
عندما سئل عن سبب إسلامه قائلاً : إن السبب الوحيد لاعتناقي
الإسلام هو الهداية الإلهية التي كان ممكناً لولاها أن تقودني جميع
علومي وأبحاثي إلى الضلال . وإني في اللحظة التي آمنت بها بأن
(لا إله إلا الله) أصبح رسول الله محمد قدوة لي في سلوكي
وتصرفاتي .

نبذة عن حياة المؤلف أستاذ اللاهوت

البروفسور عبد الأحد داوود

عبد الأحد داوود هو كبير الكهنة (دافيد بنجامين كلداني) أستاذ اللاهوت وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدان . ولد عام ١٨٦٧ م قرب (أورميا Urmia) في إيران وتلقى فيها تعليمه الابتدائي .

وخلال الفترة من ١٨٨٦ إلى ١٨٨٩ عمل في جهاز التعليم ضمن بعثة رئيس أساقفة (كانتربري) التي كانت توجه النصارى الآشوريين (النساطرة) في أورميا . وفي عام ١٨٩٢ أرسله الكاردينال (فوجان Vaughan) إلى روما حيث تلقى تعليمه في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية (Propaganda Fide) ، ثم في عام ١٨٩٥ تم تعيينه كاهناً .

وخلال تلك الفترة اشترك في وضع سلسلة مقالات في مجلة (اللوحة The Tablet) حول موضوع (الآشورية، وروما، وكنتربري) وأيضاً في مجلة (السجل الإيرلندي The Irish Record) حول موضوع (صحة أسفار التوراة Pentateuch) . وله عدة ترجمات عن (السلام المريمي Ave Maria) بلغات عديدة نشرت في مجلة (الإرساليات الكاثوليكية المصورة) ، وعندما توقف في استانبول في طريق عودته إلى إيران ، ساهم في نشر سلسلة مقالات باللغتين الإنجليزية والفرنسية في الصحيفة اليومية (رائد المشرق The Levant Herald) حول موضوع (الكنائس الشرقية) . ولدى وصوله إلى أورميا في العام ١٨٩٥ انضم إلى بعثة (لازارست Lazarist) الفرنسية في أورميا ونشر لأول مرة في تاريخها منشورات دررية باللغة السريانية تدعى (صوت الحق) ، وفي عام ١٨٩٧ انتدبه كبار أساقفة طائفة الكلدان في (أورميا) و (سالماس) لتمثيل الكاثوليك الشرقيين في مؤتمر (القربان المقدس) الذي عقد في مدينة (باراي لو مونيال Paray-Le-Monial) في فرنسا برئاسة (الكاردينال پيرو Perraud) .

وقد نشر البحث الذي قدمه الأب بنجامين إلى المؤتمر في الحوليات التي كان يصدرها مؤتمر القربان المقدس تحت اسم (الحاج Le Pelerin) . وفي هذا البحث انتقد (كبير الكهنة الكلداني) (وهو لقبه الرسمي الجديد) نظام التعليم الكاثوليكي بين النساطرة وتوقع ظهور الكهنة الروس في أورميا في القريب العاجل .

وفي عام ١٨٩٨ عاد الأب بنجامين مرة أخرى إلى إيران حيث أقام في قرية (ديجبال) بسقط رأسه التي تبعد ميلاً واحداً عن المدينة وافتتح فيها مدرسة مجانية . وبعد عام واحد أرسلته السلطات الكنسية إلى (سالماس) كي يتولى مسؤولية الأسقفية فيها حيث كان الصراع حاداً بين رئيس الأساقفة (خوداباش) وبين الآباء اللازاريين مما كان يهدد بالإنشقاق والفضيحة . وفي أول يوم من أيام عام ١٩٠٠ ألقى الأب بنجامين موعظته التذكارية الأخيرة وصى بجمع كبير من الناس بما فيهم عدد من الأرمن غير الكاثوليك اجتمعوا في كاتدرائية (سانت جورج ، خوروفاباد) في سالماس وكان موضوع الموعظة (قرن جديد ورجال جدد) وقد ذكر فيها أن البعثات النسطورية قبل الإسلام كانت تنشر الأناجيل في جميع أنحاء آسيا وأنه كانت لهم عدة مؤسسات في الهند (خصوصاً في ساحل مالابار) وفي

بلاد التار والصين ومنغوليا وأنها ترجمت الأناجيل إلى لغة إينغور التركية وغيرها . ولكن في عصره جاءت البعثات الكاثوليكية الأمريكية والإنجليزية التي رغم أنها ساعدت أبناء الأمة الآشورية الكلدانية في التعليم الابتدائي لكنها سببت انقسام تلك الأمة القليلة العدد المبعثرة في أنحاء إيران وكردستان والعراق إلى طوائف متخصصة عديدة مما أدى إلى انهيارها الكامل ، ولذا فقد نصح الأب بنجامين الأهالي بأن يتحملوا التضحيات للإعتماد على أنفسهم كالرجال بدلاً من الإعتماد على البعثات الأجنبية .

كان الأب بنجامين محققاً ولكن أفكاره لم تكن في صالح البعثات وأسيادها لذا سارع المدرب البابوي في أوروبا المونسنيور (ليزنيه Lesne) بالحضور إلى (سالماس) لاستدعائه ، وقد عاد كلاهما إلى أورميا التي تأسست فيها بعثة روسية جديدة عام ١٨٩٩ وكان النساطرة يندفعون بحماس لاعتناق ديانة قيصر عموم روسيا.

وكانت هناك خمسة بعثات أجنبية كبرى تعمل في المنطقة هي : (الأميركية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية) تدعم كلاً منها مدارسها وصحافتها وجمعياتها الدينية النية والقناصل والسفراء وكانت كل من هذه البعثات تسعى لتحويل ما يقرب من مائة ألف كلداني آشوري من البدعة النسطورية إلى إحدى البدع الخمسة الأخرى .

وقد تفوت البعثة الروسية على بقية البعثات في استقطاب الأمة الآشورية الكلدانية لكنها قامت بتحريض تلك الأمة وتحريض القبائل الجبلية الكردستانية التي هاجرت إلى سهول سالماس وأورميا على حمل السلاح ضد حكوماتها عام ١٩١٥ . وكانت النتيجة أن هلك نصف هؤلاء السكان في الحرب وطرده الباقون من أراضيهم وممتلكاتهم .

وكان التساؤل الكبير الذي تفاعل لمدة طويلة في ذهن الأب بنجامين قد اقترب أخيراً من نهايته . هل يمكن أن تكون المسيحية بفرقها وأشكالها المتعددة وكتبها المتنوعة الخرفة ، هل يمكن أن تكون هذه ديانة الله الصحيحة .

وفي صيف العام (١٩٠٠) اعتزل كبير الكهنة في منزله الصغير وسط كروم العنب قرب نبع (شاليولاغي) المشهور في (ديجالا) وامضى شهراً كاملاً في الصلاة والتأمل بعيد قراءة الكتب المقدسة مرة بعد أخرى وفي النهاية قدم استقالته إلى رئيس الأساقفة في أورميا المونسنيور (توما عارود) وشرح فيها بصراحة أسباب تخليه عن وظيفته . وقد حاولت السلطات الكنسية مراراً أن تثنيه عن عزمه ولكن دون جدوى إذ لم تكن هناك حصومات شخصية بين الأب بنجامين ورؤسائه وإنما كان الأمر يتعلق بالقناعة الشخصية .

ولعدة شهور بعد ذلك عمل السيد عبدالأحد داورود - وهذا ما أصبح يدعى به الآن - في (تبريز) مفتشاً في البريد والجمارك الإيرانية ودخل بعد ذلك في خدمة ولي العهد (محمد علي مهدي) بوظيفة مدرس ومترجم . وفي عام ١٩٠٣ ذهب إلى بريطانيا وانضم إلى جماعة الموحدين (Unitarian Community) التي أرسلته عام ١٩٠٤ إلى إيران كي يقوم بمهمة التعليم والتوعية بين مواطنيه .

وفي طريقه إلى إيران توقف في إستانبول كمعاده حيث أجرى مناظرات عديدة مع شيخ الإسلام جمال الدين أفندي وغيره من علماء المسلمين واعتنق الإسلام على أثر ذلك .

المختصر

الصفحة

الموضوع

٩	تمهيد
١٥	مقدمة المؤلف
	القسم الأول : محمد كما ورد في العهد القديم
٢٧	الفصل الأول : سوف يأتي أحمد لكل الأمم
٣٣	الفصل الثاني : العهد وحق البكورية
٤٢	الفصل الثالث : لغز المصفا
٥٠	الفصل الرابع : محمد هو (الشايلوه)
٥٧	الفصل الخامس : محمد وقسطنطين الكبير
٦٦	الفصل السادس : محمد هو المقصود بلقب ابن الإنسان
٧٤	الفصل السابع : الملك داود يدعو (سيدي)
٨٣	الفصل الثامن : السيد ورسول العهد
٩١	الفصل التاسع : الأنبياء الحقيقيون ييشرون بالاسلام فقط
٩٩	الفصل العاشر : الإسلام مملكة الله في أرضه
	القسم الثاني محمد كما ورد في العهد الجديد
١١٠	الفصل الحادي عشر : الانسان والأحمديات التي أعلنتها الملائكة
١٢٠	الفصل الثاني عشر : "يودوكيا " تعني أحمد

- ١٣٢ الفصل الثالث عشر : يحيى المعمدان يعلن عن نبي قوي
- ١٤٢ الفصل الرابع عشر : محمد هو النبي الذي تنبأ به يحيى
- ١٤٩ الفصل الخامس عشر : معمدانية يحيى وعيسى
- الفصل السادس عشر : " صبغة الله " أو المعمودية " بالروح
القدس وبالنار "
- ١٥٧
- ١٦٤ الفصل السابع عشر : البرقليط ليس الروح القدس
- ١٧٥ الفصل الثامن عشر : البرقليطوس يعني أحمد
- ١٨٥ الفصل التاسع عشر : من هو ابن الانسان ؟
- ١٩٦ الفصل العشرون : محمد هو المقصود بلقب (ابن الإنسان)
- ٢٠٨ الفصل الواحد والعشرون : (ابن الإنسان) بحسب الرؤى اليهودية





في الجزيرة العربية كما جاء في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى

(وحي من جهة بلاد العرب) (سفر إشعيا ١٣/٢١)

يضم هذا الكتاب سلسلة من الدراسات الرائعة بقلم الأب البروفسور عبد الأحد داوود . وهي من العمق والأصالة بحيث أن فهمها قد يفوت الكثيرين ممن فيهم بعض رجال الكهنوت في الكنيسة المسيحية .

ومن المدهش أن هذا العالم قدم أبحاثه مستعيناً بالنصوص الآرامية والعبرية واللاتينية واليونانية في الوقت الذي يوجد فيه القلائل فقط حتى من بين رجال الكهنوت ممن يستطيعون فهم الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس (The Vulgate) المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية ، والقلائل أيضاً ممن يفهمون النص اليوناني الأصلي لكتب العهد الجديد .

ومهما كان تقويم مثل هذه الدراسات في نظر أعدائها فلا شك أن الكثيرين عاجزون عن تذوقها ، أضف إلى ذلك أن الغموض الذي يلازم تنبؤات الكتاب المقدس يجعلها مرنة بصورة كافية لكي تغطي تقريباً أي موضوع .

وهناك صعوبة كبرى تواجه الدارس ، فكيف يمكن للمرء أن يعتمد على بينة أو شهادة من كتاب كان باعتراف الجميع محشواً بالفلكلور ومشكوكاً في أصالته ! على أنه يمكن الاعتماد في المناقشة على أقسام من الكتاب المقدس التي لا تسمح بجدل لغوي . فمثلاً لنقرأ الكلمات الواردة في العهد القديم والموجهة إلى موسى

عليه السلام (سفر التثنية ١٨/١٨) كما وردت في نص النسخة المنقحة المعتمدة (RSV) التي نشرتها جمعية الكتاب المقدس البريطانية :

(أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه) .

(سفر التثنية ١٨/١٨) .

فإن لم تتحقق هذه النبوءة في محمد فإنها تبقى غير متحققة حتى الآن . أما عيسى المسيح فإنه لم يدع قط أنه النبي المشار إليه وكان الحواريون بعده يتطلعون إلى عودته مرة ثانية لكي تتحقق النبوءة^(١) ولكن الواضح أن عودة المسيح مرة ثانية لن تحقق النبوءة فالمسيح كما تؤمن به الكنيسة سوف يظهر كقاضٍ وليس كمشرّع بينما النبي الموعود هو الذي يجيء حاملاً (الشريعة المشعة بيده اليمنى) (سفر التثنية ٢/٣٣) .

وللتأكد من شخصية النبي الموعود نستند إلى النبوءة الأخرى المنسوبة إلى موسى والتي تتحدث عن (النور المشع ، القادم من فاران) وهي جبال مكة .

ولنقرأ النص في (سفر التثنية ٢/٣٣) الذي يذكر ما يلي :

(جاء نور الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ، والشريعة المشعة بيده اليمنى) ففي الكلمات شُبّه نور الرب بنور الشمس (إنه يأتي من سيناء ويشرق من ساعير) ولكنه تلألأ بالمجد من (فاران) حيث يظهر مع عشرة آلاف قديس ويحمل الشريعة بيده اليمنى ،

(١) قال موسى : (سيبعث الله من بين إخوتكم نبياً مثلي فاستمعوا إليه في جميع ما يقول لكم ، ومن لم يستمع لذلك النبي يُستأصل من الناس) . (مذكرات الرسل

٢٢/٣-٢٣) .

ولم تكن لأي من الإسرائيليين بما فيهم المسيح أية علاقة بـ (فاران) غير أن هاجر مع ولدها إسماعيل تحولوا في متاهات سيناء في بئر السبع وهم الذين سكنوا بعد ذلك في قفار (فاران) .

لقد تزوج إسماعيل امرأة مصرية ، (سفر التكوين ٢١/٢١) ومن ولده الأول قيدار انحدر أحفاده العرب الذين سكنوا قفار (فاران) وكان منهم محمد الذي دخل مكة مع عشرة آلاف قديس (مؤمن) وجاء بنور الشريعة إلى شعبه ، لقد تحققت تلك النبوءة في محمد حرفياً . . . لننظر أيضاً في النبوءة التي جاء بها النبي حبقوق (سفر حبقوق ٣/٣) وهي كما يلي :

(القديس من جبل فاران ، بحده غطى السماوات ، والأرض امتدأت بحمده) . إن كلمة (حَمْد) هنا ذات مغزى هام ذلك أن اسم (محمد) بالذات يعني حرفياً (الممدوح) وفوق هذا فإن العرب وهم سكان قفار (فاران) كانوا قد وعدوا أيضاً بنزول الوحي : (لترفع البرية ومدنها صوتهما ، الديار التي سكنها قيدار لتترنم ، سكان الجبال ليهتفوا ويمجدوا السيد ، وليعلنوا حمده في الجزر ، السيد سيخرج جباراً ، ويثير الحمية كرجل حرب ، ويهتف ويدوي ، وسيسيطر على أعدائه) (إشعيا ٤٢/١١-١٣) .

وهناك أيضاً نبوءتان مهمتان ، الأولى وردت في سفر إشعيا (١/٦٠-٢ ، ٦-٧) :

(انهض فقد جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك ، ها هي الظلمة تغطي الأرض والأمم ، أما عليك فيشرق نور الرب ويرى مجده عليك فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك ، تغطيكَ أعداد الجمال الكثيرة ، جمال مدين

وعيفة ، كلها تأتي من شيئا تحمل ذهباً وبخوراً ، كل غنم قيدار تجتمع إليك ،
وأكباش نبايوت تخدمك ، تصعد مقبولة على مذبحي ، وسوف أعظم بيت مجدي) .

والنبوءة الثانية أيضاً في سفر إشعيا (١٧-١٣/٢١) تقول : (وحي من
جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب ، تبيتين يا قوافل الددانيين ، هاتوا ماءً
لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء ، وافوا الهارب بخبزه ، فإنهم من أمام
السيوف قد هربوا ، ومن أمام القوس المشدودة ، ومن أمام شدة الحرب ، فإنه
هكذا قال الرب ، في مدة سنة (كسنة الأجير) ، يسقط كل مجد قيدار ، وبقيّة
الأقواس من أبطال بني قيدار تضمحل) .

ولنلاحظ الترابط المدهش بين هاتين النبوءتين وبين تلك التي وردت في سفر
التثنية عن (النور المشع القادم من فاران) .

لقد سكن إسماعيل في قفار (فاران) حيث ولد له قيدار وهو الجد الأكبر
للعرب ، وكتب على أولاد قيدار أن يأتيهم الوحي من الله وأن تقدم الأضاحي
تمجيداً لـ (بيت الله) حيث كان الظلام يلف الأرض لقرون عديدة ، كما كتب
على أحفاد قيدار ورماتهم وأبطالهم أن يضمحلوا خلال سنة واحدة بعد الهجرة
أمام السيف المسلول والقوس المشدود ، فهل هناك من يعنيه هذا الكلام غير
شخص واحد من (فاران) هو محمد ؟ . فمحمد هو من نسل إسماعيل وقيدار ،
ومحمد هو النبي الوحيد الذي تقبل العرب عن طريقه الوحي الإلهي عندما كان
الظلام يلف الأرض ، ومن خلاله شِعّ النور الإلهي في (فاران) ، ومكة هي البلد
الوحيد التي يعظم فيها بيت الله ، وفيها تقدم الأضاحي عند (بيت الله) لقد
اضطر محمد بعد أن اضطهده قومه للهجرة من مكة وانتابه العطش أثناء هربه من
السيوف المسلولة والأقواس المشدودة ، وبعد عام واحد من هجرته قابله أحفاد

قيدار من مكة في موقعة بدر وانهزم أحفاد قيدار (الذين يحملون الأقواس) ، ثم انحسرت كل أبحاثهم ، فإذا لم تقبل محمد على أنه النبي الذي تحققت فيه كل هذه النبوءات ، فإن ذلك يعني أن تلك النبوءات لم تتحقق بعد كما أن (بيت الرب الذي يمجّد اسمه فيه) والمشار إليه في سفر أشعيا (٧/٦٠) ، هو بيت الله الحرام في مكة وليس كنيسة المسيح كما يعتقد المفسرون المسيحيون ، إن أضحى قيدار كما هو مذكور في سفر أشعيا (٧/٦٠) لم تقدم على مذبح كنيسة المسيح كما أن أحفاد قيدار هم الوحيدون الذين لم يتأثروا بأية تعاليم من كنيسة المسيح ، وكذلك فإن قصة العشرة آلاف قديس في سفر التثنية (٢/٢٣) ذات مغزى هام ، لأن حادثة فتح مكة هي الوحيدة في تاريخ فاران التي حققت تلك القصة ، لقد دخل محمد مكة على رأس عشرة آلاف مؤمن من أتباعه لقد عاد إلى (بيت الله) وبيده اليمنى خاتمة الشرائع . إن (الهادي) أو (روح الحق) الذي بشر به المسيح لم يكن غير محمد ولا يمكن أن يكون (الروح القدس) كما تدعي النظريات اللاهوتية ، إذ يقول المسيح (إنه من المناسب لكم أن أرحل بعيداً ، لأنني إن لم أذهب بعيداً فإن الهادي لن يجيء إليكم ولكنني إذا رحلت فإنني مرسله إليكم) (إنجيل يوحنا ١٦/٧) مما يعني بوضوح أن (الهادي) يجب أن يجيء بعد المسيح وأنه لم يكن موجوداً معه فهل يمكن أن نفترض أن (المسيح) كان مجرداً من الروح القدس إذا كان مجيء الروح القدس مشروطاً بذهابه ؟ أضف لذلك أن الطريقة التي وصفه بها المسيح تدل على أنه إنسان من البشر وليس روحاً : (فهو لن يتكلم من ذاته ولكن سوف يتكلم بما يسمعه من الوحي) (يوحنا ١٦/٣) .

إن كلام المسيح يشير بوضوح إلى رسول من الله ، وهو يدعو (روح الحق) والقرآن يتحدث عن محمد بهذه الصفة تماماً فيقول : ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة الصافات ، الآية ٣٧) .



مقدمة المؤلف

سوف أبتين من خلال هذا البحث والفصول التي تليه أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الصحيحة تماماً وأنها متفقة وتعاليم الكتاب المقدس وخاصة فيما يتعلق بالذات الإلهية وبخاتم رسل الله .

وسأكرس هذا البحث لمناقشة النقطة الأولى ، وفي الفصول التي سوف تلي أبرهن أن محمد هو الهدف الحقيقي (للعهد) ، وأن نبوءات العهدين القديم والجديد قد تحققت فيه وحده دون غيره فعلياً وحرفياً .

وبودي الإيضاح أن الآراء المطروحة في هذا البحث وما يتبعه من فصول هي آراء شخصية بحثة أتحمل مسؤوليتها وحدي كما أتحمل مسؤولية أبحاثي في الأسفار العبرية المقدسة ، وفي نفس الوقت لا أدعي أنني حجة في شرح تعاليم الاسلام .

كما لا أنوي ولا أرغب في إيذاء مشاعر أصدقائي النصارى ، فأنا أحب المسيح وموسى وإبراهيم كما أحب محمد ، وكافة أنبياء الله الآخرين . قال تعالى :

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية : ٨٤) .

وليس الغرض من كتابتي هذه إثارة الجدل العقيم مع الكنائس دون جدوى ولكنني أدعوا الكنائس إلى بحث وديّ ولطيف لهذه المواضيع البالغة الأهمية بروح من المحبة والموضوعية ، ولا شك أنه عندما يتخلى النصارى عن محاولتهم العقيدة

لتعريف جوهر الكائن الأعظم ويعترفوا بوحدانيته المطلقة ، فإنه يمكن عندئذ تحقيق الوحدة بينهم وبين المسلمين كما تصبح نقاط الخلاف الأخرى بين الديانتين قابلة للتسوية بسهولة .

صفات الله سبحانه وتعالى :

هناك نقطتا خلاف أساسيتان بين الاسلام والنصرانية جديرتان بالبحث سعياً وراء الحقيقة والسلام الشامل . وبما أن كل من الديانتين ترجع بأصلها إلى مصدر واحد فيرتب على ذلك أن لا يكون هنالك أية خلاف بينهما . فكل من هذين الدينين العظيمين يؤمن بوجود الله وبالعهد الذي أبرم بين الله ونبيه إبراهيم ، ولذا يجب التوصل إلى اتفاق نهائي حول هاتين النقطتين بين الأتباع الأذكياء العاقلين للديانتين ، النقطة الأولى هل المفروض أن نعتقد بتعدد الآلهة أو بإله واحد لا إله غيره ، والنقطة الثانية من من الإثنين : عيسى أو محمد هو المقصود بالعهد الإلهي Divine Covenant ؟ لابد من التوصل إلى إجابة نهائية قاطعة على هذين السؤالين .

أولاً : من العبث محاولة تفنيد آراء الذين يفترضون بدافع من جهل أو خبث أن إله الإسلام يختلف عن الإله الحقيقي أو أنه مجرد إله خرافي ابتدعه (محمد) ولو عرف القساوسة واللاهوتيون النصارى كتبهم المقدسة بلغتها الأصلية العبرية أو الآرامية بدلاً من التراجم (كما يعرف المسلمون قرآنهم بنصه العربي الأصلي) ، لتضح لهم أن الله هو نفس الاسم السامي القديم للكائن الأعلى الذي بعث آدم وجميع الرسل من بعده .

إن الله تعالى هو الكائن الوحيد الموجود بذاته الموجود في كل مكان والمحيط بكل شيء وهو منبع جميع أنماط الحياة والمعرفة والقوة وهو الخالق الأوحد المنظم

والمسير لهذا الكون . أما جوهر الألوهية وطبيعتها فهو فوق إدراك البشر وإن كل محاولة لتعريف جوهر الله ليست عقيمة فحسب بل ضارة بالعبادة والإيمان ولا بُدَّ أن تقود إلى الضلال .

مع ذلك فقد استنزفت النصرانية التثليثية تفكير قديسيها وفلاسفتها لمدة تناهز السبعة عشر قرناً بحثاً عن تعريف لجوهر الإله وشخصه فما الذي توصلوا إليه . لقد فرض أتباع أثناسيوس وأوغسطين وتوماس الأكويني على النصارى ، تحت طائلة اللعنة الأبدية ، الإيمان بالتثليث وأن الله (ثالث ثلاثة) وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة المائدة الآية/ ٧٣) .

وقد امتنع جمهرة علماء المسلمين عن محاولة تعريف جوهر الألوهية لأنه يفوق كافة الصفات التي يمكن تعريفه بها . إن الله أسماء عديدة تتصل بصفاته وتشتق من تجلياته المتعددة في هذا الكون الذي أبدعه وحده . وإننا ندعو الله بأسماء (القدير) ، (الباقي) ، (الحي) ، (القيوم) ، (العليم) ، (الرحيم) ، وغيرها ، لأن صفات البقاء ، والحياة ، والقيومية ، والعلم الشامل ، والرحمة ، تنبثق منه وتختص به وحده بشكل مطلق ، هو وحده الذي لا حدود لعلمه وقدرته وبقائه ورحمته لأنه منه وحده تنبثق تلك الصفات .

أما عندما نعزو بعض تلك الصفات إلى أحد بني البشر فإن ذلك يكون نسبياً بالمقارنة مع غيره من الناس ولا يختص به وحده وإن كل فعل من الأفعال الإلهية

يعتبر أحد التحليات والصفات الخاصة بالله تعالى ولكنه ليس جوهره ، أما النصارى فيخلطون الصفات الإلهية بجوهر الألوهية إذ يجعلون الخالق أباً إلهياً وكلمته ابناً إلهياً وبما أنه نفخ الروح في مخلوقاته فإنه يُلقب بالروح القدس ، وينسون أنه من الناحية المنطقية لا يمكن أن يكون الله أباً قبل الخلق ، ولا ابناً قبل أن يتكلم ، ولا الروح القدس قبل أن يعطي الحياة . إننا ندرك صفات الله من أعماله بعد أن دلت عليها مخلوقاته ولكن ليس لدينا الإدراك المسبق لصفاته سلفاً قبل حدوث أعماله . إن الله تعالى لم يكشف لنا عن طبيعة وجوده في الكتب المنزلة ولا مكنّ العقل البشري من إدراك ذلك .

إن صفات الله تعالى ليست شخصيات مميزة مستقلة مؤهلة إذ لو كان الأمر كذلك لما اقتصر الحال على ثلوث من الأشخاص بل لكان هناك عشرات الثوالبث ولذلك نستطيع أن نقول مثلاً إن الله رحيم ولكننا لا نستطيع أن نقول بأن الله هو الرحمة ، لأن الرحمة ليست هي الله ولكنها عمله وفعله . ولهذا السبب فإن القرآن دائماً ينسب إلى الله صفاتاً مثل : حكيم ، رحيم ، عليم ، ولكنه لا يسميه مطلقاً بألقاب : (الله محبة ، ومعرفة ، وكلمة) وما إلى ذلك ، وقد زعموا أن كلمة الله هي شخصية إلهية قائمة بذاتها في حين أن كلمة الله ليس لها أي مدلول آخر سوى التعبير عن علمه ومشيئته ، والقرآن يُدعى كلام الله ، وتطلق التسمية ذاتها على عيسى في القرآن إذ يقول ﴿ كَلِمَةً مِنْهُ ﴾ (سورة آل عمران جزء من الآية / ٤٥) ولكن من الضلال البعيد أن نعتبر كلمة الله شخصية قائمة بذاتها وأنها اكتست باللحم ثم تجسدت في شكل رجل من الناصرة أو على صورة كتاب سمي الأول (عيسى المسيح) وسمي الثاني (القرآن) .

وكثيراً ما دحض الكتاب الموحدون الأوائل العبارة الأولى من إنجيل يوحنا وجعلوا قراءتها الصحيحة كما يلي : (في البدء كانت الكلمة ، وكانت الكلمة مع الله ، وكانت الكلمة كلمة الله The word was God's) غير أن كلمة (God's) بمعنى كلمة الله (التي تعادل باليونانية Theou) قد جرى تحريفها إلى (Theos) أي الله . ويلاحظ من عبارة (في البدء كانت الكلمة) ^(٢) أن الكلمة

(٢) نشأ حول موضوع الكلمة (لوجوس Logos) جدل حامي الوطيس بين " آباء " الكنيسة الأوائل في القرن الثاني الميلادي وانتهى بالقضاء على الموحدين قضاءً مبرماً وإتلاف كتبهم حتى لم تكد تبقى أية قطعة سليمة غير محرفة من الأناجيل والتفاسير ولا من كتابات الموحدين سوى ما ورد عنهم في كتابات خصومهم مثل الأب اليوناني (فوتيوس) ومن سبقوه . وكتابات القديس (أفرايم السوري) وهو من أبرز آباء الكنيسة الشرقية وقد ألف عدة كتب منها تفسير الكتاب المقدس الذي نشر بالسريانية واللاتينية ، وقد قرأت الطبعة اللاتينية بعناية في روما . وله أيضاً مواعظ ورسائل اسمها (المدراسي) وكذلك (ضد الهرطقة) إلخ .. وبالمقابل هناك المؤلف السوري المشهور (بارديسان) الذي إزدهرت كتاباته في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي ولكن لم يبق من كتاباته السريانية إلا ما اقتبسه إفرايم ويعقوب النصي (نسبة إلى نصيين) والنساطرة واليعاقبة الآخرون وذلك من أجل دحضها وتفنيدها وما استخدمه الآباء اليونانيين في لغتهم . وقد أكد (بارديسان) على أن يسوع المسيح (كان قاعدة لمعبد كلمة الله) ولكن المسيح والكلمة مخلوقان . ويقول القديس إفرايم ما يلي في تفنيد ما يدعي أنه هرطقة بارديسان :

(ويل لك أيها التعس يا بارديسان)

(فإنك تقرأ بأن الكلمة كانت كلمة الله)

(ولكن الإنجيل لم يكتب مثل ذلك)

(سوى أن الكلمة هي الله)

لم تكن موجودة قبل البدء . ولا يقصد بـ (كلمة الله) أنها كيان مستقل ومميز متعايش مع الله ولكنها تعبير عن علمه ومشيئته تعالى عندما قال : ﴿ كُنْ ﴾ فكان . وعندما يشاء الله أن يخلق تكفي منه كلمة الأمر ﴿ كُنْ ﴾ .

ومن عجب أن صيغة الافتتاح النصرانية (باسم الأب والابن والروح القدس) لا يذكر فيها اسم الله أصلاً وتعتبر هي الإله النصراني . في حين أن الصيغة القرآنية (بسم الله الرحمن الرحيم) هي على النقيض تماماً من الصيغة الوثنية وهي تعبير عن أساس الحقيقة الإسلامية .

ولا يمكن اعتبار التثليث عند النصارى مفهوماً صحيحاً للإله ، لأنه يقر بتعدد الأشخاص الألوهية معتبراً كلاً منهم شخصية مميزة وبشكل مشابه لأعضاء العائلة الواحدة كما هي الحال في الأساطير الوثنية . فالله ليس أباً لابن ، كما أنه ليس ابناً لأب وليس له أم ، وهو أزلي لا أول ولا آخر له ، والاعتقاد بالله الأب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، هو كفرٌ صريح بوحدانية الله وإقرار متطاول بثلاثة كائنات ناقصة لا يمكن أن تكون إلهاً حقيقياً سواء كانت منفصلة أو متحدة معاً .

ونحن نعلم من الرياضيات أن الوحدة ليست أكثر ولا أقل من واحد وأن واحداً لا يمكن أن يساوي واحداً + واحداً + واحداً ، وبعبارة أخرى فإنه لا يمكن

= وفي جميع المجادلات حول (الكلمة) ، يوصمُ الموحدون بأنهم (هراطقة) أي كفرة لأنهم أنكروا الاعتقاد بالأزلية والشخصية المستقلة للكلمة ! وبالمقابل كان النصارى الموحدون يوجهون تهم الكفر والهرطقة إلى القائلين بالتثليث ويعيرونهم بأنهم حرفوا الكتاب المقدس .

أن يكون الواحد مساوياً لثلاثة ، لأن الواحد هو ثلث الثلاثة . وقياساً على ذلك فإن الواحد لا يساوي الثلث . والثلاثة لا تساوي واحداً ، كما أنه لا يمكن للثلث أن يساوي الوحدة . فالوحدة هي أساس النظام العددي وأن جميع الأرقام هي حاصل جمع الوحدة .

والذين يدعون وحدانية الله في ثلوث من الأشخاص إنما يقولون إن كلاً منهم هو (إله قدير ، موجود ، دائم ، أزلي ، وكامل . لكنه لا يوجد ثلاثة آلهة قديرين ، وموجودين ، ودائمين ، وأزليين ، وكاملين ، ولكنه إله واحد قدير) والمغالطة أو السفسطة واضحة في هذا المنطق .

إن (اللغز) الذي تقدمه الكنائس يتلخص بالمعادلة التالية :

$$\text{إله واحد} = \text{إله واحد} + \text{إله واحد} + \text{إله واحد}$$

إذاً : إله واحد = ثلاثة آلهة .

أولاً : لا يمكن لإله واحد أن يساوي ثلاثة آلهة ، بل يساوي واحداً منها فقط .

ثانياً : عندما تُسلم بأن كل شخص إله كامل مثل صاحبه فإن الاستنتاج بأن $1 = 1 + 1 + 1$ ليس فقط ضرب من البطلان بل مبالغة في العجرفة أو هو منتهى الجبن ، فمن العجرفة محاولة إثبات حل خاطيء لمسألة ما بعملية زائفة ، ومن جهة أخرى تنقصك الشجاعة لتعترف بإيمانك بآلهة ثلاثة .

يضاف إلى ذلك أننا جميعاً - مسلمين ونصارى - نؤمن بأن الله دائم الحضور والوجود فهو يحيط بكل شيء . فهل يعقل أن ينطبق ذلك

على كل من الأشخاص الثلاثة ، أو أن واحداً منهم فقط هو الذي يحيط بالكون في وقت واحد ؟ .. إن الألوهية صفة لإله واحد وهي ليست قابلة للتعدد .

ثم يقال لنا إن لكل شخص في الثالوث صفات لا تنطبق على الإثنين الآخرين . فهناك أسبقية في الترتيب ، إذ الأب يحظى بالمرتبة الأولى دوماً ويتبعه الابن ، أما الروح القدس فيأتي في المرتبة الثالثة كما إنه أقل درجة من أولئك الذين انبثق منهم . ألا يعتبر ذنباً أو هرطقة عند النصارى إذا ما أعيد ذكر الثالوث بترتيب معكوس وصار على النحو التالي : باسم الروح القدس ، والابن ، والأب ؟ لأنها إذا كانت متساوية تماماً فإنه لا داعي للحرص على الترتيب بأسبقية معينة . ومع ذلك فإن المجالس الكنسية والباباوات أدانت العقيدة السابيلية (Sabelian) التي أصرت على أن الله واحد ولكنه يتجلى كأب أو كابن أو كروح قدس رغم أنه نفس الشخص ، وبالطبع فإن الدين الاسلامي لا يقبل الآراء السابيلية .

والحقيقة أنه لا توجد عندهم مساواة مطلقة بين أشخاص الثالوث ، فلو كان الأب مساو للابن أو للروح القدس بكل معنى الكلمة كما هو الرقم (١) مساو للرقم (١) فسيكون بالضرورة شخص واحد فقط في الإله وليس ثلاثة لأن الوحدة لا يمكن أن تكون كسراً أو مضاعفاً لذاتها . إن الفروقات التي يُسلم بوجودها بين أشخاص الثالوث لا تترك أي شك في عدم المساواة ، فالأب يلد وليس بمولود ، والابن مولود وليس بوالد ، والروح القدس منبثق عن الشخصين الآخرين . الأول يوصف بأنه (خالق ومهلك) والثاني بأنه (مخلص أو فادٍ) والثالث بأنه (واهب الحياة) ، ولذا فإنه لا يمكن لأي من الثلاثة أن يكون وحده (الخالق والفادي وواهب الحياة) ، ثم يقال بأن الثاني هو كلمة الأول وأن الثاني يصبح إنساناً ثم يُضحى به على الصليب إرضاءً لعدالة والده وبأن تجسده وقيامته تتمان بواسطة الشخص الثالث .

والخلاصة : إنني ألفت نظر النصارى بأنهم ما لم يؤمنوا بوحداية الله المطلقة وينبذوا الاعتقاد بالأشخاص الثلاثة فإنهم يكفرون بالإله الحقيقي وهم في الواقع مشركون كالوثنيين مع فارق واحد ، وهو أن الآلهة التي يعبدونها الوثني وهمية ، بينما الآلهة الثلاثة للكنائس ذات طابع خاص ، فالأب هو الإله الحقيقي الوحيد أما الابن فهو عبد الله ورسوله أما الشخص الثالث وهو الروح القدس فهو واحد من الأرواح التي لا يحصيها عدّ والتي تعمل في خدمة الله .

لقد استخدم العهد القديم الأب كلقب من ألقاب الله تعالى لأنه الخالق الرحمن الرحيم ، ولكن الكنائس أساءت استعمال اللفظ مما جعل القرآن يعرض عن استخدامه .

وإن العهد القديم والقرآن يدينان نظرية التثليث ، أما العهد الجديد فلا يؤيدها بصراحة ولا يدافع عنها ، ولكن حتى لو احتوى على إشارة عن التثليث فذلك ليس بحجة لأن المسيح لم يشاهد العهد الجديد ولم يكتبه ولم يتكلم به ، فالعهد الجديد لم يوجد في شكله ومضمونه الحالي طيلة القرنين اللذين^(٣) جاءا من بعده .

والجدير بالذكر أن الكنائس الموحدة في الشرق عارضت التثليث ثم اتبعت رسول الله العظيم عندما شاهدت الدمار الكامل (للوحش الرابع) على يديه . إن الشيطان الذي كلّم حواء من فم الأفعى قد تفوه بعبارات الكفر ضدّ الله تعالى عبر فم القرن الصغير الذي نبت مع القرون العشرة على رأس الوحش الرابع (سفر دانيال الفصل الثامن) . وهذا الشيطان لم يكن سوى (قسطنطين الكبير) الذي

(٣) في العهد الجديد إشارة واحدة فقط عن التثليث وردت في رسالة يوحنا الأولى بالفقرة ٧ من الفصل الخامس وقد تم حذف هذه الفقرة من الطبعة المنقحة المعتمدة

أعلن عقيدة (المجمع المسكوني) في نيقية عام ٣٢٥م بصورة رسمية وبعنف رهيب،
وأما (محمد) فقد حطّم إبليس إلى الأبد في الأرض الموعودة وأقام دين الله دين
الاسلام ..

عبد الأحد داوود .



القسم الأول

" محمد ﷺ كما جاء في العهد القديم "

الفصل الأول

سوف يأتي أحد لكل الأمم

(سفر حجّي ٧/٢)

سقطت مملكة إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس الحالية) بيد الآشوريين عام (٧٢١ ق.م) وتم نفي سكانها من بقايا أسباط إسرائيل العشرة إلى بلاد الآشوريين ثم بعد ذلك بأقل من قرن ونصف (٥٨٦ ق.م) سقطت مملكة يهوذا وعاصمتها القدس بيد الكلدانيين بقيادة نبوخذ نصر وتم تدمير معبد سليمان تدميراً تاماً وأعمل القتل في سلالة سبطي يهوذا وبنيامين اللذين كانوا يشكلون مملكة يهوذا ونفي من سلم منهم إلى بلاد بابل حيث بقوا في المنفى حتى سيطر قورش ملك الفرس على بابل عام (٥٣٨ ق.م) وسُمح لليهود بالعودة إلى فلسطين كما سمح لهم بإعادة بناء القدس والهيكل .

وعندما وضعت الأساسات لبناء المعبد الجديد ارتفعت صيحات الفرح بين اليهود ، بينما استولى النحيب والبكاء المرير على كبار السن الذين سبق أن شاهدوا معبد سليمان قبل تدميره . وفي تلك المناسبة بعث الله النبي (حجّي) ليعزي المجتمعين بهذه الرسالة الهامة :

(وسوف أزل كل الأمم ، وسوف يأتي (جِئْه) لكل الأمم ، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد ، كذلك قال رب الجموع ، لي الفضة ولي الذهب هكذا قال رب الجموع ، وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول ، هكذا

قال رب الجموع ، وفي هذا المكان أعطى الـ (شالوم) ، هكذا قال رب الجموع (سفر حجي ٩/٧-٩) .

وقد ترجمتُ هذه الفقرة من النسخة الوحيدة من الكتاب المقدس التي كانت تحت تصرفي باللغة المحلية والتي أعارتني إياها ابنة عمي الآشورية ، وبالمقارنة مع ذلك نلاحظ أن الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس ترجمت الكلمتين العبريتين (حِمْدَه) و (شالوم) إلى (الأمانة) و (السلام) على التوالي .

لقد أعطى المعلقون اليهود والنصارى أهمية قصوى للوعد المزدوج الذي احتوته النبوءة المذكورة آنفاً ، وكلاهما يفهمون من كلمة (حِمْدَه) نبوءة مسيحية Messianic . فلو فسّرت هذه النبوءة بالمعنى المجرد لكلمتي (حِمْدَه) و (شالوم) على أنهما (الأمانة) و (السلام) لأصبحت النبوءة لا شيء سوى آمانيات مبهمّة غير ذات مغزى ، ولكن لو فهمنا من كلمة (حِمْدَه) أنها شخصية حقيقية ومن كلمة (شالوم) أنها ديانة منزلة وقوة فعالة ، عندئذ تصبح هذه النبوءة صادقة ومتحققة في شخصية أحمد ودين الإسلام ، ذلك لأن كلمتي (حِمْدَه) و (شالوم) تؤديان بدقة معنى كلمتي (أحمد) و (الإسلام) .

ومن المفيد قبل إثبات تحقق هذه النبوءة في (أحمد) و (الإسلام) إيضاح أصول هاتين الكلمتين :

١ - لنأخذ كلمة (حِمْدَه) : يُقرأ النص باللغة العبرية الأصلية هكذا (في يافو حِمْدَه كُول هاجُويم) مما يعني حرفياً : (وسوف يأتي حِمْدَه لكل الأمم) والكلمة مأخوذة من اللغة العبرية القديمة أو الآرامية وأصلها (حِمْدُ) وتُلفظ بدون التسكين (حِمِْدُ) مما يعني في العبرية (الأمانة الكبيرة) أو (المشتهى)

أو ما يتوق إليه المرء . وفي اللغة العربية يأتي الفعل (حَمَدَ) من جذر الكلمة نفسها (ح م د) بمعنى الإطراء والمديح .

ومن هنالك أكثر استحقاقاً للمديح من الشخص الذي يُتّاق إليه ويُرغب فيه؟
ومهما كانت المعاني المشتقة من جذر الكلمة تبقى الحقيقة الحاسمة التي لا جدال فيها وهي أن كلمة (أحمد) هي الصيغة العربية لكلمة (حَمَدَه) .

وفي قوله تعالى في سورة الصف الآية السادسة : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ . . ﴾ وفي إنجيل يوحنا الذي كتب باليونانية ورد اسم (باراكليتوس Paracletos) وهو صيغة غير معروفة في الأدب الأغريقي ولكن كلمة (بيريكليتوس Periklytos) هي التي توافق وتطابق تماماً اسم (أحمد) في معناه ومغزاه ولا بد أنها كانت الترجمة اليونانية الأصلية لكلمة (حَمَدَه) الآرامية كما لفظها عيسى المسيح .

ب - أما أصل كلمة (شالوم) و (شلاما) بالعبرية (وفي العربية (سلام) و (إسلام) فلا حاجة لأن أثقل على القارئ بتفاصيل لغوية ، لأن أي متخصص في اللغات السامية يعرف أن كلمتي (شالوم) و (إسلام) مشتقتان من أصل واحد وكلاهما تؤديان معنى السلام أو الاستسلام .

ونستشهد بنبوءة أخرى من سفر (ملاخي) وهو الكتاب الأخير في العهد القديم :

(سوف أرسل رسولي فيمهد الطريق أمامي ، وفجأة سوف يأتي إلى هيكله السيد الذي تطلبونه ، رسول العهد الذي تُسرون به ، إنه سوف يأتي . هكذا قال رب الجموع) (سفر ملاخي ١/٣) .

ولنقارن بين هذا الوحي الغامض وبين قوله تعالى في الآية (١) من سورة الاسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

مما يعني أن الشخص القادم فجأة إلى الهيكل حسب سفر حجي وسفر ملاخي هو محمد وليس المسيح وإليك الأدلة على ذلك :

١ - إن العلاقة والتشابه بين كلمتي (حِمْدَه) و (أحمد) وبين جذر الكلمة (ح م د) التي اشتقا منها لا يترك أدنى شك بأن الفاعل في عبارة (وسوف يأتي حِمْدَه لكل الأمم) إنما هو (أحمد) أي (محمد) كما أنه لا يوجد أدنى صلة في الأصل السامي بين كلمة (حِمْدُ) وبين أسماء عيسى مثل (يسوع أو المسيح أو عيسى أو المُخَلَّص) حتى ولا في أي حرف من حروفها .

٢ - حتى لو قال بعضهم أن الجذر العبري (ح م د هـ) (يقرأ حِمْدَه) هو اسم اعتباري معناه : أمنية ، أو مُشتهى ، أو مدح فإن ذلك يؤيد ما نقول لأن الصيغة العبرية في أصلها متطابقة تماماً مع الصيغة العربية . وأياً من المعاني تختار لكلمة (ح م د هـ) فإن صلتها بـ (أحمد) قاطعة ، ولا علاقة لها بـ (عيسى) .

ولو حافظ القديس جيروم (ومؤلفو النسخة السبعينية قبله) على الصيغة العبرية لكلمة (ح م د هـ) بدلاً من استخدام الكلمة اللاتينية Cupiditas، أو الكلمة الاغريقية Euthymia لكان من المحتمل أن يحتفظ بها أيضاً مترجمو الملك جيمس الأول الذين أنجزوا الترجمة المجازة " Authorized Version " ولاحتفظت بها أيضاً جمعية الإنجيل في الترجمة إلى اللغات الإسلامية .

٣ - لقد أعاد هيرودرس الكبير ترميم وبناء معبد (زوروبابل) الذي قدر له أن يكون أعظم مجدداً من هيكل سليمان لأن (ملاخي) تنبأ بأن الرسول العظيم أو رسول العهد أي (السيد) أو سيد الرسل سيزوره فجأة ، وهذا ما حصل فعلاً عندما زاره (محمد) في رحلة الليل المعجزة المذكورة في القرآن الكريم في سورة الاسراء .

وقد زار (عيسى) أيضاً المعبد مرات عديدة ومع ذلك فإن الأناجيل التي سجلت زيارات ومواظم المسيح في المعبد لم تذكر هداية شخص واحد بين مستمعيه بل روت أن جميع زيارته كانت تنتهي بالجدل والنقاش المرير مع الكهنة والفريسيين .

ولو كانت نبوءة حجّي (وفي هذا المكان أعطي الشالوم) تشير إلى السلام فيجب أن نذكر أن عيسى لم يجلب السلام إلى العالم فهو قد صرح بهذا متعمداً (إنجيل متى ١٠/٣٤) ، كما أنه تنبأ بالخراب الكامل للمعبد (متى ٢٤/٢ ومرقس ١٣/٢ ولوقا ٢١/٦) الأمر الذي تحقق بعد أربعين عاماً تقريباً على أيدي الرومان عندما تم تشتيت اليهود بصورة نهائية .

٤ - لقد أسري بمحمد (وهو صيغة أخرى لاسم (أحمد) ومن نفس المصدر والجذر) من مكة إلى بيت المقدس حيث زار البقعة المقدسة عند بقايا المسجد كما نصّ القرآن الكريم ، وهناك أدى الصلاة بحضور جميع الأنبياء وقد بارك الله تعالى حول المسجد الأقصى وأطلع آخر أنبيائه على آياته كما ورد في سورة الأسراء .

وإذا أمكن لموسى وإلياس أن يظهرهما بحضورهما الجسدي على (جبل التجلي) فقد أمكن لهما ولألوف الأنبياء عليهم السلام أن يظهرُوا حول الهيكل في بيت المقدس خلال (الحضور المفاجيء) لمحمد إلى (مسجده) (سفر ملاخي ١/٣) عندما عززه الله بالمجد (سفر حجي ٢/٧-٩) .

لقد اختارت السيدة آمنة بنت وهب أرملة عبد الله بن عبد المطلب لولدها اليتيم أول اسم علم في تاريخ البشرية (محمد) أو (أحمد) وهذا بحسب اعتقادي المتواضع أعظم معجزة لصالح الاسلام .

وقد أعاد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بناء المسجد العظيم الذي ما زال باقياً في القدس وسوف يبقى حتى نهاية العالم دليلاً على صِدْق العهد الذي عقده الله تعالى مع إبراهيم وإسماعيل . (سفر التكوين ١٥/١٦-١٧) .



الفصل الثاني

العهد وحق البكورية

هناك نزاع ديني قديم جداً بين بني إسماعيل وبني إسرائيل حول أحقية الابن البكر في وراثة أبيه . والذين قرأوا الكتاب المقدس والقرآن الكريم يعرفون جيداً سيرة النبي العظيم إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحاق وذريته حتى موت حفيده (يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) في مصر ، (سفر التكوين الفصل ١١-٤٩) .

وبحسب ما يدعيه سفر التكوين فإن إبراهيم هو العشرين بعد آدم عليه السلام من ناحية السلالة ، وقد عاصر النمرود الذي بنى برج بابل الشهير .

كانت بداية بعثة إبراهيم في أور كلدان وقد أورد سيرته المؤرخ اليهودي المشهور (يوسف فلافيوس) في كتابه المسمى (العصور القديمة Antiquities) وقصته أيضاً واردة في القرآن الكريم . كان (آزر) أبو إبراهيم يعبد الأصنام ، في حين كان إبراهيم مؤمناً بالله وقد دخل مرة إلى المعبد وحطم الأصنام وبذلك كان النموذج الأول لحفيده محمد ﷺ ، وقد انتقم منه النمرود بأن ألقاه في النار ولكنه نجا منها سالماً منتصراً بمعجزة إلهية ، غادر بعدها وطنه إلى حران ومعه أبوه وابن أخيه لوط ، وعندما بلغ الخامسة والسبعين من عمره توفي أبوه في حران ، وبعدها انطلق إبراهيم برحلة طويلة نحو أرض كنعان ثم مصر ثم شبه الجزيرة العربية استجابة للدعوة الإلهية .

كانت زوجته سارة عاقراً ولكن الله بشره بأنه سوف يصبح أباً لأمم عديدة وأن ذريته سوف ترث كل البلاد التي يجتازها وسوف تكون مباركة (سفر التكوين ١٢/٢-٣) وعندما نظر إلى السماء ليلاً أوحى إليه أن ذريته سوف تصبح كعدد النجوم وكعدد حبات الرمل على شواطئ البحار . وتقبل إبراهيم ذلك الوعد الإلهي الفريد العظيم في تاريخ الأديان بإيمان لا يتزعزع رغم أنه لم يكن له ذرية حتى ذلك الحين .

كانت أمته (هاجر) فتاة مصرية فاضلة تعمل في خدمة سيدتها سارة ، وقد زوّجتها سارة لإبراهيم وهو في السادسة والثمانين من عمره رغبة في الذرية وبالفعل ولدت له إسماعيل . وعندما بلغ إسماعيل الثالثة عشرة من عمره تكرر الوحي إلى إبراهيم وتكرر وعد الذرية وتقررت شعيرة الختان ، وكان إبراهيم في التاسعة والتسعين من العمر حينما جرى ختان ولده الوحيد إسماعيل وكافة الخدم الذكور في بيته . وكأنما كان ذلك نوعاً من الموائيق بين الله وإبراهيم فقد كان إبراهيم مؤمناً متفانياً تقياً فوعده الله أن يحمي إسماعيل وذريته التي سترث الأرض الموعودة . ثم أنه عندما بلغ إبراهيم مائة عام من العمر وبلغت زوجته سارة التسعين أنجبت ولداً أسمياه إسحاق لكي يتم أمر الله ووعده .

ويذكر سفر التكوين الذي لم يتقيد بالتسلسل الزمني للأحداث أن إبراهيم طرد إسماعيل وأمه هاجر بطريقة غاية في القسوة تنفيذاً لرغبة سارة ^(١) بعد ولادة

(١) عند المسلمين أن هاجر وإسماعيل هاجرا إلى مكة تنفيذاً للوحي الذي تلقاه إبراهيم ولا علاقة لذلك برغبة سارة ، ذلك أن الخطة الإلهية اقتضت انتقال النبوة إلى سلالة إسماعيل بعد أن يرفض اليهود آخر أنبيائهم عيسى عليه السلام .

إسحاق (التكوين ١٠/٢١) . ثم تاه إسماعيل وأمه في الصحراء وأوشكا على الموت عطشاً لولا أن تفجرت عين من الماء شربا منها ونجيا . ولا يذكر سفر التكوين شيئاً بعد ذلك عن إسماعيل سوى زواجه من امرأة مصرية وأنه حضر مع إسحاق وفاة أبيهما ودفنه . ثم يقص سفر التكوين سيرة إسحاق وولده يعقوب ونزول يعقوب في أرض مصر وينتهي بوفاة ولده يوسف .

وهناك حدث هام آخر في تاريخ إبراهيم ورد في سفر التكوين (الفصل ٢٢) ، وهو اختبار إبراهيم بالتضحية بابنه الوحيد إسماعيل وكيف أن الله تعالى افتدى الغلام بكبش عظيم وهو ما قصّه علينا القرآن الكريم في سورة الصافات الآيات ١٠٢-١٠٧

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ . فأثبت إبراهيم بذلك أن حبه لله فاق كل عاطفة بشرية .

تلك نبذة مختصرة لحياة إبراهيم كمقدمة لبحث أحقية الابن البكر في وراثة عهد أبيه حيث نلاحظ حقائق ثلاثة تقتضي أن يقبلها كل مؤمن :

الأولى : أن إسماعيل هو الابن الأكبر الشرعي لإبراهيم ، ولذا فإن حقه في البكورية واضح وعادل .

الثانية : أن العهد كان بين الله وبين إبراهيم وإسماعيل قبل ولادة إسحاق ولولا تكرار الوعد (من خلال ذريتك سوف تتبارك كل الأمم على وجه

الأرض) بصيغ مختلفة وأيضاً (ذلك الذي سوف يخرج من أحشائك سوف يرثك) (سفر التكوين ١٥ / ٤) . وتحقق هذا الوعد بولادة إسماعيل (سفر التكوين ١٦) مما كان عزاء لإبراهيم لأن كبير الخدم أليعازر لم يعد وريثه . لولا كل ذلك لكان العهد وتشريع الختان غير ذي معنى ولا قيمة . ولذلك وجب أن نعترف بأن إسماعيل كان الوارث الحقيقي والشرعي لامتيازات ومكانة أبيه الروحية ، وأن هذا الإرث الذي استحقه إسماعيل وذريته لكونه الابن البكر ، لم يكن خيمة والده ولا مواشيه وإنما كان إخضاع كل الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات وسكانها إلى الأبد (سفر التكوين ١٥ / ١٨ ، ١٧ / ٢٠) . وبالفعل فإن تلك البلاد لم تخضع قط لذرية إسحاق ، ولكنها خضعت لذرية إسماعيل ، مما يعتبر تحققاً حرفياً وفعلياً لأحد نقاط العهد .

الثالثة : أن إسحاق ولد أيضاً بمعجزة وأنه كان مباركاً من الله وأن أرض كنعان كانت الأرض الموعودة لأتباعه وقد احتلوها فعلاً تحت إمرة (يوشع) مما لا ينكره أي مسلم ، فالمسلمون يؤمنون بنبوة إسحاق ويعقوب كما يؤمنون بنبوة إسماعيل وبقية الرسل والأنبياء المذكورين في القرآن الكريم .

وعلى كل هذا لا يجب أن يكون هنالك نقطة خلاف جوهرية بين ذرية إسماعيل وبين ذرية إسحاق ويعقوب (شعب إسرائيل) فلو كان (حق البكرية) و (مباركة الله) متعلقين فقط بميراث السلطة والأراضي لأمكن تسوية مثل هذا الخلاف ، وقد سوي فعلاً بالسيف ، والدليل على ذلك الحقيقة الواقعة ألا وهي سكنى المسلمين لكل الأرض الموعودة . ولكن هناك نقطة خلاف متعلقة بالعقيدة بين اليهود وبين بني إسماعيل مضى على

وجودها ما يقرب من أربعة آلاف عام ، وهي مسألة المسيح ومحمد فاليهود لا يعترفون بتحقيق ما يسمى بالنبوءات المسيحانية عن مجيء المخلص لا في بعثة عيسى ولا في بعثة محمد ، وقد كان اليهود دوماً في غيرة من إسماعيل لأنهم يعرفون جيداً أنه كان يُجسّدُ (العهد) وبختانه خُتم العهد . وبدافع من ذلك الحقد والضغينة قام كتبهم وفقهاؤهم بتحريف الكثير من نصوص كتبهم المقدسة فشطبوا اسم إسماعيل من الفقرات : الثانية ، والسادسة ، والسابعة من الفصل الثاني والعشرين من سفر التكوين ووضعوا اسم إسحاق بدلاً منه في حين أبقوا على الوصف الخاص بإسماعيل : وهو (الابن الوحيد) مما يعتبر إنكاراً لوجود إسماعيل وخرقاً للعهد الذي قطعه الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل حيث ينص : (لأنك قبلت أن تضحى بابنك الوحيد من أجلي ، فسوف أزيد وأضاعف من ذريتك ، ليصبح عددها كعدد النجوم ، وكعدد حبات الرمل على شاطئ البحر) وكلمة (أضاعف) جاءت أيضاً في خطاب الملاك إلى (هاجر) وهي في القفر على هذا النحو : (إن الله سوف يضاعف ذريتك إلى عدد لا يحصى وسوف يصبح إسماعيل خصيباً ذا ذرية كثيرة) (سفر التكوين ١٦/١٢) وقد قام النصارى بعد ذلك بترجمة الكلمة العبرية (خصيب الذرية) (من الفعل (برا) الذي يرادفه بالعربية لفظ وفرة) ترجموها إلى (الحمار المتوحش) . أليس من الفسوق أن يُنعتَ إسماعيل بالحمار المتوحش وهو النبي الذي كرّمهُ الله وبشر والديه أنه سيكون خصيب الذرية ؟

ومن المهم جداً ملاحظة أن عيسى المسيح نفسه وبّخ اليهود الذين قالوا أن الرسول العظيم الذي يدعونه (المخلص) سوف يكون من سلالة الملك داود

(إنجيل برنابا) ، وأوضح لهم أن المخلص لا يمكن أن يكون ابناً لداود لأن داود نفسه يعتبر هذا الرسول سيده (متى ٢٢/٤٤) و (مرقس ١٢/٣٦) و (لوقا ٢٠/٤٤) ، كما أوضح لهم كيف حرف آباؤهم الكتب المقدسة وأن (العهد) لم يرم مع إسحاق كما يزعمون بل مع إسماعيل الابن البكر الذي قدمه أبوه أضحية لله وأن تعبير (ولدك الوحيد) الذي ورد في العهد قصد به إسماعيل وليس إسحاق .

أما القديس بولس الذي يدّعي أنه من حوارتي عيسى المسيح عليه السلام فقد استعمل كلمات فظة بحق هاجر وإسماعيل (سفر غلاطية ٢١/٦-٣١) وناقض سيده المسيح صراحة وبذل قصارى جهده لتضليل النصارى بعد أن كان يضطهدهم قبل اعتناقه الدين المسيحي ، وذلك واضح من كتاباته التي تغصّ بعقائد في غاية التناقض مع روح الكتاب المقدس ومع تعاليم عيسى المسيح . لقد كان بولس محامياً يهودياً مهووساً من الفريسيين ويبدو أنه ازداد هوساً بعد تحوله إلى الدين المسيحي . وبسبب كرهه لإسماعيل (نظراً لأحقّيته بالعهد) فقد نسي أو تغاضى عن وصايا موسى التي تحرم زواج الرجل من أخته تحت طائلة القتل ولو كان بولس يتلقى الوحي من الله كما ادعى لأدان كتاب سفر التكوين لكونه محشواً بالباطيل ومنها أن إبراهيم كان زوجاً لأخته (١٢/٢٠) ، ولم يتورع بولس أن يشبه هاجر بجبل سيناء الذي يلد العبودية كما يدعي ، بينما يصف سارة بأنها أورشاليم العليا التي تلد الأحرار (سفر غلاطية ٤/٢٥-٢٦) فهل قرأ القديس بولس في حياته عقاب الملعونين التالي :

(ملعونٌ ذلك الذي يضطجع مع أخته ابنة أبيه ، أو ابنة أمه ، والناسُ جميعاً يقولون آمين) (سفر تثنية الاشتراع ٢٢/٢٧) .

وهل يوجد قانون بشري أو سماوي يعتبر من كان أبوه خاله وأمه عمته في نفس الوقت أكثر شرعية من ولادة من كان أبوه كلدانياً وأمه مصرية؟؟

وهل يستطيع أي مؤمن أن يطعن في عفة وتقوى هاجر؟ زوجة النبي إبراهيم وأم النبي إسماعيل؟

إن الله الذي أعطى العهد لإسماعيل قد أنزل قانون الوراثة التالي :

(إذا كان لرجل زوجتان إحداهما مفضلة على الأخرى ، وكان لكل منهما ولد ، وإذا كان ابن غير المفضلة هو الولد المبكر ، فإن البكر هو صاحب حق البكورية وليس ابن الزوجة المفضلة ، وعليه فإن الولد المبكر سوف يرث ضعف ما يرث أخوه) (سفر تثنية الاشتراع ٢١/١٥-١٧) . أليس هذا القانون من الواضح بما يكفي ليسكت جميع الذين يجادلون في حق البكورية لإسماعيل ؟ .

والآن نبحث مسألة أحقية إسماعيل في العهد بصورة مختصرة . كان رسول الله إبراهيم شيخ قبيلة رحل يتنقل من مكان إلى آخر ويعيش في خيمة ويملك قطعاناً من المواشي ومن المعروف أن البدو الرحل لا يرثون أرضاً ولا مرعى ولكن الأمير يخصص لكل من أبنائه عشيرة تخضع له . وكقاعدة متبعة يرث الابن الأصغر خيمة أبيه أما الابن الأكبر فيخلف أباه في الحكم إلا إذا لم يكن أهلاً لذلك .

وقد انطبق هذا الوضع على ولدي إبراهيم ، فإسحاق أصغرهما ورث خيمة أبيه وأصبح مثله بدوياً يتنقل من مكان إلى آخر ، أما إسماعيل فأرسل إلى الحجاز ليحرس بيت الله الذي كان قد بناه مع أبيه ، كما يذكر القرآن الكريم ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٢٧) ، وهناك استقر إسماعيل وأصبح نبياً وتبعته القبائل العربية التي آمنت به . وفي مكة أو

﴿ بَكَّة ﴾ أصبحت الكعبة قبلة للحجاج ونشر إسماعيل دين الله وسن مشروعية الختان وتكاثرت ذريته بسرعة كنجوم السماء ، وبقي العرب من بعده في شبه الجزيرة أسبداً في أوطانهم عجزت إمبراطوريتا الروم وفارس عن إخضاعهم ، وبالرغم من انتشار عبادة الأصنام بينهم فيما بعد إلا أنهم بقوا على ذكر الله وذكر إبراهيم وإسماعيل وغيرهم من الأنبياء .

وبالمثل فإن (عيص) الابن الأكبر لإسحاق ترك مسكن أبيه لأخيه الأصغر يعقوب واستوطن إيدوم (جنوب البحر الميت بفلسطين) حيث تزعم شعبه وامتزج مع قبائل إسماعيل العربية . وأما ما يروى من أن عيص باع حقه في البكورية إلى يعقوب مقابل طبقٍ من الحساء فلا يعدو أن يكون محاولة خبيثة لتبرير سرقة حق البكورية من إسماعيل . فقد زعموا أن (الله كره عيص وأحب يعقوب) وهما ما زالا توأمين في رحم أمهما ، وأن على الابن الأكبر أن يخدم أخاه الأصغر (سفر التكوين ٢٥ ، سفر رومية ٩/١٢-١٣) والعجيب أن هناك قصة أخرى في سفر التكوين تذكر لنا أن الأمر كان على عكس ذلك ، إذ يذكر الفصل (٣٣) من سفر التكوين أن يعقوب كان يخدم عيص ويركع أمامه سبع مرات قائلاً (سيدي) أو : (عبدك يا سيدي) .

وقد ذكر أن إبراهيم رزق العديد من الأبناء الآخرين من (قيتورا) ومن محظياته وأنه أرسلهم نحو الشرق بعد أن زودهم بالهدايا ومن ذرياتهم تكونت قبائل كبيرة وقوية . وقد وردت أسماء اثني عشر من أبناء إسماعيل أصبح كل منهم أميراً على مدنه ومعسكراته (سفر التكوين ٢٥) . وأيضاً وردت أسماء أبناء إبراهيم من (قيتورا) والمحظيات وأسماء أبناء عيص .

وحين نلاحظ أن عدد أفراد عائلة يعقوب عندما ارتحل إلى مصر للقاء ابنه يوسف كان لا يكاد يبلغ سبعين شخصاً ، وأن عيص التقاه ومعه أربعمئة من الفرسان فقط ، في حين أن القبائل العربية الكثيرة قد خضعت لحكم الاثني عشر أميراً من ذرية إسماعيل ، ثم أن محمداً ﷺ وحد جميع القبائل العربية تحت راية الإسلام فانطلقت تفتح البلاد الموعودة . إننا حين نفكر بذلك ، نقف على الحقيقة الساطعة التي لا يمكن التغاضي عنها وهي أن العهد قد أعطي لإسماعيل وأنه تحقق فعلاً على يدي حفيده محمد ﷺ .

وفي الختام ألفت نظر الدارسين والمتخصصين في الدراسات العليا في نقد الكتاب المقدس إلى حقيقة هامة ، وهي أن التنبؤات عن قدوم مسيح (مخلص) منتظر من سلالة داود كانت جزءاً من دعاية مبتدعة لصالح سلالة داود بعد انقسام مملكة سليمان إلى قسمين ولكن النبيين إلياس واليسع الذين إشتهرا في زمن مملكة السامرة (إسرائيل) لم يذكر اسم داود أو سليمان ، كما أنه بعد انقسام مملكة سليمان لم تعد القدس مركزاً دينياً للقبائل الاثني عشر وإنما فقط لقبيلتي (سبطي) يهوذا وبنيامين فقط ، ولذلك انتفت ادعاءات سلالة داود القائلة بالحكم الأبدي في مدينة القدس .

ولكن الأنبياء من أمثال إشعيا وغيره ممن ارتبطوا بمعبد القدس وبيت داود كانوا قد تنبؤوا بقدوم النبي العظيم صاحب السلطان الكبير خاتم الأنبياء ، وأنه سوف يُعرف بعلامات معينة واضحة مما سوف ندرسه في الفصول القادمة .



الفصل الثالث

لفظ المصفا

سأحاول في هذا الفصل أن أشرح التقديس العبري القديم للحجر وهو أمر أسسه في مكة إبراهيم وإسماعيل ، وفي أرض كنعان إسحاق ويعقوب ، وفي مؤاب وأماكن أخرى أسسه آخرون من سلالة إبراهيم .

ومن المفهوم أن عبارة تقديس الحجر لا تعني عبادته فذلك من الوثنية ، ولكن المقصود هو عبادة الله عند حجر معين خُصّص لذلك الغرض . ففي حياة التنقل والبداءة لم يكن للأسرة أو القبيلة موطن دائم تبني فيه بيتاً مخصصاً لعبادة الله ، لذا اعتادت على نصب حجر ما تحج إليه وتطوف حوله سبع مرات في كل مكان تقيم فيه . وإن كلمة (حج) متطابقة تماماً من حيث المعنى والأصل في اللغات السامية ، فكلمة حجاج العبرية Hagag هي نفسها كلمة حجاج العربية Hajaj والفرق الوحيد هو لفظ الحرف الثالث من الأبجدية السامية وهو الجيم التي يلفظها العرب جيماً . وإنّ شريعة موسى تستخدم هذه الكلمة بعينها وهي Hagag أو حفاغ^(١) وتعني الهرولة حول صرح أو حجر بخطوات منتظمة لدى الاحتفال بعيد ديني . وفي الشرق لا يزال النصارى يمارسون ما يسمونه حجة Higag أثناء أعيادهم أو في الأعراس . وعلى ذلك فإنه لا علاقة للفظ (حجة) بكلمة pelerinage أو pilgrimage المشتقة من الكلمة الإيطالية pellegrino بمعنى الأجنبي .

(١) في العبرية والآرامية لا تلفظ (ج) كما في العربية وإنما تلفظ كحرف g اللاتيني ، أو تلفظ غ في بعض الأديان .

كان إبراهيم أثناء ترحاله وعند إقامته المؤقتة في مكان ما يقيم مذبحاً للعبادة والأضاحي في مناسبات معينة . وقيل أن يعقوب عندما كان في طريقه إلى حاران ورأى رؤيا السلم العجيب نصب حجراً هناك وسكب عليه الزيت وسماه بيت إيل " Bethel " أي بيت الله . ثم عاد لزيارة ذلك الحجر بعد عشرين عاماً وسكب عليه الزيت والخمر حسبما يدعيه سفر التكوين (٢٨ / ١٠ - ٢٢) (٣٥) ، كما نصب يعقوب وحميه حجراً فوق كومة من الحجارة وأطلق عليه اسم (مصفا) (سفر التكوين ٣١ / ٤٥ - ٥٥) .

وقد أصبحت هذه (المصفا) فيما بعد مكاناً للعبادة ومركزاً للمجالس القومية في تاريخ شعب إسرائيل ، فعندما نذر البطل اليهودي نفتاح نذراً أمام الرب وقيل أنه بعد أن هزم العمونيين قدم ابنته الوحيدة لتُحرق قرباناً (سفر القضاة ١١) ... وعند المصفا تجمع أربعمئة ألف مقاتل من قبائل إسرائيل الإحدى عشر وأقسموا أن يستأصلوا قبيلة بنيامين (الثانية عشر) بسبب الجريمة البشعة التي اقترفتها في جبعة (سفر القضاة ٢٠ ، ٢١) وعند المصفا دعا النبي صموئيل الناس لكي يقسموا أمام الرب أن يدمروا جميع أصنامهم وتمثالهم وتمت نجاتهم بعد ذلك من الفلسطينيين (سفر صموئيل الأول ٧) وعند المصفا اجتمعت الأمة وتم تنصيب طالوت (شاؤول) ملكاً على العبرانيين (سفر صموئيل الأول ١٠) وباختصار فإن كل قضية هامة يُتُّ فيها عند هذه المصفا أو (البيت إيل) .

ويبدو أنهم كانوا ينون هذه (المصفايات) على أماكن مرتفعة تدعى (راموث) أي المكان المرتفع ثم أضافوا إليها الأصنام والتمائيل شأنها شأن الكعبة في مكة المكرمة ، وقد حافظوا على احترامهم لها بعد بناء معبد سليمان في القدس

كما أنه بعد خراب القدس والمعبد على أيدي الكلدانيين احتفظت المصفا بطابعها المقدس حتى عهد المكابيين أثناء حكم الملك أنطيوخوس .

أما معنى كلمة (مصفا) فهي تترجم عادةً إلى (برج مراقبة) وهي أيضاً البناء الحجري الذي يشتق اسمه من (الصفاة) وهي كلمة قديمة معناها حجر ورغم أن الكلمة العبرية المألوفة التي تطلق عادة على الحجر هي (ايّين) وفي العربية حجر وفي السريانية (كيّا) فإن كلمة صفاة مشتركة بين اللغات السامية ومن هنا فإن المعنى الحقيقي لـ (مصفا) هو المكان الذي يثبت فيه الصفا أو الحجر . علماً أنه عندما أطلق اسم مصفا لأول مرة على الحجر المنسوب فوق كومة من الحجارة كان الحجر قائماً بمفرده دون أي صرح حوله .

ولشرح مغزى صفاة ، لابد من الاعتماد على صير قرائني الذين لا يعرفون العبرية ، إن اللغات السامية بما فيها العربية والعبرية تفتقر إلى حرف p في أبجديتها . أما في اللغة الانكليزية فهم ينقلون صوت F الذي يرد في أي كلمة سامية أو يونانية على شكل ph بدلاً من F مثل " Mustapha " ، " Philosophy " .

وعندما لقب المسيح أول تلاميذه سمعان (شمعون Simon) باللقب الشهير (صخر) أو (Petros) أي (بطرس) ، لابد وأنه كان يفكر بكلمة صفا القديمة . وللأسف أننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط الكلمة التي إستخدامها بلغته لهذا الغرض ، ذلك أن كلمة بطرس أي Petros بصيغة المذكر (Petra بصيغة المؤنث) غير مألوفة وغير يونانية لدرجة أن المرء يحار في سبب استعمالها من قبل الكنائس . ولكن الترجمة السريانية للكتاب المقدس المسماة " Peshitta " احتفظت بكلمة (كيّا) أو (كيّا) لتؤدي المعنى المقصود كما أن النص اليوناني قد احتفظ بالاسم الأصلي كيفاس Kephas (والذي كتبته الترجمات الإنكليزية على شكل

" Cephas ") مما يؤيد أن المسيح تكلم اللغة الآرامية وأعطى تلميذه الأول لقب
(كيفا Kepha) .

وفي التراجم العربية القديمة للعهد الجديد ورد اسم القديس بطرس على أنه
سمعان (شمعون) الصفاة أي سمعان الصخرة أو الحجر . وكلمات المسيح (أنت
بطرس) يقابلها في الترجمة العربية (أنت الصفاة) (إنجيل متى ١٦/١٨ ، وإنجيل
يوحنا ١/٤٢ إلخ) .

وينتج من كل هذا أنه إذا كان سمعان (شمعون) هو الصفاة فإن الكنيسة
التي تقام على الصفاة هي المصفا . وكون المسيح قد شبه سمعان بـ (الصفاة)
وبحث تكون الكنيسة (مصفا) أمر يلفت النظر بصورة واضحة ، إذ عندما
أحاول فك لغز هذا التشبيه والحكمة المتضمنة فيه أرى الحقيقة الهائلة تفرض نفسها
عن استحقاق (محمد) للقبه المختار وهو (المصطفى) .

ولاستيضاح ما ذكر أعلاه قد يطرح الأسئلة التالية :

(أ) : لماذا أختار المسلمون والموحدون من سلالة إبراهيم الحجر لكي يؤدوا
طقوسهم الدينية عنده ؟ .

(ب) : لماذا سميّ هذا الحجر (صفاة) ؟ .

(ج) : ما قصد الكاتب من كل ذلك ؟ .

لقد أختير الحجر كأنسب مادة يستطيع المسافر أن يقوم بطقوسه الدينية عنده
وأيضاً لتخليد النذور التي قد يكون قطعها على نفسه . ولهذا الغرض لا يمكن لأية
مادة أخرى أن تضاهي الحجر من ناحية صلابته وديمومته وبساطته وانعدام قيمته
المادية فلو كان من الذهب أو الفضة أو المعدن لتعرض للسرقة . وكانت شريعة

موسى تمنع نحت حجر المذبح أو عمل نقوش أو زخارف عليه لئلا يعبد الجاهلاء .
ولم يكن الصفا مقدساً وحده بل كانت البقعة التي يقع فيها مقدسة أيضاً، مما يفسّر
كيف أن القرامطة الذين أخذوا الحجر الأسود من الكعبة وأبقوه معهم عشرين سنة
اضطروا لإعادته لأنهم لم يستطيعوا تحويل الحجاج عن الكعبة . ولو كان الحجر
الأسود من الذهب أو أي عنصر ثمين آخر لما أمكن أن يدوم حوالي خمسة آلاف
سنة . كما أنه لو احتوى على بعض النقوش أو الصور لأزاله الرسول محمد ﷺ
بنفسه .

نعود إلى فكرة برج المراقبة (المصفا) حيث كان الشخص الذي يراقب من
البرج يسمى صوفي " Sophi " وفي الأصل كانت (المصفا) مجرد مزار على مكان
منعزل مرتفع حيث كان يعيش المراقب الصوفي مع أسرته (سفر الملوك الثاني
١٧/٩ وغيره) وهو رجل الدين المسمّى (روي Roi أو جوزي Hoz) ومعناها
العرف أو المترقب (سفر صؤئيل الأول ٩/٩) . وبالطبع فإن علماء اللغة العبرية
يعرفون جيداً كلمة (مصفّي) التي تعادل في العربية المُصَفّي وهو الشخص الذي
يغربل الغث من السمين ، وقد كان عمل المراقب (الصوفي) أن يراقب من برج
المراقبة (المصفا) من أجل تمييز الحجاج في الصحراء ، أو للتحذير من خطر ما أو
للتعرف على شخصية معينة بين القادمين . وبعد تأسيس إسرائيل في أرض كنعان
إزداد عدد (المصفايات) وسرعان ما تحولت إلى مراكز دينية هامة تطورت إلى
معاهد للتعليم والجمعيات الدينية ، ويبدو أنها صارت تشبه الجماعات الصوفية
الإسلامية مثل المولوية والبكداشية والنقشبندية وغيرها وكان لكل منها شيخها
ومرشدتها ، كما كانت هناك مدارس ملحقة بكل مصفا حيث كان يجري تدريس
الشريعة والدين والأدب العبري وعلوم أخرى .

ولكن بالاضافة لهذا العمل التعليمي كان الصوفي رئيس المصفا يلقي تلاميذه
تعاليم الدين الخاصة مما يعرف الآن باسم الصوفية . والواقع أن من نعرفهم الآن
باسم الصوفية كانوا يسمون عندهم مجازاً (نبييم) أي أنبياء بدليل أنه عندما مُسِحَ
طالوت (شاؤول) بالزيت وتوج ملكاً انضم إلى الصوفية وأعلن في كل مكان
(انظروا شاؤول أيضاً بين الأنبياء) (سفر صؤئيل الأول ١٠/٩-١٣) .

واستمرت الصوفية بين العبرانيين في جمعيات دينية خاصة تحت إشراف
الأنبياء حتى وفاة الملك سليمان وانقسام مملكته إلى قسمين (مملكة إسرائيل ومملكة
يهوذا) ويبدو أن ذلك قد سبب انشقاقاً عظيماً بين الصوفيين أيضاً .

إلا أنه مهما كان وضع الصوفيين العبرانيين بعد الانشقاق الديني والقومي
الكبير فمن المؤكد أن المعرفة الحقيقية بالله وعلوم الدين الخاصة ظلت محفوظة
بينهم إلى أن ظهر عيسى عليه السلام الذي نقل تلك العلوم إلى مجموعة من
التلاميذ تركز على سمعان الصفا . ثم أدام الصوفيون والمتقربون في المصفا المسيحية
هذه المعرفة ونقلوها إلى تلاميذهم جيلاً بعد جيل حتى ظهر النبي المختار محمد
المصطفى (مصطفى باللغة العبرية) .

وقد ذكر العهد القديم عدة " أنبياء " متصلين (بالمصفاة) ولكن كثيراً ما
استخدمت الكتب العبرية كلمة (أنبياء) بصورة مبهمة أو حتى بصورة مجازية .
وأنه يجب أن نفهم ما يعلن القرآن بوضوح : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾
(سورة الأنعام ١٢٤) ، فهو لا يعطي النبوة لشخص بسبب رفعة نسبه أو كثرة
ثروته أو حتى تقواه ، بل يعطيها حسب مشيئته تعالى لأن الإيمان والتقوى
والتأملات الروحية والصلوات والصيام والمعرفة الدينية قد ترفع الشخص الجديد
ليصبح مرشداً روحياً أو إلى مرتبة ولي ولكن ليس إلى درجة النبوة لأن النبوة لا

يُحصل عليها المرء بمجهوده بل هي هبة من الله ، وحتى بين الأنبياء لم يكن هناك من الرسل سوى القلائل الذين بُعثوا بكتاب منزل خاص بهم . ويذكر بهذا الخصوص أن معظم الكتب اليهودية المقدسة كانت على الغالب من نتاج (المصفايات) قبل الأسر البابلي ثم أنه بعد ذلك تم تعديلها من قبل أيدي مجهولة حتى اتخذت شكلها الحالي .

ومن المفيد الآن أن نقارن بإيجاز الصوفية الإسلامية مع الكلمة اليونانية (Sophia) بمعنى الحكمة . إن الفلسفة بمعناها الواسع تعني بدراسة المبادئ الأولى للوجود وهي تتجاوز قوانين الفيزياء والطبيعة وتحاول الوصول إلى الحقيقة الأساسية . في حين أن التصوف الإسلامي هو التأمل في الله وفي النفس واتخاذ الرياضة الروحية سبيلاً للاتصال بالله وإن تفوق الصوفية الإسلامية على الفلسفة اليونانية واضح من الموضوع الذي تتناوله وهي حتماً أُسمى من الرهبانية النصرانية من حيث تسامحها مع معتقدات الآخرين ، فالمتصوف المسلم يكنّ الاحترام للأديان الأخرى ويسخر من فكرة " الهرطقة " ويغض الاضطهاد والإكراه في حين أن معظم قديسي النصارى كانوا إما مضطهدي الكفار أو من الذين قاسوا من اضطهاد الكفار لهم وقد ذاعت شهرتهم بسبب إسرافهم في التعصب وعدم التسامح .

إن الصوفية أو (الحكمة) التي تعني المعرفة الحقيقية بالله والعلم الصحيح عن الدين والأخلاق تعني أيضاً الاصطفاء الحق لخاتم رسل الله من بين جميع رسله ، كل ذلك ينبع من مؤسسة (المصفا) اليهودية حتى تحولها إلى (مصفا) نصرانية ، ومن المدهش حقاً أن نرى صحّة التشبيه وكيف أن التدبير الإلهي لأحوال الخلق يتم بغاية الدقة والانتظام . فمن خلال المصفاة كان يُصَفَّى الناس وينخلّون من قبل

المصفي كما لو كان ذلك يتم من خلال مصفاة الطعام (لأن هذا هو معنى الكلمة) بحيث يتم تمييز الحقيقي عن الزائف والسمين عن الفَتَّ ، وتوالي القرون ويأتي العديد من الأنبياء والمصطفى لا يظهر ثم يأتي عيسى المسيح عليه السلام فيُقابل بالرفض والاضطهاد لأنه لم يكن في إسرائيل تلك (المصفاة) الرسمية التي كان بإمكانها أن تتعرف عليه كرسول حقيقي أرسل ليشهد أن المصطفى هو آخر نبي يأتي بعده . وكان الجمع الكبير للكنيس الذي دعا إليه وأسسهُ عزيز ونحميا والذي كان آخر أعضائه (سمعان العادل) (المتوفى حوالي ٣١٠ ق.م) قد اندثر ثم خلفته المحكمة العليا في القدس والمسماة (ساهيرين) التي حكمت على عيسى المسيح عليه السلام بالموت لأنها لم تدرك شخصيته ولا طبيعة رسالته السماوية المقدسة ولكن بعض الصوفية والحكماء عرفوا عيسى وآمنوا برسالته رغم أن الجماهير في وقت ما ظننته المصطفى ونادت به ملكاً غير أنه توارى عن الأنظار لأنه لم يكن المصطفى ولو كان هو المصطفى لكان من العبث أن يجعل سمعان (الصفا) ومن كنيسته (المصفا) . لأن وظيفة (المصفا) كانت الترقب والبحث عن آخر الرسل حتى إذا جاء فسوف يُنادى به على أنه المصطفى . وهذا الموضوع عميق وشيق جداً وجدير بالدراسة . إن (محمد المصطفى) هو لغز (المصفا) وهو كنز الحكمة .



الفصل الرابع

محمد هو (الشايلوه)

عندما كان يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) على فراش الموت بعد أن بَلَغَ السابعة والأربعين بعد المائة من عمره دعا أولاده الاثني عشر وأسرهم إليه وبارك كلاً منهم وتنبأ له بمستقبل قبيلته وأوصاه ، وهذا ما يعرف عادة (بعهد يعقوب) ^(١) وهو مكتوب بالعبرية بأسلوب أنيق ذي لمسة شعرية . ويتضمن العهد عرضاً لمراحل حياته ، ويدعي سفر التكوين أن يعقوب استغل جوع أخيه عيص واشترى منه حق البكورية بطبق من الحساء ثم خدع والده العجوز الضرير وحصل على مباركته التي كانت من حق عيص بحكم كونه الابن البكر . وخدم سبع سنوات ليتزوج من " راحيل " لكن والدها خدعه وزوجه أختها الكبرى " ليئة " بدلاً منها ولذلك اضطر أن يخدم سبع سنوات أخريات من أجل زواجه بالثانية . كما حزن كثيراً بعد فقدان زوجته المحبوبة راحيل ثم اختفاء ابنه المفضل يوسف لعدة سنوات وقد استرد بصره بعد أن علم بوجوده ثم التقاه في مصر مما كان مصدر فرح كبير له ، لقد كان يعقوب نبياً لقبه الله بإسرائيل وهو الاسم الذي تمسكت به القبائل الاثنا عشر التي انحدرت من أبنائه .

تكرر قصص اغتصاب حق الولد البكر في سفر التكوين ويصور يعقوب على أنه مثال الاعتداء على حقوق الآخرين ويقال إنه أعطى حق البكورية حفيده

(١) قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٣) .

(مَنشي) إلى أخيه الأصغر (أقرام) رغم احتجاجات والدهما يوسف (سفر التكوين الفصل ٤٨) . كما أنه يحرمُ ابنه الأكبر (رأوين) حق البكورية وينعم به على يهوذا ابنه الرابع لأن رأوين ضائع (بلهة) محظية يعقوب وأم ولديه (دان) و (نفتالي) ثم يحرم يهوذا لأنه ليس أفضل من أخيه بعد أن زنى بـ (تamar) زوجة أخيه فأنجبت طفلاً أصبح جد كل من داود وعيسى المسيح حسب زعمهم (التكوين الفصول ٢٥-٣٨) . ومن العجب كيف يصدق اليهود والنصارى أن مؤلف سفر التكوين (أو كاتب السفر أو محرره) ملهم من الروح القدس ، ففي هذا السفر تنسب أشنع الجرائم وأفظع الفواحش للأنبياء وبيوت الأنبياء كما يُقال فيه إن يعقوب كان زوجاً لأختين في آن واحد مع أن ذلك مخالف للشرعة بشكل صارخ (سفر اللاويين ١٨/١٨) . وباستثناء (يوسف) و (بنيامين) فقد وصف سفر التكوين أبناء يعقوب الآخرين أنهم رعاة شرسون وكذابون وقتلة وزناة مما لا يليق بأسرة نبي . وبالطبع لا يقبل المسلمون ذلك بحق أي نبي ولا يصدقون الخطيئة المنسوبة ليهوذا وإلا لكانت البركة التي أعطاهها له أبوه يعقوب أمراً غريباً إذ لا يمكن ليعقوب أن يبارك ابنه يهوذا الذي زعموا أنه كان والد (بمرز) ابن زوجة أخيه ، لأن الزانيين محكوم عليهما بالإعدام (سفر اللاويين ٢٠/١٢) . وقد وردت كل هذه القصص الغريبة في سفر التكوين بالفصول (٢٥-٥٠) .

أما النبوءة الشهيرة التي تعتبر نواة لعهد يعقوب فقد وردت في (سفر التكوين ١٠/٤٩) وهي كما يلي :

(لا يزولُ الصولجان من يهوذا أو التشريع من بين قدميه حتى يأتي شايلاه ويكون له خضوع الأمم) . هذه هي الترجمة الحرفية للنص العبري بقدر ما

أستطيع فهمه وأن كلمة شايلاه في النص فريدة لا تتكرر في أي مكان آخر من العهد القديم . وحسبما أعلم فإن جميع تراجم العهد القديم قد احتفظت بكلمة (شايلاه) كما هي دون ترجمت أو شرح لمعناها عدا الترجمة السريانية المسماة البشيتا " peshitta " التي ترجمة الكلمة إلى (الشخص الذي يخصه) أي الشخص الذي يخصه الصولجان والتشريع ، وبموجب هذه الترجمة الهامة فإن معنى النبوة يظهر واضحاً كما يلي :

(إن صفات السلطان والنبوة لن تنقطع من يهوذا (وسلالته) إلى أن يجيء الشخص الذي تخصه هذه الصفات ويكون له خضوع الأمم) .

ويحتمل أن كلمة (شايلاه) مشتقة من الفعل (شَلَّه Shalah) وفي هذه الحالة فهي تعني المسالم الهادئ الموثوق ، كما أن هذا الفعل يعني أيضاً أرسل وفوض من اسم المصدر (شَلَّوه Shaluh) أي المرسل أو الرسول . وفي هذه الحال فإن الكلمة سوف تأخذ معنى (شيلواح Shiluah) وتكون عندئذ مرادفة تماماً لـ (رسول ياه Apostle of Yah) وهو نفس اللقب المعطى لمحمد (رسول الله) والمعروف أيضاً أن كلمة (شيلواح) هي أيضاً تعبير في لكلمة (الطلاق) ذلك لأن الزوجة المطلقة (تُرسلُ) بعيداً . ولا أستطيع أن أجِد تفسيراً آخر لهذا اللقب الهام سوى هذه المعاني الثلاث .

ومن المعروف أن اليهود والنصارى معاً يعتقدون أن عهد يعقوب هو أحد أبرز التنبؤات المسيحانية عن مجيء المخلص المنتظر . ولا ريب أن المسلمون يؤمنون أن عيسى نبي الناصرة هو المسيح نفسه لأن القرآن يثبت ذلك ، والواضح أيضاً من الكتب المقدسة اليهودية أن لقب (مسيح) كان يطلق على كل من ملوك إسرائيل والكهنة الكبار ممن كانوا يُمسحون بالزيت المقدس المكون في معظمه من زيت

الزيتون وعطور متنوعة ، حتى أن قورش الزرداشتي ملك فارس كان يُدعى (مسيح الله) حسبما ورد في سفر أشيعا (١/٤٥-٧) !! أما بالنسبة لعيسى فحتى لو اعترف اليهود ببعثته النبوية ، وهو الشيء الذي لم يحدث ، فإن مهمته المسيحانية كمخلص منتظر لم تكن مقبولة لديهم لأنه لم توجد فيه أي من صفات المسيح التي توقعوها . فاليهودي ينتظر مسيحاً مقاتلاً ذا سلطة دنيوية ، وفاتحاً يُعيدُ مملكة داود ، مسيحاً يجمع شمل إسرائيل في أرض كنعان ويُخضع الأمم تحت سلطته .

غير أنه يمكن التأكد من تحقق نبوءة يعقوب حرفياً في (محمد) من الحجج التالية :

(١) : هناك إجماع بين المعلقين أن التعبيرين المجازين : (الصولجان) و (والتشريع) معناهما (السلطة الدنيوية) و (النبوءة) على التوالي .

(٢) : إن الترجمة السريانية للكتاب المقدس (البشيتا Peshitta) ترجمت كلمة (شايلاه) إلى (الشخص الذي يخصه الصولجان والتشريع) . أي الذي يمتلك السلطة وحق التشريع وتخضع له الأمم .

فمن يكون هذا السلطان والمشرع العظيم ؟

قطعاً ليس موسى ، لأنه كان أول منظم لقبائل إسرائيل الاثني عشر ولم يكن قبله أي ملك أو نبي من سبط يهوذا أصلاً . وحتماً ليس داود لأنه كان أول نبي من نسل يهوذا نفسه . كما أنه ليس عيسى المسيح لأنه أعلن بنفسه أن المسيح الذي تنتظره إسرائيل لن يكون من نسل داود (إنجيل متى ٢٢/٤٤-٤٥ ، مرقس ١٢/٣٥-٣٧ ، لوقا ٢٠/٤١-٤٤) ، أضف إلى ذلك أن

عيسى لم يترك تشريعاً مكتوباً ولم يفكر بسلطان دنيوي قط وعلى العكس فقد نصح اليهود أن يخلصوا لقيصر ويدفعوا له الضريبة ، وفي إحدى المناسبات حاولت الجماهير أن تنصبه ملكاً لكنه تنصل منها واختفى ، وكان إنجيله محفوظاً في قلبه وقد بَلَغَ (البشارة السارة) (الإنجيل) شفاهة وليس كتابةً . علماً أنه لم يبطل شريعة موسى بل أعلن صراحة أنه قدم لتحقيقها ، كما أنه لم يكن آخر الأنبياء .

غير أن محمد ﷺ جاء بالسلطة الدنيوية وبالقرآن يحلان محل الصولجان اليهودي المهترئ والشريعة القديمة غير العملية . وأعلن أنقى الأديان وتوحيد الإله الحق ، ووضع أفضل القواعد العملية لأخلاق وسلوك البشر ووحد بالإسلام أمماً كثيرة لا تشرك بالله شيئاً حتى صارت تطيعه وتحميه وتحترمه ولكنها لا تعبد ولا تقدره ولا تجعله إلهاً وقد سحق محمد آخر معاقل اليهود في قريظة وخيبر ووضع نهاية لنفوذهم .

(٣) : إن المعنى الثاني لكلمة شايلاه Shiloh ينصب أيضاً لصالح محمد ، وهو يعني هادئ مسالم أمين وديع ومن الحقائق المعروفة جيداً في تاريخ نبيّ بلاد العرب أنه كان قبل البعثة كثير الهدوء والمسألة ومحلاً للثقة مما جعل أهل مكة يسمونه (محمد الأمين) وعندما خلع عليه أهل مكة هذا اللقب لم تكن لديهم أدنى فكرة عن (شايلاه) بهذا المعنى ، ومن الإعجاز أن الرسالة نزلت على العرب الوثنيين الأميين لكي يواجهوا اليهود المتعلمين الذين كان لديهم كتابات مقدسة يعرفون محتوياتها تماماً .

(٤) : أما المعنى الثالث لاسم شايلاه Shiloh الذي قد يكون تحريفاً لـ (شيلواح Shiluah) فإنه يتطابق مع لقب النبي العربي الذي يتكرر كثيراً في القرآن

وهو (الرسول) الذي يعني بالضبط ما تعنيه (شلواح) أي رسول وأن (شلواح إلهيم) بالعبرية تعني بالضبط (رسول الله) وهو ما يتكرر في نداء المؤذن خمس مرات كل يوم عندما يُنادى للصلاة من جميع مآذن العالم.

وأياً من المعاني نختار لتفسير نبوءة يعقوب فإننا مضطرون بحكم تحققها جميعاً في محمد أن نسلم بأن اليهود ينتظرون عبثاً مجيء شايلاه آخر ، وأن النصارى مصرون على خطئهم في الاعتقاد أن عيسى كان هو المقصود بشايلاه .

وثمة نقاط في النبوءة تستحق التفكير :

أولاً : من الواضح أن السلطة والتشريع سيظلان في سبط يهوذا طالما أن شايلاه لم يظهر . وبما أن اليهود يدّعون أن شايلاه لم يظهر حتى الآن فيفترض أن تكون كلاً من السلطة الدنيوية والخلافة النبوية موجودتين لدى سبط يهوذا في حين أنهما انقرضتا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً .

وثانياً : بما أن قبيلة (سبط) يهوذا انقرضت ومعها السلطة الدنيوية والخلافة النبوية . فاليهود مضطرون أن يقبلوا واحداً من خيارين : إما التسليم بأن شايلاه قد جاء من قبل دون أن يتعرف عليه أجدادهم أو أن يقرّوا أن قبيلة يهوذا التي يعتقدون أن شايلاه سينحدر منها لم تعد موجودة .

وثالثاً : إن نبوءة يعقوب تعني بصورة واضحة (ومعاكسة تماماً للاعتقاد المسيحي اليهودي) أن شايلاه يجب أن يكون غريباً تماماً عن قبيلة يهوذا بل عن جميع القبائل الاثنا عشر . إذ تقول النبوءة بوضوح أنه عندما يجيء (شايلاه) فإن السلطة والتشريع يختفيان من سلالة يهوذا ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كان شايلاه غريباً عن سلالة يهوذا فلو كان شايلاه منحدرًا من يهوذا

فكيف يمكن أن ينقطع هذان الأمران من سلالة ؟ كما لا يمكن أن يكون شايلاه منحدرًا من قبيلة أخرى من سلالة يعقوب ، لأن الصوبلجان والتشريع كانا لصالح إسرائيل كلها وليس لمصلحة قبيلة واحدة ، وهذه الملاحظة تنسف الادعاء المسيحي أيضاً لأن عيسى منحدر من يهوذا من ناحية أمه كما يقولون .

وإنني لأعجب من سلوك هؤلاء اليهود الضالين إذ طالما أن بني إسماعيل وبني إسرائيل هم من سلالة إبراهيم فما الفرق سواء كان شايلاه من يهوذا أو من زبولون ، من عيص أو من يسّاكر^(٢) ، من إسماعيل أو من إسحاق ، ما دام منحدرًا من أبيهم إبراهيم ؟

ادخلوا الإسلام وأطيعوا شريعته لكي يصبح بإمكانكم أن تعيشوا في الأرض التي سكنها أجدادكم بسلام وأمان .



(٢) حسب سفر التكوين فإن يعقوب تزوج بنتي خاله وهما ليئة وراحيل ، وتزوج أيضاً من زلفة جارية ليئة ومن بلهة جارية راحيل ، وأعقب منهن اثني عشر ابنًا يطلق عليهم الأسيباط وهم :

- من ليئة : رأوين - شعون - لاوي (الجد الأكبر لموسى) - يهوذا (منه أخذت كلمة يهود وهو الجد الأكبر لداود وسليمان ومريم) - يسّاكر - زبولون .

- من راحيل : يوسف - بنجامين .

- من زلفة : جاد - أشير .

- من بلهة : دان - نفتالي .

الفصل الخامس

محمد وقسطنطين الكبير

في هذا الفصل نبحث إحدى رؤى النبي دانيال الذي كان في الأصل أميراً منحدرًا من أسرة مالكة يهودية ثم أخذ من القدس أثناء السبي البابلي مع ثلاثة آخرين من أمراء اليهود إلى قصر نبوخذ نصر في بابل حيث درس علوم الكلدانيين وعاش هناك حتى الفتح الفارسي وسقوط الإمبراطورية البابلية وقد بُعث في فترة حكم ملك بابل نبوخذ نصر ، ولا ينسب نقاد التوراة لدانيال كتابة كامل السفر المسمى باسمه فالفصول الثمانية الأولى من السفر حسبما أعلم كانت مكتوبة بالكلدانية أما القسم الأخير فهو عبري . وما يهمنا من سفر دانيال هو التحقق الفعلي للنبوءة الواردة في الترجمة السبعينية من الكتاب المقدس والتي كتبت قبل العهد المسيحي بحوالي ثلاثة قرون .

وردت تلك النبوءة في الفصل السابع من سفر دانيال ولعلها أروع وأوضح نبوءة عن البعثة النبوية لأعظم البشر وخاتم الرسل وهي تستحق دراسة جادة ومحيدة لأنها تصف بصورة رمزية أحداثاً هامة في تاريخ البشرية . تصف هذه الرؤيا عواصف أربعة من السماء تصفر بمواجهة بحر عظيم يخرج منه على التوالي أربعة وحوش هائلة ، أولها على شكل أسد مجنح ، والثاني على شكل دب يحمل ثلاثة أضلاع بين أسنانه ، والثالث على شكل نمر ذي أربعة أجنحة وأربعة رؤوس . ثم الوحش الرابع الذي كان متوحشاً وشرساً أكثر من الوحوش التي سبقته فهو وحش ذو قرون عشرة وأسنان حديدية ثم يبرز له قرن حادي عشر فتتحطم أمامه ثلاثة قرون وتظهر على القرن الحادي عشر أعين بشرية وفم بشري يتفوه بعبارات

الكفر والإلحاد وفجأة تظهر صورة الحي القيوم وسط ضوء متألّج في السماء على عرش ذي هب نوراني ويتدفق أمامه نهر من النور تقف بين يديه ملايين الكائنات السماوية وكما لو كانت محكمة القضاء منعقدة في جلسة غير عادية حيث تفتح الكتب فيحترق الوحش الرابع بالنار لكن القرن الذي يتفوه بالكفر يظل حياً حتى يؤتى (بابن الإنسان) محمولاً على السحاب ويمثل أمام رب العالمين فيتلقي منه سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتخضع له الشعوب والأمم إلى الأبد . ويقترّب النبي المبهور دانيال من أحد الملائكة راجياً أن يفسّر له ما يرى . فيجيبه أن كلاً من الوحوش الأربعة يمثل إمبراطورية ، فالوحش الذي على شكل أسد مجنح بأجنحة نسر يمثل الإمبراطورية الكلدانية التي كانت قوية كالنسر المنقض على عدوه .

ويمثل الدب الإمبراطورية الفارسية التي امتدت فتوحاتها حتى البحر الأدرياتيكي وأثيوبيا وهكذا تحمل بين أسنانها ضلعاً من جسم كل من القارات الثلاث .

وأما النمر الرهيب ذي الأجنحة والرؤوس الأربعة فيرمز إلى إمبراطورية الإسكندر الكبير التي انقسمت بعد موته إلى أربعة ممالك . ولا يدخل الملاك في التفاصيل إلا عندما يتحدث عن الوحش الرابع لأنه وحش ضخّم وشيطان كبير وهو يرمز إلى الإمبراطورية الرومانية الجبارة ، والقرون العشرة منه تمثل أباطرة روما العشرة الذين اضطهدوا النصارى الأوائل ، ومن المعروف أن تاريخ الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى بعد المسيح وحتى زمن قسطنطين الكبير الذي ادعى النصرانية حافل بأهوال الاضطهادات العشرة الشهيرة .

والخلاصة أن الوحوش الأربعة تمثل قوى الظلام أي مملكة الشيطان . وبهذه المناسبة يجدر الانتباه إلى حقيقة إسلامية هامة وهي : (إن الخير والشر من الله) ،

في حين أن قدماء الفرس آمنوا (بشنائية الآلهة) أي مبدأ الخير والنور مقابل الشر والظلام والعداوة الأبدية بينهما ، كما أنه في جميع الأدبيات اللاهوتية والدينية المسيحية التي قرأتها لم أعر على قول واحد يشبه هذا المبدأ الإسلامي بأن الله هو المصدر الحقيقي للخير والشر ، مما يعتبر معارضاً للنصرانية وأحد مصادر الكراهية للدين الإسلامي . رغم أن الله تعالى قد أعلن هذا المبدأ بجلاء لقورش الذي يقول عنه إنه (مسيحه) ويريد منه أن يؤمن بالإله الواحد فقط فيعلن :

(أنا مكون النور وخالق الظلام وصانع السلام وخالق الشر ، أنا الإله الذي يصنع كل هذا) (سفر إشعيا ٤٥/١-٧) . ولا يوجد تعارض بين هذا المبدأ وبين فكرة أن الله خير ، لأن مجرد إنكار ذلك يتعارض مع وحدانية الله المطلقة .

نعود الآن إلى رؤيا دانيال فنلاحظ أن الوحوش الرمزية الأربعة كانت عدوة (لشعب الله المختار) وهو ما كان يُدعى به شعب إسرائيل القديم والنصارى الأوائل ، لأنهم الوحيدون الذين كانوا يدركون المعرفة الحقيقية والكتب المقدسة ووحى الله وذلك على النقيض من الإمبراطوريات الأربعة التي اضطهدتهم . ولكن طبيعة القرن الصغير الذي برز في رأس الوحش الرابع كانت تختلف عن طبيعة الوحوش الأخرى بحيث أن الله نزل إلى السماء الدنيا ليقضي على الوحش الرابع بالدمار ، ثم دعا إلى حضرته البرناشا (ابن الإنسان) وأعطاه السلطان والمجد والملكوت كي تخضع له كل الشعوب والأمم والألسنة إلى الأبد (سفر دانيال ١٤/٧) وتكون أمته هي الأمة التي تقدر الله العلي القدير (سفر دانيال ٢٧/٧) .

فمن هو ذلك القرن الصغير ؟ . إنه بدون شك الإمبراطور الروماني الحادي عشر فالقرن الصغير يبرز بعد حدوث الاضطهادات العشرة تحت حكم الأباطرة

الرومان العشرة ، ومن المعروف أنه قبل تولي قسطنطين الكبير الحكم كانت الإمبراطورية ترزح تحت تنافس أربعة مرشحين لمنصب الإمبراطور كان قسطنطين واحداً منهم وقد مات الثلاثة الآخرون أو قتلوا في المعارك فخلا الجو لقسطنطين ليحكم الإمبراطورية الرومانية ، وقد حاول الشارحون والمعلقون النصارى الأوائل عبثاً أن يصوروا هذا القرن الصغير البشع على أنه الدجال وعلى أنه بابا روما عند البروتستانت وعلى أنه نبي الإسلام (معاذ الله) كما أن النقاد التوراتيين المتأخرين مختارون في حل مشكلة الوحش الرابع فيحاولون أن يصوروه على أنه الإمبراطورية اليونانية وأن القرن الصغير هو (أنطيوخوس إبيفانس) ، في حين أن الحيوان الرابع لا يمكن أن يكون إلا العالم الروماني القديم وللبهنة على أن القرن الصغير لم يكن سوى قسطنطين الكبير نطرح الحجج التالية :

(أ) تغلب قسطنطين على منافسيه الثلاثة وأصبح إمبراطوراً ويقدم كتاب جيون Gibbon (إنحطاط الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) أفضل تاريخ عن تلك العصور ، ولن يكون باستطاعة أحد اختراع أربعة متنافسين بعد الاضطهادات العشرة للكنيسة إلا قسطنطين ومنافسيه الثلاثة الذين تساقطوا أمامه كما تساقطت القرون الثلاثة أمام القرن الصغير .

(ب) رمزت الرؤيا إلى الإمبراطوريات الأربعة بوحوش عاقلة لكن القرن الصغير كان له فم وعينا بشر ، إنه وحش شنيع يملك المنطق والقدرة على الكلام . لقد أعلن عقيدة التثليث وترك روما للبابا وجعل من بيزنطة التي سماها القسطنطينية مركزاً للإمبراطورية وتظاهر باعتناق النصرانية لكنه لم يعتمد إلا قبيل موته وحتى هذا أمر مختلف عليه ، أما الأسطورة القائلة أن اعتناقه النصرانية كان بسبب رؤياه للصليب في السماء فقد ثبت أنها أكذوبة .

لقد اتبعت الوحوش الأربعة تجاه المؤمنين أسلوب المجابهة الوحشية ، أما القرن العقلاني فقد كان شيطانياً خبيثاً لأنه حرص على تحريف الديانة من الداخل .
لقد دخل قسطنطين إلى حظيرة المسيح على صورة مؤمن وفي ثياب حمل لكنه في دخيلة نفسه لم يكن مؤمناً فقد سَمَّ الأفكار وأفسد العقيدة كما سَنرى فيما يلي .

(ج) يَتَفَوَّه القرن الصغير (الإمبراطور الحادي عشر) بكلمات وصلت إلى درجة الكفر بالله وإشراك مخلوقاته معه وتسميته بأسماء وصفات خرقاء (كالوالد) و (المولود) و (إنبثاق الشخص الثاني والثالث في الثالوث) و (الوجدانية ضمن التثليث) و (التجسّد) ، كل ذلك من العقائد الفاسدة التي يعتبر العهد القديم دليلاً حياً على بطلانها وهي كفر بمقتة المسلمون واليهود معاً .

ومنذ نزول الوحي على إبراهيم في أور كلدان وحتى إعلان عقيدة مجمع نيقية عام ٣٢٥ م . وتنفيذ قراراتها بمرسوم إمبراطوري من قسطنطين وسط ارتياع واحتجاج ثلاثة أرباع المشتركين في مجمع نيقية لم يسبق قبل ذلك أن حصل تحد لوحداية الله على مستوى الدولة وبشكل فاضح من قبل أدعياء الإيمان كما حصل من قِبَل قسطنطين وجماعته من الكهنوت . ولو جُعِل (براهما أو أوزيرس أو جوبتر أو فيستا) شركاء لله لاعتبرنا ذلك مجرد عقيدة وثنية ولكن عندما نرى المسيح وواحداً من ملايين الأرواح المقدسة (الروح القدس) من عباد الله تعالى يُرفعان إلى مرتبة الألوهية ، لا نجد ما نصف به أصحاب تلك العقيدة سوى الكلمة التي اضطر المسلمون لاستخدامها وهي الكفر . وإذا قال قائل إن المقصود بالقرن ليس قسطنطين فالسؤال : من يكون إذن ؟ لقد سبق أن جاء فعلاً وهو ليس الدجال المفترض أن يظهر

مستقبلاً . وإذا لم نعتزف أن هذا القرن سبق أن ظهر فكيف يمكن تفسير الوحوش الأربعة التي يمثل أولها دون شك الإمبراطورية الكلدانية ، وثانيها الإمبراطورية الفارسية ، وثالثها إمبراطورية الإسكندر التي انقسمت إلى أربع ممالك بعد موته ؟ وإذا لم يمثل الوحش الرابع الإمبراطورية الرومانية فهل هناك أية دولة أو قوة خلفت إمبراطورية الإسكندر سوى الإمبراطورية الرومانية ذات العشرة حكام المتتالين الذين اضطهدوا المؤمنين ؟ إن القرن الصغير هو قسطنطين حتماً وليس مهماً أن يكون كاتب الفصل السابع من سفر دانيال نبياً أو راهباً أو مشعوذاً إذ المؤكد أن تنبؤاته ووصفه للحوادث قبل أربعة وعشرين قرناً ثبتت دقتها وصحتها في شخص قسطنطين الكبير ذلك الشخص الذي أحجمت كنيسة روما عن رفعه إلى مرتبة القديسين في حين فعلت ذلك الكنيسة اليونانية .

(د) لم يكف القرن الصغير بالإفتراء والكفر بل شن حرباً ضد المؤمنين واضطهدهم (سفر دانيال ٢٢/٧) لقد اضطهد النصارى الذين اعتقدوا كاليهود بوحدانية الله المطلقة وأعلنوا أن التثليث فكرة كاذبة وخاطئة ولا أساس لها في العقيدة ، وعندما دُعي أكثر من ألف من رجال الكهنوت إلى نيقية (أزيق حالياً) وافق (٣١٨) منهم فقط على قرارات المجلس وحتى هؤلاء الذين وافقوا كانوا يشكلون ثلاثة أحزاب متعارضة في تعابيرها الغامضة والملحدة التي لا تليق بأنبياء إسرائيل وتليق فقط (بالقرن المتكلم) .

إن النصارى الذين عانوا الاضطهاد والذبح تحت حكم الأباطرة الرومان الوثنيين لأنهم آمنوا بالله الواحد وبعده عيسى لم يكونوا أسعد حظاً تحت حكم قسطنطين (المسيحي) فقد حكم عليهم بموجب مرسومه الإمبراطوري

بعذاب أشد لأنهم رفضوا عبادة المسيح عبد الله ورفضوا اعتباره مساوياً
ومتحدداً في الجوهر مع ربه وخالقه ، أما كبار رجال الدين وكهنة المذهب
الأريوسي (الموحدون) فقد أبعدوا عن مراكزهم ونفوا وصودرت كتبهم
الدينية وأعطيت كنائسهم للأساقفة والقساوسة الثالوثيين ووضعت فرق
الجيش القاسية تحت تصرف الثالوثيين ، والخلاصة أن قسطنطين أنشأ نظام
حكم إرهابي ضد الموحدين استمر ثلاثة قرون ونصف حتى أسس المسلمون
دعائم دين الله وتسلموا السلطان والمجد والملكوت في الأراضي التي كانت
تسيطر عليها الوحوش الأربعة .

(هـ) يُتهم (القرن المتكلم) بأنه غير الشريعة وغير الأوقات (أي أيام الأعياد
والعطل) ويتضح ذلك فيما يلي :

تغيير الشريعة :

لقد خرق مرسوم قسطنطين بصورة سافرة وصيَّتين من شريعة موسى
الأولى حول وحدانية الله (لن يكون لك إله غيري) وقد تمَّ خرقها بادعاء وجود
ثلاثة أشخاص في شخص الله وأن الله تعالى مولود من مريم ، أما الوصية الثانية
التي تحرم صناعة الأصنام والتمثيل بغرض العبادة فقد تمَّ خرقها ليس فقط بصنع
التمثيل بل بجعل المخلوق إلهاً وعبادته ، وإمعاناً في الكفر فقد تمت تسمية الخبز
والنبيذ في القربان المقدس على أنه (جسد الله ودمه) .

تغير الأوقات :

بالنسبة لكل يهودي ملتزم ولني مثل " دانيال " الذي كان منذ شبابه شديد التقيد بالشرعية الموسوية ، ما الذي يمكن أن يكون أكثر مقتاً من تغيير عيد الفصح اليهودي passover (الذي يضحى فيه اليهود بحمل صغير) إلى عيد الفصح المسيحي Easter ، الذي اعتبر أن الحمل هو (حمل الرب) الذي تمت التضحية به على الصليب ؟

أضف إلى ذلك إلغاء عطلة السبت وإحلال يوم الأحد مكانها مما يعتبر خرقاً صريحاً للوصية الرابعة من الوصايا العشر . صحيح إن الإسلام بعد ذلك ألغى يوم السبت ولكن السبب أن اليهود أساءوا استعماله بإعلانهم أن الله استراح في اليوم السابع كأن الله يتعب كما يتعب البشر .

لقد ألغى قسطنطين يوم السبت بمرسوم إمبراطوري وحدد يوم الأحد مكانه لأنهم زعموا أن عيسى خرج من القبر يوم الأحد علماً أن عيسى نفسه كان شديد التقيد بيوم السبت وقد وبخ زعماء اليهود لأنهم اعترضوا على القيام بأعمال الخير في ذلك اليوم .

(و) إن الحرب التي أعلنها القرن الصغير (الإمبراطور الحادي عشر) ضد المؤمنين واستمرت لفترة ثلاثة قرون ونصف حتى ظهور الإسلام أدت إلى إضعافهم ولكنها لم تقض عليهم .

فقد كان " الأريسيون " المؤمنون بوحدانية الله يقاومون في سبيل عقيدتهم ويظهرون كلما سنحت لهم فرصة كما حدث في عهد قسطنطيوس (ابن

قسطنطين) وفي عهد (يولييان) وغيرهما ممن كانوا أكثر تسامحاً معهم من قسطنطين .

أما النقطة الهامة الأخرى في رؤيا دانيال فهي التأكيد من شخصية البرناشا (ابن الإنسان) الذي قضى على " القرن " ، وهو ما سنبحثه في الفصل التالي .



الفصل السادس

محمد هو المقصود بلقب ابن الإنسان

في الفصل السابق درسنا الرؤيا الرائعة للنبي دانيال (سفر دانيال ٧) ، وكيف رمزت وحوش أربعة متتالية لإمبراطوريات الكلدان فالفرس فالإسكندر الكبير فالرومان على التوالي وهي الإمبراطوريات التي اضطهدت اليهود والنصارى الموحدين الأوائل ثم درسنا كذلك كيف أن (القرن الحادي عشر) الذي نطق بالكفر واضطهد المؤمنين وبطل الشريعة وأيام العُطل والأعياد لا بد أن يكون قسطنطين الكبير الذي أعلن في عام ٣٢٥ م مرسومه الإمبراطوري منادياً بعقيدة التثليث وتاليه المسيح .

وفي هذا الفصل ندرس شخصية الـ (برناشا) (ابن الإنسان) الذي أتى به إلى الله العلي القدير فوق السحاب وأعطى السلطان والمجد والملكوت وكُلِّفَ بتدمير القرن الرهيب .

وقبل التأكد من شخصية (ابن الإنسان) يلزم أن نأخذ بالاعتبار الملاحظات التالية :

(أ) عندما يتنبأ رسول يهودي بأن (جميع شعوب وأمم الأرض سوف تخضع للبرناشا) (سفر دانيال ٧/١٤) ، وأن المملكة والسلطان تحت كل السماء سوف تعطى لشعوب المؤمنين (سفر دانيال ٧/٢٧) ، فمن الواضح أن ذلك يعني الشعوب التي جاء ذكرها في (سفر التكوين ١٥/١٨-٢٢) (في ذلك

اليوم عهد الله إلى إبراهيم : لِنَسْلِكَ أعطي هذه الأرض من نهر مصر الكبير إلى الفرات) وليس غيرهم من الأمم .

(ب) إن عبارة (شعوب المؤمنين) تعني أولاً أن اليهود في ذلك الوقت ثم النصارى الموحدين الذين عانوا الاضطهاد بسبب إيمانهم الصحيح وصمدوا حتى ظهور الـ (برناشا ابن الإنسان) الذي دمر القرن .

(ج) لقد وجب بعد دمار القرن أن يسيطر المؤمنون على أمم الكلدان والفرس واليونان والرومان وهي الأمم التي رمز لها بالوحوش الأربعة والتي سبق أن غزت وسيطرت على الأراضي المقدسة . وبالفعل فإنه امتداداً من البحر الأدرياتيكي حتى الصين خضعت جميع الأمم والشعوب للمسلمين الذين كانوا وحدهم أصحاب الإيمان الحقيقي .

(د) كان اليهود شعب الله المختار حتى مجيء عيسى عليه السلام ، أما بعد ذلك فلم يعد اليهود ولا النصارى يستحقون لقب (شعوب المؤمنين) حسب تعبير (سفر دانيال ٢٧/٧) لأن اليهود رفضوا رسالة عيسى ، أما النصارى فقد أهانوه بشركهم ، فضلاً عن أن اليهود والنصارى معاً لم يعترفوا ببعثة خاتم الأنبياء .

وعلى كل ذلك نستطيع أن نثبت أن الـ (برناشا) ابن الإنسان الذي أرسل لتدمير القرن وسحق الإمبراطورية الرومانية لم يكن غير محمد ومهما يذلون من محاولات لابتداع شخصية أخرى غيره للقيام بدور (البرناشا) فإن ذلك لا يعدو أن يكون تهافتاً للأسباب التالية :

١ - يجب أن يكون واضحاً أن اليهود والنصارى لا يحملون اسماً صحيحاً لديانتهم، فالديانة الحقّة لا تُسمى بإسم مؤسسها الثاني وهو النبي المرسل لأن مؤسس الديانة الحقيقي هو الله وليس نبيّه . ولذا فإن الاسم الصحيح للديانة التي أوحى الله بها إلى أنبيائه تدعى (الإسلام) مما يعني (صنع السلام) أي أن يعيش المسلم في سلام مع نفسه ومع الآخرين . إن (الحمديّة) ليست اللقب الصحيح للإسلام لأن محمد كان مسلماً ولم يكن (محمدياً) . إن اليهودية تعني ديانة يهوذا ولكن ماذا كان يهوذا نفسه ؟ إنه لم يكن يهودياً ولم يتخذ لنفسه تلك الصفة ، كما أن المسيح لم يكن مسيحياً .

إن موسى عليه السلام لم يسمع في حياته باسم الديانة اليهودية كما أن عيسى عليه السلام لم يسمع باسم الديانة المسيحية أثناء وجوده على هذه الأرض .

إن لغة دانيال قرية جداً من لغة القرآن فهو يُكرر لفظ (الدين) و (الدينونة) وبحسب شريعة هذا (الدين) قام الـ (برناشا) بتعطيم ديانة الشيطان ومن المستحيل أن يكون المقصود بلقب (ابن الإنسان) أي شخص آخر غير محمد . إن الإسلام هو سيادة (السلام) الذي يقوم به العدل ويقهر الظلم ويظهر الصدق ويدين البهتان والكذب . والملاحظ في اللغة الإنكليزية أنه يطلق على قاضي الصلح اسم قاضي السلام " Justice of Peace " وهذا تقليد للقاضي المسلم الذي يسوي الخصومات بمعاقبة المذنب والتعويض على البريء وبهذه الطريقة يتحقق السلام فأين ذلك من النصرانية وأناجيلها التي تمنع النصراني من اللجوء للقضاء مهما كان مظلوماً ومضطهداً . (متى ٥/٢٥-٢٦ ، ٣٨ -

(٤٨) .

٢ - إن البرناشا (ابن الإنسان) هو محمد دون شك لكونه جاء بعد قسطنطين وليس قبله كاليسوع والأنبياء الآخرين ، وقد تمكن معتنقوا عقيدة التثليث ، أتباع (القرن الرهيب) قسطنطين الكبير ، من اضطهاد الموحدين وقهرهم لمدة وصفتها نبوءة دانيال بأنها (زمان وأزمنة ونصف زمان) (دانيال ٢٥/٧) أي ثلاثة قرون ونصف القرن ، تُستأصل في نهايتها على يد البرناشا جميع القوى الوثنية وجميع ممالك الطغيان والشرك بالله (سفر دانيال ٢٦/٧) . ولذا من العبث الادعاء أن (يهودا المكابي) كان هو البرناشا وأن القرن الرهيب كان أنطوخوس إيفانس ، إذ يُزعم أن أنطوخوس عاش فقط ثلاث سنوات ونصف السنة ، أو ثلاثة أيام ونصف اليوم ، بعد تدنيسه معبد القدس .

فنحن نعلم أن أنطوخوس الذي خلف الإسكندر الكبير على ملك سوريا لا يمكن أن يكون القرن الرهيب الحادي عشر للوحش الرابع ، لأنه بحسب رؤيا دانيال كان أنطوخوس واحداً من الرؤوس الأربعة للوحش الثالث .

ومن جهة ثانية فإن القرن الرهيب الناطق يشير إلى أن الشخص الذي تكلم بالكفر ثم غير الشريعة أيام الأعياد لم يكن وثنياً ولكنه كان عارفاً بالله ومع ذلك أشرك به عمداً وجعله ثالوثاً ، في حين أن أنطوخوس لم يفسد العقيدة اليهودية بالدعوة إلى التثليث ولم يغير شريعة موسى ولا أيام الأعياد .

كما أنه من الضحالة إعطاء مثل هذه الأهمية إلى أحداث تافهة جرت بين ملك صغير في سوريا (أنطوخوس) وبين زعيم يهودي ضئيل الشأن (يهودا المكابي) لا يمكن مقارنته مع البرناشا العظيم ولا مع المهمة الكبرى الموكلة إليه . إن الرؤيا النبوية تصف البرناشا بأنه أعظم الرجال وأنبلهم على الإطلاق

و لم يرد في العهد القديم مثل هذا التعظيم والتشريف لأي إنسان يستحق ذلك
مثلما استحقه النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

٣ - هناك سببان رئيسان يجعلان من المستحيل أن يكون عيسى المسيح هو صاحب
تلك المهمة الكبرى والمنزلة الرفيعة التي أعطيت لـ (ابن الإنسان) :

(أ) إذا كان المسيح مجرد نبي من الأنبياء وقومنا بعثته من حيث نجاحها أو فشلها
فهو من المؤكد دون منزلة محمد بقدر كبير . ولكن إذا اعتقد البعض أنه إله
وثالث ثلاثة فعندئذ لا يوضع في صنف البشر ، وتلك معضلة لا يمكن
الخروج منها بحل لأنه في كلا الحالتين لا يمكن للبرناشا أن يكون عيسى .

(ب) لو كان عيسى مكلفاً بسحق الوحش الرابع لما وافق على دفع الضريبة لقيصر
ولما أمكن للحاكم الروماني بيلاطس أن يجلبه بل على العكس كان عليه أن
يهزم الرومان من فلسطين وينقذ بني إسرائيل منهم .

٤ - لم يظهر في هذا العالم نبي مثل محمد انتمى إلى سلالة حكمت لزمن يقرب من
(٢٥٠٠) عام وحافظت على استقلالها ولم تخضع مطلقاً لأجنبي . كما لم
يظهر رجل على وجه الأرض قدم من المبادئ والقيم والأخلاق لأمتة خاصة
وللعالم عامة أكثر من محمد ومن المستحيل التصور بأن مخلوقاً آخر غيره جدير
بالتقدير والإجلال الذي صورته به تلك الرؤيا النبوية ، لقد تطلع إليه النبي
الكبير دانيال بتهيب وإعجاب لأنه تُوجَّ سلطاناً على الأنبياء وقائداً للإنسانية
جمعاء . ولا غرابة أن النبي داود أطلق عليه لقب (سيدي) ، (المزمور ١١٠) .

٥ - لقد قوبل محمد عندما أسري به ليلاً إلى السماء بأعلى مراتب الشرف وخولت له القوة لمحو الوثنية وسحق الكفر وإزالة نفوذه من جميع البلاد التي وهبها الله له ولشعبه ميراثاً أبدياً^(١) .

٦ - بحسب قناعتي المتواضعة فإن رؤيا دانيال فيما يتعلق برحلة البرناشا فوق السحاب وحضوره أمام الله تعالى تتفق وتتطابق مع (المعراج) ليلة أسري بالنبي محمد إلى السماء وهناك عدة إشارات في كل من كلام دانيال والحديث النبوي الشريف أدت بي إلى هذا الاعتقاد .

وقد ورد في القرآن الكريم أنه في ليلة الإسراء والمعراج أسرى الله بعبده من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس الذي بارك الله حوله، ذلك المسجد الذي كان خراباً في ذلك الزمن (سورة الإسراء) .

ويروى أن النبي الكريم صلى بالأنبياء إماماً في الحرم القدسي كما أنه عرج به من القدس إلى السموات السبع حيث رأى من آيات ربه الكبرى مما أوضح بعضه النبي دانيال الذي روى حكم الله سبحانه وتعالى بحق القرن الكافر .

وقد تكون الروح التي فسّرت الرؤيا للنبي دانيال ملاكاً أو روح نبي فقد دعاها (بالْقُدُس) وهي صيغة مذكر أو قدّوس (سفر دانيال ٨/١٢-١٤) . لكم بلغت الغبطة بتلك الأرواح المقدسة للأنبياء والشهداء بعد أن عانت الاضطهاد المرير من الوحوش الأربعة عندما شهدت قرار الحكم بالموت يصدره العلي القدير ضد ثالوث قسطنطين بحضور خاتم الأنبياء الذي كلف بإبادة القرن الكافر .

(١) ليس لشعب و (أمة) محمد جنس أو لون يفضل لسائر الأجناس ليستعبدها ، كما هو الحال عند اليهود ومتطرفي النصارى من البيض .

ونحنُ كمسلمين نقر بأن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معاً مما يتوافق مع شهادة دانيال وهو أمرٌ لا يستحيل على قدرة الله سبحانه وتعالى .

وهنالك رؤيا مشابهة للقديس بولس عن رجل كان قد رفع إلى السماء الثالثة ومن ثم إلى الفردوس حيث سمع وشاهد ما لا يمكن وصفه وتعتقد الكنائس وبعض المعلقين بأن بولس نفسه كان ذلك الرجل لأن النص يوحى بذلك وهم يعتقدون أن بولس لم يذكر ذلك صراحة من باب التواضع (٢ الكورنثيين ١/٧-٤) .

وكون بولس لم يُفصح عن هوية ذلك الرجل الذي ذكره في رؤياه ، وقوله إن الكلمات التي سمعها في الفردوس لا يمكن ترديدها ولا يُسمح لأي إنسان أن ينطق بها يؤكد أن بولس لم يكن ذلك الرجل ، فهو لم يكن متواضعاً بدليل أنه كان يتبجح أنه عَنف بطرس مواجهة كما كانت رسائله " epistles " تتمحور حول ذاته ، كما أننا نعرف من كتاباته إلى (غالاتية) وإلى الرومان كم كان متحيزاً إلى يهوديته ومتحاملاً ضد هاجر وولدها إسماعيل .

إن ذلك الشخص العظيم الذي شاهده في رؤياه لا يمكن أن يكون غير ذلك الشخص الذي رآه دانيال أيضاً ، وهو محمد ، غير أنه لم يتجرأ أن يذكر الكلمات التي سمعها لأنه كان يخاف اليهود من جهة ، ومن جهة أخرى كان يخشى أن يناقض نفسه . لقد اعترف بولس أن الشيطان كان ينفخ في رأسه (٢ الكورنثيين ١٢/٧) مما منعه من إظهار الحقيقة وكلما فكر المرء ملياً في تعاليم بولس تضاعل الشك عنده في أنه كان نموذجاً مطابقاً لقسطنطين الكبير .

والنتيجة أنني أسمح لنفسي باستخلاص العبرة من هذه الرؤيا الرائعة للنبي
دانيال وأهيب بغير المسلمين أن يعتبروا بالمصير الذي انتهت إليه الوحوش الأربعة ،
إن الله وحده هو الإله الحق وأن المسلمين وحدهم توصلوا للإيمان بوحدانيتة
المطلقة واهتدوا بنبوة محمد سيد وخاتم الأنبياء .



الفصل السابع

الملك داود بدعوه (سيدي)

يورد سفر (صموئيل) و (المزامير) من العهد القديم الكثير من قصص داود ومنها أنه قذف في شبابه حجراً صغيراً إلى جهة البطل الفلسطيني جالوت (Goliath) فقتله مما أدى إلى انتصار جيش إسرائيل ، وقد كافأه الملك طالوت (شاؤول Saul) أول ملوك بني إسرائيل على ذلك بأن وافق على تزويجه ابنته ميشال .

وعند وفاة طالوت تولّى داود الحكم ، وكان النبي صموئيل قد مسح قبل ذلك بالزيت تمهيداً لحكمه . وقد امتد حكم داود بضع سنوات في الخليل ثم استولى على القدس من اليوسيين وجعلها عاصمة مملكه وقد سُمي التّلال القائمات هناك باسم (موريا وصيون) وهاتان الكلمتان تؤديان نفس المعنى لكلمتي المروة والصفاء في مكة المكرمة وتعني كلمة المروة (مكان رؤيا الرب) وكلمة الصفاء (الصخرة أو الحجر) ، وقد طالت مدة حكمه أربعين عاماً إتّسمت بالحروب والأحزان وهنالك روايات متضاربة حوله تُعزى إلى مصدرين مختلفين .

لم يرد في القرآن الكريم (سورة ص) ما يؤيد الخطيئة المنسوبة لداود في حق جنديّه (أوريا) وزجته (سفر صموئيل الثاني ، الفصل ٩) . ومن عظمة القرآن أنه ينزه الأنبياء عن الفواحش . فهو لا ينسب إليهم كما فعلت التوراة المحرّفة جرائم وآثاماً كاتهام داود بالزنا مما يُعاقب عليه بالموت حسب شريعة موسى ، تلك التهمة التي يصعب أن نعزوها لشخص عادي ناهيك عن نبي مرسل .

وقد ذكر الرازي في تفسيره أن معظم العلماء يرفضون هذه التهمة على أنها إفتراء وأن كلمات الاستغفار في نص الآيتين (٢٤-٢٥ من سورة ص)^(١) لا تدل على ارتكاب داود للإثم لأن الاستغفار يعني أيضاً طلب الحماية وإصلاح الأمور .

أنقسمت مملكة داود بعد ابنه سليمان إلى دولتين كثيراً ما كانتا تتحاربان ، فقد كانت الأسباط العشرة التي كونت مملكة إسرائيل (السامرة) معادية لسلالة داود التي كونت مملكة يهوذا . ولم تقبل الأسباط العشرة أي جزء من العهد القديم سوى الأسفار الخمسة Pentateuch وهذا واضح من النسخة السامرية للأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم إذ لا نجد فيها كلمة واحدة أو نبوءة واحدة عن سلالة داود حتى الأقوال المنسوبة لكبار الأنبياء مثل إلياس واليسع وغيرهما ممن عُرفوا في السامرة خلال حكم ملوك إسرائيل الطغاة .

إلا أنه بعد سقوط مملكة إسرائيل ونفي الأسباط العشرة إلى بلاد آشور بدأت تظهر النبوءات بقدوم أمير من سلالة داود يعيد جمع شمل الأمة ويخضع أعدائها ، وهنالك العديد من الأقوال المبهمة في هذا الصدد منسوبة إلى الأنبياء المتأخرين مما زوّد قساوسة الكنيسة فيما بعد بنشوة كبيرة رغم أنه لم يكن لهذه الأقوال أية علاقة بعيسى المسيح ، وسوف أذكر بإيجاز مثالين من هذه النبوءات :

النبوءة الأولى : في (سفر إشعيا ١٤/٧) عن فتاة (ألام بالعبرية) حامل سوف تلد ولداً اسمه عمانوئيل وكلمة (ألام) العبرية لا تعني عذراء كما اعتاد اللاهوتيون النصارى تفسيرها لكي يشيروا بها إلى مريم العذراء ولكنها تعني امرأة

(١) ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ فَاستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لِزُلْفَى وَحُسْنِ مَآبٍ ﴾ . سورة ص : ٢٤-٢٥ .

أو فتاة في سن الزواج في حين أن الكلمة العبرية التي تدل على معنى عذراء هي (بتوله) وأما اسم عمانوئيل فهو يعني (الله معنا) وثمة مئات من الأسماء العبرية التي تنتهي أو تبدأ بمقطع (إيل) ومن المؤكد أنه لم يدر في فكر إشعيا أو الملك آحاز (ملك يهوذا عندئذ) أو أي يهودي إطلاقاً أن الطفل الوليد سيكون هو (الله) بنفسه (معنا) وإنما كانوا يعتقدون أن ذلك سيكون اسم مبارك للطفل الوليد ، إذ كان آحاز في خطر والقدس تحت الحصار فأعطيت له علامة الفرج وهي الفتاة التي ستلد ولداً اسمه عمانوئيل وبالطبع لا يمكن أن تكون الفتاة مريم العذراء التي ستظهر بعد أكثر من سبعمائة عام .

إن تلك النبوءة البسيطة بأن طفلاً اسمه عمانوئيل سيولد خلال حكم آحاز قد أساء فهمها كاتب إنجيل متى (متى ٢٣/١) . رغم أن الملاك جبريل أطلق على ابن مريم عليهما السلام اسم عيسى (متى ٢١/١) ولم يطلق عليه اسم عمانوئيل ، وهكذا فإن اعتبار اسم عمانوئيل برهاناً على عقيدة التجسد المسيحية ليس إلا مغالطة كبرى .

وكمثال آخر إليك النبوءة الواردة في (سفر زكريا ٩/٩) : (ابتهجي يا بنت صهيون ، واهتفي يا بنت القدس ، هو ذا ملكك قادم إليك ، إنه عادل منتصر وديع يأتي بالخلاص ويمتطي حماراً ابن أتان) . في هذه العبارة الشعرية يود الكاتب ببساطة أن يصف الحمار الذي يمتطيه الملك بقوله : إنه كان حماراً فتياً مما يوصف أنه ابن الأتان .

لكن إنجيل متى نقل هذه العبارة على النحو التالي (متى ٥/٢١) : (قولوا لابنة صهيون هو ذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وعلى جحش ابن أتان) . وليس مهماً أن يكون الشخص الذي كتب العبارة المذكورة أعلاه قد آمن أم لم

يؤمن حقيقة بأن عيسى لدى دخوله الظافر إلى القدس كان يمتطي أتاناً وابنها معاً في وقت واحد ، كمعجزة يحترمها من المعجزات ، إلا أن الغريب أن معظم الآباء النصارى آمنوا بذلك رغم أن وصفاً كهذا هو أقرب إلى الهزل منه إلى جدية الموكب الملكي المهيّب . غير أن لوقا كان حذراً ولم يقع في خطأ متى ، فهل يعقل أن يكون الكاتبان قد استمدا الإلهام من الروح القدس نفسه ؟ بعد عودة اليهود من السبي البابلي تنبأ زكريا في القدس بمجيء ملك وديع ومتواضع يركب حماراً يأتي بالخلاص ويعيد بناء بيت الله ، وقد تنبأ زكريا بهذا عندما كان اليهود يأملون إعادة بناء المعبد ومدينة القدس المخربة وكانوا على عداوة مع الشعوب المجاورة ، غير أنه لم يظهر بعد القرن السادس قبل المسيح أي ملك يهودي مع أن اليهود تمتعوا بحكومات مستقلة ذاتياً ضمن السيادة الأجنبية . ومن الواضح أن زكريا قصد في نبوءته خلاصاً مادياً وفورياً لليهود وليس خلاصاً مؤجلاً لفترة خمسمائة وعشرين عاماً بانتظار أن يركب عيسى المسيح حماريه في آن واحد ويدخل القدس التي أصبحت عندئذٍ مدينة كبيرة غنية وبها المعبد الرائع لكي يقبض عليه اليهود أنفسهم ويسلمونه لسادتهم الرومان كما تقول لنا الأناجيل الحالية . إن هذا لم يكن ليمثل أي عزاء لليهود المقهورين الذين كانوا في القدس المخربة يحيط بهم الأعداء من كل جانب ، ولذلك فإنه يفهم من كلمة ملك أنه قد يكون أحد كبار قادتهم مثل زيروبابل Zerobabel أو عزرا (عزير) أو نحميا .

إنني أقصد من هذين المثالين أن أبين لقرائي كيف قام الأحبار والرهبان بتضليل النصارى بإعطائهم تفسيرات ومعانٍ غبية للنبوءات الموجودة في الكتب اليهودية المقدسة .

والآن إلى نبوءة داود موضوع هذا الفصل التي يقول فيها (قال يَهُوه Yahwah) لسيدي (Adon) اجلس على يميني ، حتى أجعل أعدائك مسنداً لقدميك) .

وردت نبوءة داود هذه في المزمور (١١٠) واقتبسها كل من متى (٢٢/٤٤) ومرقس (١٢/٣٦) ولوقا (٢٠/٤٢) . وكتبت في جميع اللغات على النحو التالي : (قال الرب لربي) بدلاً من (قال يهوه لسيدي) ومغزى ذلك أنه إذا كانت كلمة الرب الأولى تعني الله ، فإن كلمة ربي الثانية تعني الله أيضاً أي أن المتكلم هو الله والمخاطب هو الله أيضاً ، لذلك فإن داود يعرف ربين اثنين ؟! ورغم غرابة هذا المنطق فقد وجد فيه الآباء النصارى حجة ملائمة لعقيدتهم ! فأي من هذين الربين هو إله داود ؟ لو قال داود فعلاً : قال الرب لربي لجعل من نفسه أضحوكة ليس فقط لأنه اعتقد بإلهين اثنين بل أيضاً لأن رب داود الثاني قد التجأ إلى ربه الأول الذي أمره أن يجلس إلى يمينه حتى يجعل من أعدائه مسند قدم له .

إن هذا الخلط يجعل من المحتم أن يعرف المرء توراته أو إنجيله أو قرآنه باللغة الأصلية التي كتبت بها لكي يتمكن من الفهم الصحيح للدين .

لقد كتبتُ الكلمات العبرية الأصلية وهي (يهوه Yahwah) و (أدون Adon) لتفادي أي غموض وسوء فهم في معناها . إن مثل هذه الأسماء في الكتب المقدسة يجب أن تُترك على حالها ما لم نجد كلمة معادلة لها تماماً في اللغة التي تترجم إليها . إن الكلمة الرباعية الحروف (ي ه و ه) التي كانت تلفظ (يهوفاً) صارت الآن تلفظ (يَهُوه) وهي أحد أسماء الأعلام لله تعالى ويقدها اليهود لدرجة أنهم عندما يقرأون كتبهم المقدسة فإنهم لا يلفظونها بل يقرأون

أدونى " Adoni " بدلاً منها أما الاسم الآخر (إلهيم) فيلفظونه في حين أن اسم (يهوه) لا يلفظونه قط . أما السبب الذي من أجله يحدث اليهود هذا التمييز بين هذين الاسمين لنفس الإله فهو مسألة قائمة بذاتها وخارج نطاق بحثنا ، ويذكر بهذه المناسبة أن اسم (يهوه) لا يستعمل مع ضمائر متصلة قط ، ويبدو أنه اسم خاص بالعبرية للذات الإلهية بإعتباره الإله القومي لشعب إسرائيل أما (إلهيم) فهو أقدم اسم معروف لجميع الساميين وكثيراً ما تستعمل الكلمة الرباعية يهوه جنباً إلى جنب مع (إلهيم) . والصيغة العربية (الله ربنا) توازي الصيغة العبرية (يهوه إلهيم) .

أما الكلمة الأخرى (أدون Adon) فتعني الأمر أو السيد أو الأمير ولذلك فإن الجزء الأول من النبوة يجب أن يقرأ هكذا (قال الله لسيدي) .

لقد كان داود بصفته ملكاً هو السيد والأمر على كل يهودي وسيد المملكة كلها فمن هو سيده إذن ؟ لا يمكننا أن نتصور أنه كان يدعو به (سيدي) أي نبيّ متوفى كإبراهيم أو يعقوب الذين كان يستخدم لهم في العادة لقب (الأب) ، ومن المفهوم أيضاً أنه لا يمكن لداود أن يدعو أحداً من سلالة (سيدي) لأن اللقب المعقول سيكون (بُني) ولذا فإنه لا يتفق أن يكون سيداً لداود بعد الله إلا من هو أشرف الخلق وأنبلهم .

ومن الفطنة أن نفكر بأن الله سبحانه وتعالى قد اختار رجلاً له من الصفات ما يجعله أنبل البشر وأحقهم بالثناء وأولاهم بالاعتداء ولا شك أن الحكماء والأنبياء عرفوا هذه الشخصية الكريمة منذ القدم ودعوها (سيدي) كما دعاها داود .

وقد استنتج أحبار اليهود ومفسروا العهد القديم أن هذا التعبير يعني المسيح المنتظر المفروض أن ينحدر من نسل داود . ولكن عيسى المسيح عليه السلام صحّ اعتقادهم وأفادهم بأنه ليس هو المخلص المنتظر إذ أجابهم على أسئلتهم بقوله (إذا كان داود يدعو سيدي فكيف يكون ابنه) - متى ٢٢/٤٤ (و (مرقص ١٢/٣٦) و (لوقا ٢٠/٤٤) ، وقد قطع كتاب الأناجيل تمة هذا الحوار فجأة دون مزيد من الإيضاح مما لا يليق بهم ولا بالمعلم ، لأنه من المؤكد أن المعلم قد حلّ الإشكال الذي أثاره عندما وجد أنه لا حواريين ولا الحضور استطاعوا أن يعرفوا من يكون (السيد) هذا ؟ .

وعندما قال عيسى إن (السيد) أو (الأدون) لا يمكن أن يكون ابناً لداود فقد استثنى نفسه من ذلك اللقب . وهذا الإيضاح حاسم ويجب أن ينبه النصارى لكي ينظروا للمسيح نظرة واقعية وهي أنه عبد الله ورسوله وأن يرفضوا الطابع الإلهي الذي نُسب إليه والذي لم يدّعه لنفسه .

ولا نستطيع أن نتصور معلماً مخلصاً يرى طلابه عاجزين عن الإجابة على سؤاله ويبقى صامتاً إلا إذا كان مثلهم جاهلاً وعاجزاً عن الإجابة ولكن عيسى عليه السلام لم يكن بالمعلم الجاهل وهو قطعاً لم يترك المسألة دون حل غير أن أناجيل الكنائس لم تورد جواب عيسى على السؤال (من هو سيد داود) ؟ في حين أن إنجيل برنابا قد أورده . وقد رفضت الكنائس هذا الإنجيل لأن لغته أكثر توافقاً مع الكتب المنزلة ولأنه يعبر بوضوح عن طبيعة رسالة عيسى المسيح وأهم من ذلك فإنه يسجل بدقة كلمات عيسى عن محمد . ومن السهل الحصول على نسخة من هذا الإنجيل الذي ستجد فيه جواب عيسى الذي قال : (إن العهد بين

الله وإبراهيم كان موضوعه إسماعيل وإن أكثر الناس مجداً وحمداً سيكون من سلالة إسماعيل وليس من سلالة إسحاق وداود) .

وليس من شك في أن رؤيا دانيال التي تنبأت بالبرناشا العظيم (محمد) قد تطابقت مع نبوءة داود كما تطابقت أيضاً مع رؤيا النبي أيوب (أيوب ١٩/٢٥) الذي تنبأ بالمخلص الذي ينقذ الناس من سلطة الشيطان .

يوصف النبي محمد عادة بأنه سيد المرسلين أي (أدون Adon الأنبياء) وأن الحجج التي وردت في العهد القديم مصداقاً لذلك هي من الوضوح بحيث لا يسع المرء إلا أن يدهش من جهل أو مكابرة أولئك الذين يرفضون أن يفهموا ويدعنوا للحق .

١ - إن أعظم نبي وسيد (أدون) ليس بالفاتح العظيم ولا مكتسح البشرية ولا معتكف يقضي حياته في كهف أو دير من أجل تخليص نفسه فقط ، ولكنه ذلك الذي يقدم الخير والخدمة للبشر ، فينير لهم طريق المعرفة بالله ويقضي على سلطة الشيطان ومؤسساته ، لقد سحق محمد رأس الأفعى ومن أجل ذلك يطلق القرآن على الشيطان اسم (إبليس) أي (المنكسر أو المسحق) ، وقد طهر الكعبة وبلاد العرب من الأصنام وأخرج العرب من ظلام الجاهلية والوثنية وزودهم بالنور والدين والسلطة ، وطهر فلسطين وسائر البلاد التي زارها إبراهيم من الوثنية والشرك وسلطة الشيطان ونشر النور في أنحاء الدنيا حتى أن أعماله وإنجازاته العظيمة لم يضاهيها شيء في تاريخ البشرية .

٢ - لقد أكد عيسى المسيح نفسه أنه لم يكن سيداً لداود كما يّين أن المخلص المنتظر لن ينحدر من نسل داود ، وهكذا فإنه لم يبق سوى محمد من بين جميع

الأنبياء سيداً لداود ، وعندما نقارن بين الثورة الدينية التي حققها حفيد إسماعيل العظيم في العالم وبين ما حققه آلاف الأنبياء مجتمعين نخرج بنتيجة تفرض نفسها وهي أن محمد وحده قد استحق لقب (أدون) سيد الأنبياء والمرسلين .

٣ - كيف عرف داود أن (يهوه) قال لسيدته (الأدون) : (اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك مسنداً لقدميك) ؟ ومتى سمع داود كلام الله هذا ؟ لقد أعطانا المسيح الجواب على ذلك بقوله (إن روح داود كتبت ذلك) ذلك أن داود رأى الأدون محمد كما رآه دانيال (سفر دانيال ٧) ، وكما رآه بولس (٢ الكورنثيين ١٢) وكما رآه آخرون كثيرون . بالطبع إن لغز (اجلس عن يميني) غامض بالنسبة لنا ومع ذلك نستطيع أن نستنتج باطمئنان أن هذا التكريم الخاص لمحمد أي شرف جلوسه عن يمين عرش الله ورفعته إلى مصاف سيد الأنبياء والخلائق أجمعين قد حدث ليلة الإسراء والمعراج .

٤ - إن اعتراض الكنيسة الرئيسي الوحيد على بعثة محمد وتفوقها هو تنديدها بتعاليم الثالوث ، ولكن العهد القديم لا يعرف إلهاً سوى الله الأحد ، إن سيد داود لم يجلس على يمين إله ثلاثي ولكن على يمين إله واحد .



الفصل الثامن

السيد ورسول العهد

يطلق على آخر أسفار العهد القديم اسم (ملاخي) مما يعني (ملاكي) أو (رسولي) . والكلمة العبرية (ملاخ) كالعربية (ملاك) وكاليونانية (أنجيلوس anghelos) التي اشتق منها الاسم الإنجليزي (Angel) وتعني المرسل المكلف بإبلاغ رسالة أو خبر .

غير أنه ليس معروفاً من هو (ملاخي) المشار إليه في السفر كما لا تعرف فترة ظهوره ونبوءته في التاريخ اليهودي إذ لا يزودنا سفر ملاخي ولا أي جزء آخر من أجزاء العهد القديم بهذه المعلومات . يبدأ سفر ملاخي بالكلمات التالية : (خطاب يهوه إله إسرائيل على يد ملاخي) ويحتوي على أربعة فصول قصار .

والخطاب موجه إلى يهود القدس الذين كانوا يقدمون على المذابح أحقر أنواع الأضاحي والقرايين من الغنم والماشية ، العمياء منها والعرجاء والهزيلة . ويهملون دفع الأعشار وإذا اختاروا دفعها فهي من أسوأ الأصناف ولم يكن الكهنة يكرسون وقتهم لأداء واجبهم لأنه يستحيل عليهم الأكل من شرائح لحم البقر وقطع الضأن المشوية المأخوذة من الأضاحي العجفاء كبيرة السن مشلولة القوائم ولم تكن تكفيهم الأعشار الضئيلة على أية حال . وأما (يهوه) الذي يخاطب هؤلاء القوم المتعذر إصلاحهم فإنه يهدد حيناً ويمتنع عن الوفاء بالوعود حيناً آخر ويتذمر أحياناً . ويبدو أن النبي ملاخي قد أورد هذه النصوص في أوائل القرن الرابع قبل المسيح عندما كان شعب إسرائيل يتأفف من يهوه وكان من عادة

اليهود قولهم (إن مائدة الرب يهوه بغیضة ووجبات الأكل التي يقدمها مزرية)
(ملاخي ١/١٢) كما كانوا يقولون : (كل من يفعل الشر فهو صالح في نظر
يهوه وهو يُسرّ به ، أو : أين إله القضاء ؟) (ملاخي ١٧/٢) .

يرجع سفر ملاخي إلى ما بعد فترة الأسر البابلي وقد كُتبت بأسلوب عبري
جيد .

ولكن يستحيل الادعاء بأن هذا السفر قد وصل إلينا سليماً دون تحريف
وهناك العديد من الجُمَل المشوهة فيه يكاد يستحيل فهم المعنى المراد منها .

وموضوع بحثنا في هذا الفصل هو النبوءة الشهيرة في سفر ملاخي التي تقول
(هأنذا أبعث برسولي ، وسوف يمهد السبيل أمامي ، وسوف يأتي فجأة إلى
هيكله السيّد الذي تبحثون عنه ، ورسول العهد الذي ترغبون هو ذا يأتي . هكذا
يقول رب الجموع) (ملاخي ١/٣) .

هذه واحدة من النبوءات الشهيرة عن مجيء المخلص المنتظر ، غير أن جميع
القديسين والآباء والباباوات والبطارقة والقسس والرهبان وحتى أطفال مدارس
الأحد سيقولون لنا أن كلمة (رسولي) المذكورة في النص تشير إلى يحيى
المعمداني وإن عبارة (رسول العهد) التي حرفتها نُسخهم الوطنية إلى (ملاك
العهد) تشير إلى عيسى المسيح .

إن معرفة المعنى الصحيح لهذه النبوءة أمر في غاية الأهمية لأن الكنائس
المسيحية اعتقدت أن المقصود بها شخصان مختلفان . وسبب ذلك هو الخطأ الكبير
الذي وقع فيه القديس متى ذلك أن من خصائص إنجيله الحرص على إثبات تحقّق
نبوءات العهد القديم فيما يتعلق بكل حدث تقريباً من أحداث حياة عيسى

المسيح ، وفي سبيل ذلك لم يهتم أن يقع في التناقضات ولم يدقق في اقتباساته من الكتب العبرية المقدسة ومن الواضح أنه لم يكن متمكناً من قواعد لغته . وفي مقالة سابقة أشرت إلى أحد أخطائه الهامة حول الحمار المفترض أن يمتطيه عيسى .

كل ذلك مما هو في غاية الخطورة فهو يمس صحة الأناجيل ومصادقيتها ، فهل يُعقل أن يجهل الحوارى متى حقيقة نبوءة ملاخي (١/٣) مما يضع إنجيله موضع التساؤل ؟ وماذا نقول عن مؤلف الإنجيل الثاني القديس مرقس الذي ينسب العبارة الموجودة في ملاخي إلى إشعيا ؟ (مرقس ٢/١) . كما أن متى (١١/١-١٥) قد نسب إلى عيسى قولاً نقله لوقا أيضاً (لوقا ١٨/٧-٢٨) وهو أن عيسى أعلن للجمهور أن يحيى كان أكثر من نبي وأنه هو الذي كُتِبَ عنه : (إنني مُرسل ملاكي أمام وجهك ، وأنه سوف يمهّد طريقك أمامك) وأنه (لم يوجد بين من ولدتهم النساء من هو أعظم من يحيى ، لكن أقلّ مَنْ في ملكوت السموات أعظم منه) . إن تحريف نص ملاخي واضح ومتعمّد فالنص الأصلي يقول لنا إن يهوه سَبَّوْث (أي إله الجموع) هو المتكلم وأن المؤمنين هم الشعب المخاطب . وهذا واضح من كلمات (الذي تبحثون عنه . . . والذي ترغبون) ولكن الأناجيل حرفت النص بأن حذفتم ضمير المتكلم واستبدلته بالمخاطب (أمامك) و (وجهك) لكي تبرهن لليهود أنّ الله كان يخاطب عيسى المسيح (ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك أمامك) (متى ١١/١٠) ، ويرغب متى أن يبيّن أن هذا الملاك أو الرسول كان يحيى فينقل على لسان عيسى قوله أن يحيى فوق كل نبي وأعظم مَنْ ولدته امرأة ومع هذا فإن أصغر من في ملكوت السماء (التي يقصد أن يكون عيسى ملكها) هو أعظم من يحيى .

إنني لا أصدق ولا لثانية واحدة أنه يمكن لعيسى أو أيّاً من حواريه استخدام عبارات كهذه لتحريف كلام الله . ولكنه أحد الرهبان المتعصبين أو الأساقفة الجهلة الذي زيف هذا النص ووضع على لسانه هذه الكلمات التي لا يمكن أن تصدر عن أي نبي من الأنبياء .

إن الفكرة التقليدية القائلة إن الرسول المكلف بتمهيد الطريق أمام (السيد) و (رسول العهد) هو خادم وتابع له ، والاستنتاج أن هناك نبوءة بشخصين مختلفين ، كل ذلك سببه الجهل بشخصية ذلك الرسول وأهمية رسالته وضخامة العمل المسند إليه . لنمعن النظر إذاً في هذه النبوءة وحقيقة تفسيرها :

١ - يجب أن نفهم جيداً أن الرسول بشر مثل غيره وأنه ليس ملاكاً أو كائناً فوق البشر . كما أنه لم يكن مرسلاً لتمهيد الطريق أما رسول آخر يسمى (السيد) أو (رسول العهد) ولكنه مكلف بتأسيس وإقامة دين قويم سليم صالح ، ومكلف أيضاً بإزالة كافة العقبات والوسطاء بين الله ومخلوقاته ، ومن البديهي أن هذا الرسول الرفيع الشأن لم يكن قادماً لإصلاح الطريق أو الدين من أجل حفنة من اليهود ، ولكن من أجل إقامة دين عام وثابت للناس كافة . ومع أن الديانة اليهودية تقول بوجود إله واحد حق ، إلا أن مفهوم الله عند اليهود مشوّه فهم يظنون أنه إله قومي لشعب إسرائيل فقط ، كما أن عدم وجود نصوص قاطعة في عقيدتهم عن القيامة ويوم الحساب والحياة الآخرة يدل على نقصانها .

أما النصرانية فإن انحرافها لدرجة اعتقادها بالخطيئة الأصلية وبتجسّد الإله وبثالوث من الآلهة ثم عدم وجود إنجيل حقيقي بين أيدينا ، كل ذلك لم ينفع

البشرية في شيء بل على العكس سبب الانقسامات بين الطوائف والكراهية
والحقد بين بني البشر .

إذن كان الرسول مكلفاً بتقويم هذين الدينين وإقامة دين إبراهيم وإسماعيل
القديم ودين الأنبياء الآخرين على أسس وتعاليم تصلح للبشر أجمعين . ذلك
هو أقصر الطرق للوصول إلى الله وأسهل الأديان لعبادته ، وأسلم العقائد
الباقية على طهارتها ونقاها دون تدخل الوسطاء والأدعياء .

وفوق كل شيء كان على الرسول أن يأتي فجأة إلى مسجده سواء كان في
القدس أو في مكة وكان عليه أن يقتلع جذور الوثنية من تلك البلاد ، ليس
بتحطيم الأصنام والأنصاب فحسب ، بل وبتعليم المشركين عقيدة التوحيد
والإيمان بالإله الحق .

إن إنجاز هذا العمل العظيم كان بمثابة بناء طريق جديد وتأسيس دين عالمي
شامل يدعو إلى إلغاء الوساطة بين الله والعباد فلا قسيس ولا قديس ولا سر
مقدس وقد تحقق ذلك على يد الرسول (محمد المصطفى) .

٢ - إن نبوءة ملاخي لم تتحقق في يحيى ويلاحظ أن القصص التي ترويها الأنجيل
الأربعة عن يحيى متضاربة جداً ولكنها تتفق على نقطة واحدة وهي أنه لم يمهد
طريقاً قط إذ لم يوح إليه كتاب مقدس ولم يؤسس ديناً جديداً ولم يصلح الدين
القديم ، ويروى أنه ترك أبويه عندما كان شاباً وعاش في البرية على العسل
والجراد حتى ناهز الثلاثين من عمره عندما ظهر للجماهير على ضفاف الأردن
حيث اعتاد أن يُعمّد التائبين الذين اعترفوا له بخطاياهم . ومن المدهش أن متى
لم يعرف شيئاً عن علاقة يحيى بعميسى أو أنه عرفها ولم يحفل بنقلها . أما لوقا

فقد كتب في إنجيله عن الطاعة التي قدمها يحيى لعيسى عندما كان كل منهما جنيماً في رحم أمه (لوقا ١/٣٩-٤٦) كما يذكر أن عيسى تعمّد كغيره في مياه الأردن على يد يحيى .

ويروى أن يحيى قال (يأتي بعدي من هو أقوى مني ، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحلّ رباط حذائه) مرقص (٧/١) وقد استشهد يحيى في السجن لأنه وبّخ الملك هيردوس على زواجه بزوجة أخيه .

وهناك وصف لموعظة يحيى في الفصل الثالث من إنجيل متى والتي أعلن فيها اقتراب مملكة السماء وقدم الرسول العظيم الذي سوف يُعمّد المؤمنين ليس بماء ولكن (بالنار والروح القدس) .

والعجيب أن اليهود لم يقبلوا يحيى كنبى ، والعجيب أيضاً أن إنجيل برنابا لا يأتي على ذكر يحيى ، أما العبارة التي يقال أن يحيى تحدث بها عن عيسى ، فإن برنابا ينسبها إلى عيسى متحدثاً بها عن محمد رسول الله . وقد ذكر القرآن معجزة ميلاد يحيى لكنه لم يُشر إلى التعميد الذي كان يمارسه .

ولو صحّ أن يحيى المعمدانى هو الرسول الذي بعثه الله لتمهيد الطريق أمام عيسى المسيح ، ولو كان هو المبشّر بعيسى والتابع له ، فلا معنى لتعميده الجماهير في مياه الأردن ولا معنى لأن يشغل نفسه بذلك إذ كان من واجبه أن يتبع عيسى فوراً ويلازمه عندما رآه وعرفه ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا وعلى العكس فإنه عندما سُجن أرسل إلى عيسى يسأله : (هل أنت الرسول الموعود الذي سيأتي ، أم علينا أن ننتظر سواك ؟) (متى ١١/٣) .

٣ - إن يحيى المعمداني لم يكن النبي إيليا Elijah (على النقيض من القول المنسوب إلى المسيح) ذلك أن ملاخي يتكلم عن إيليا يفترض قدومه قبل يوم القيامة ببعض الوقت وليس قبل ظهور رسول العهد (ملاخي ٤/٥-٦) . وحتى لو قال المسيح إن يحيى كان هو إيليا فإن الناس لم يعرفوه ، وقد يكون أن الذي قصده عيسى هو أن الاثنين متشابهين في حياتهما الزاهدة وإقبالهما على الله وشجاعتهما في نصيح وتوبيخ الملوك والزعماء المنافقين .

ولن أستطرد في مناقشة ادعاء الكنائس المتهافت بأن يحيى كان الرسول القادم لتهيئة الطريق ولكن يجب أن أضيف أن يحيى لم يرفض شيئاً ولو يسيراً من شريعة موسى ولم يضيف إليها شيئاً . أما المعمدانية التي مارسها فهي (المعموديتا) اليهودية القديمة أو الوضوء ، ولا يمكن أن نعتبر الغسل أو الوضوء ديناً جديداً أو طريقة جديدة .

٤ - وأخيراً إذا قلت إن عيسى المسيح لم يكن المقصود بنبوءة ملاخي ، فإنني أطرح مناقشة بديهية لأن أحداً لن يناقض كلامي فقد آمنت الكنائس دوماً أن (رسول الطريق) هو يحيى المعمداني وليس عيسى ، غير أن اليهود لا يقبلون أياً من الاثنين ، ولكن بما أن النبوءة تتحدث عن شخص واحد وليس شخصين فإنني أقول أن عيسى لم يكن ذلك الشخص ويستحيل أن يكونه . لأنه لو كان عيسى إلهاً كما يدعون لما أمكن استخدامه لتمهيد الطريق أمام (يهوه سَبَّوْث) أي إله الجموع ! ولو كان عيسى هو (يهوه سَبَّوْث) نفسه الذي قال هذه النبوءة فمن هو (يهوه سَبَّوْث) الآخر الذي سُبِّهَ له الطريق ؟ أما إذا كان بشراً من لحم ودم وعبدًا لإله الجموع (يهوه سَبَّوْث) فعندئذ لا يمكن أن يكون عيسى مؤسس الكنائس التثليثية التي جعلته إلهاً . وسواء نظرنا

إلى الدين المسيحي من وجهة النظر الأرثوذكسية أو الكاثوليكية أو البروتستانتية أو المخلّصية أو الكويكر أو أياً من الملل والنحل العديدة فإنه لا يمكن لأي منها أن تكون (الطريق) الذي أشار إليه ملاخي كما أن عيسى لا يمكن أن يكون ممهداً أو مؤسساً لأي منها . وما داموا ينكرون الوجدانية المطلقة لله فهم خاطئون ولا يمكن لعيسى أن يكون صديقاً لهم أو قادراً على مساعدتهم .

٥ - إن الشخص الذي يشار إليه في النبوءة ، حسبما ورد في (ملاخي ١/٣) ، ذو صفات ثلاثة ، فهو (رسول الله ، والسيد الأمر ، ورسول العهد) ، كما أنه مميّز بشروط ثلاثة وهي : (أنه يأتي فجأة إلى مسجده ، ويبحث عنه الناس ويسعون إليه ، كما أنه موضوع محبة شديدة بينهم) .

فمن يمكن أن يكون هذا الرسول العظيم الذي تنطبق عليه كل هذه الصفات سوى رسول الإسلام محمد عليه صلوات الله وسلامه . لقد أسري به فجأة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وُبعث إلى الدنيا بالقرآن المعجزة ، وبدين الإسلام الذي هو أكثر الأديان عقلانية وبساطة ونفعاً ، وكان وسيلة لهداية الملايين الذين دخلوا في أخوة عالمية تكونت منها (مملكة الله) الفعلية في أرضه كما نادى بها كل من عيسى ويحيى .



الفصل التاسع

الأنبياء الحقيقيون يبشرون بالإسلام فقط

لم يعرف التاريخ شعباً كشعب إسرائيل نشأ فيه خلال فترة تقل عن أربعمئة عام عدد كبير من مدعي النبوة والمشعوذين والعرافين والسحرة ممن كانوا على نوعين : النوع الأول من المنتسبين لشريعة (يهوه) وادعوا النبوة باسمه .

والنوع الثاني ممن ادعوا النبوة باسم بعل أو إله وثني آخر وكان ذلك يتم بحماية بعض من ملوك إسرائيل الوثنيين .

وكان من النوع الأول من عاصر الأنبياء الحقيقيين من أمثال (ميخا) و (إرميا) ، ومن النوع الثاني من سبب المتاعب لإيليا Elijah وسبب مذابح الأنبياء والمؤمنين كما حدث خلال حكم آحاب ملك إسرائيل (وزوجته جيزابيل) (٨٩٦-٨٧٤ ق.م) . وكان أخطرهم أدياء النبوة من النوع الأول ممن تظاهروا أنهم يتلقون الوحي من الله ، وكان النبي إرميا من الذين تعرضوا للكثير من الاضطهاد والمشاق على أيديهم .

بدأ إرميا رسالة النبوة في شبابه في الربع الأخير من القرن السادس ق.م ، عندما كانت مملكة يهوذا مهددة بغزو الكلدان وكان اليهود متحالفين مع فرعون مصر ولكن الكلدان بقيادة نبوخذ نصر هزموا فرعون مما جعل سقوط القدس محتوماً وخلال تلك الأيام العصيبة كان إرميا يحث اليهود وزعماءهم على الخضوع لملك بابل نبوخذ نصر آملاً من ذلك إنقاذ القدس من الدمار وإنقاذ اليهود من الأسر والنفي . وقد وجّه مواعظه البليغة للملك والكهنة وكبار القوم دون

جدوى، وعندما سقطت القدس (٥٨٦ ق.م) أخذ نبوخذ نصر معه إلى بابل كنوز الهيكل والعديد من اليهود واحد الأسرى بالإضافة إلى ملكهم وأمرائهم ثم صار يعين على القدس أمراء من اليهود واحداً بعد الآخر ويجعلهم ملوكاً تابعين له، وكثيراً ما كان هؤلاء يثرون ضده وكان إرميا يحضهم دوماً على البقاء موالين للكلدان ، لكن أدعياء النبوة كانوا يخطبون في الهيكل قائلين :

(هكذا يقول رب الجموع ، انظروا لقد حُطِمَ نيرُ ملك بابل ، وخلال عامين سيعود جميع الأسرى وكنوز بيت الله إلى القدس) . وهنا وضع إرميا نيراً خشبياً حول عنقه وأخبر الناس أن الله سوف يضع نير ملك بابل حول رقاب جميع اليهود . لكن حنانيا وهو أحد خصومه من أدعياء النبوة المنافقين للملك لطمه وألقى به في سرداب مليء بالوحل حيث كان طعامه اليومي رغيفاً جافاً من خبز الشعير ، وكان أن عاد الكلدانيون لحصار القدس حتى سيطرت عليها المجاعة ومات مدعي النبوة حنانيا كما تنبأ بذلك إرميا (إرميا ٢٨) . وعندما سقطت المدينة نُهبت وأضرمت فيها النار ووقع الملك المتمرد صدقيا وحاشيته في الأسر وأخذ مع الكثير من الأهالي أسرى إلى بلاد بابل ولم يُترك في القدس سوى الفقراء وكان إرميا من جملة الذين سمح لهم بالبقاء وتم تعيين جداليا حاكماً على القدس من قبل نبوخذ نصر ولكن اليهود الباقين ثاروا عليه وقتلوه وهربوا إلى مصر حاملين معهم إرميا ، وحتى في مصر كان إرميا يتنبأ ضد الهاربين ويبدو أن حياته انتهت في مصر .

يعتبر نقاد التوراة (والكاتب من رأيهم) أن إرميا كان المؤلف (أو على الأقل الجامع) للكتاب الخامس من الأسفار الخمسة والمسمى سفر التثنية Deuteronomy . ولذا فإن هذا السفر يشتمل على الكثير من تعاليمه . ولكني في هذا

الفصل سأتناول إحدى تعاليم إرميا الواردة في السفر المنسوب إليه مما اعتبرها من النصوص الهامة جداً في العهد القديم .

إن الموضوع الذي طرّقه إرميا هو : كيف نتميز النبي الحقيقي من النبي المزيف؟ ثم زودنا بجواب شافٍ عن علامة النبي الحقيقي ، وهو : (إنه النبي الذي يشر بالإسلام) . (سفر إرميا ٢٨/٩) .

وبالإضافة لذلك يعطي سفر التثنية (١٣/١-٥ ، ١٨/٢٠-٢٢) بعض الأوصاف عن أدعياء النبوة ويحدد أن أفضل طريقة للتعرف على أضاليل الكذاب توقع تحقق نبوءاته ثم قتله بعد أن يُعرف كذبه . ومع ذلك فإن الجهلة يعجزون عن التمييز بين النبي الحقيقي وبين مدعي النبوة كعجزهم هذه الأيام عن معرفة أي من الاثنين : الكاهن الكاثوليكي ، أو الكاهن الكلفني هو التابع الحقيقي لعيسى المسيح . وأحياناً يتنبأ الدعيّ بأحداث ويفعل الخوارق ويقوم بأشياء مشابهة (من حيث المظهر على الأقل) لتلك التي يقوم بها النبي الحقيقي . وما التنافس بين النبي موسى وسحرة فرعون إلا من هذا القبيل ، ولذا يحدد إرميا طريقه مثلى لاختبار أصالة أي نبي وهي طريقة الإسلام ، فهو يقول :

(إن النبي الذي يتبأ عن الإسلام (الشالوم) عند حصول كلمته ، عُرف ذلك النبي أنّ الله قد أرسله حقاً) (إرميا ٢٨/٩) . والترجمة حرفية جداً ، ذلك أن كلمة (يتنبأ) تعني حرفياً التنبؤ بأحداث غيبية وأن كلمة (نبي) تعني حرفياً الشخص الذي يتنبأ بالمستقبل أو يعرف أحداثاً مضت بطريق الوحي . غير أن التعريف الصحيح لكلمة نبي هو (الشخص الذي يتلقى الوحي من الله ويبلغه إلى البشر) ومن الواضح أنه ليس من الضروري أن تكون الرسالة تنبؤاً بالغيب أو معرفة أحداث ماضية وبالتالي فإن فعل (يتنبأ) يعني تلقي الوحي من الله وتبشير

الناس به وفي القرآن الكريم يأمر الله رسوله محمد أن يقول ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ... ﴾ (الآية : ١١٠ من سورة الكهف) .

ومن المهم أن لا ننسب لأي من الأنبياء صفة المعرفة والإحاطة بكل المعارف الدنيوية لأن معارف الأنبياء الدنيوية قد تتضمن بعض الأخطاء فالله تعالى لم يبعث الأنبياء ليعلموا الناس الفيزياء أو الرياضيات أو العلوم ولذا يجب أن لا نلوم أي نبي على خطأ معرفي دنيوي لأنه مجرد بشر .

والآن نعود إلى قول إرميا أنه لا يمكن أن يكون النبي صادقاً إلا إذا بشر بدين الإسلام ومن أجل فهم أفضل لذلك نقرأ كلامه الذي سبق تلك العبارة حيث يقول إرميا لخصمه حنانيا (إن الأنبياء الذين جاؤوا قبلي وقبلك منذ القدم تنبأوا لكثير من البلدان والممالك العظيمة بالحروب والشرور والوباء) (إرميا ٢٨/٨) . ثم يقول : (إن النبي الذي يتنبأ عن الإسلام ، عند حصول كلمته يُعرف ذلك النبي أن الله قد أرسله حقاً) (٩/٢٨) .

وقد يعترض البعض على ترجمة كلمة الشالوم التي ترجمتها (عن الإسلام) باعتبار أن حرفي (أل) قبل (شالوم) معناها (عن) أو (فيما يتعلق بـ) .

لكن الحقيقة المسلّم بها أن كلمة (شالوم) في العبرية و (شالما) في السريانية و (إسلام) في العربية كلها من نفس الجذر السامي (شَلَمَ) وتحمل نفس المعنى وهذا أمر معروف لدى جميع علماء اللغات السامية . وفعل (شلم) يدل على الخضوع أو الاستسلام وتحقيق السلام ، حتى يكون المرء مسلماً هادئاً مع نفسه ومع الآخرين . ولا يوجد أي نظام ديني في العالم يحمل اسماً أو وصفاً أفضل وأشمل وأكثر هيبة وسمواً من الإسلام . فدين الله الحق لا يمكن أن يسمى باسم أي

من عباده ولا أن يُدعى باسم شعب معين أو بلد معين . إن هذه القداسة والعصمة لكلمة إسلام هي توقع الرعب والخوف والاحترام في قلوب أعدائه حتى عندما يكون المسلمون ضعافاً خائعين^(١) . إن اسم الدين يأمر بالخضوع والإستسلام المطلق لله تعالى مما يعطي السلام والهدوء الداخليين للمسلم مهما كانت الاضطرابات والمصائب العابرة التي تهدده .

ولمزيد من الشرح عن عبارة إرميا لنلاحظ النقاط التالية :

١ - إن إرميا هو النبي الوحيد قبل المسيح الذي استخدم كلمة (شالوم) بمعنى الدين وهو النبي الوحيد الذي استخدم هذه الكلمة بهدف إثبات صدق النبي الحقيقي . وحسب النص القرآني فإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وجميع الأنبياء كانوا مسلمين وإن كلمة الإسلام ومرادفاتها (شالوم وشلاما) كانت معروفة لليهود في المدينة عندما ظهر محمد لإكمال ونشر دين الإسلام بين الناس كافة ، ولو كان المقصود بالنبوة النبي الذي يتنبأ بحدوث السلام (عكس الحرب) لكان هذا مجرد شرط مؤقت لا يمكن أن يؤيد أن النبي مرسل حقاً من الله ، والواقع أن نقطة الخلاف الحساسة التي اختصم فيها إرميا وحنانيا (إرميا ٢٨) لا يمكن البت فيها بإثبات أو إنكار وقوع كارثة وشيكة ، ولو كان تنبؤ إرميا (بالسلام) عندما كان طيلة الوقت

(١) من المهم أن نلاحظ كيف أن تعليقات المؤلف تتطابق مع ملاحظات قيصر المانيا السابق الذي خطب عند الاحتفال بعيد ميلاده السبعين في مدينة (دورن) في هولندا قائلاً : (اعلّموا بأن المسلمين إذا اعتبروا أن أمر الله هو الزحف على الغرب المتداعي وإخضاعه لمشيئته ، فإنهم سوف يزحفون كموجة مدّ هائلة يعجز أمامها حتى أعتى البلاشفة وأشدّهم رغبة في القتال) . جريدة الإيفنتنج ستاندار في ٢٦/١/١٩٢٩ م ، لندن .

يتنبأ بالكارثة القومية العظيمة - سواء باستسلام الملك صدقيا أو بمقاومته للحاكم الكلداني - فإن ذلك كان سيعني تناقضاً صارخاً في منطقته لأن سلامه المزعوم في كلتا الحالتين لن يكون سلاماً حقيقياً بل على العكس فلو قاوم اليهود الجيش الكلداني لتسبب ذلك بالدمار الكامل لهم وإذا استسلموا وقعوا تحت عبودية غير مشروطة ، لذلك من الواضح أن إرميا استخدم كلمة شالوم بمعنى نظام ملموس حقيقي يجسده الإسلام .

لقد حمل إرميا في قلبه دعوة الله ودينه دين السلام ، ومن أجل المصالح الحيوية لدين السلام أو الإسلام فقد نصح الملك ورجال حاشيته بالولاء للكلدان لأنه ليس من سبيل آخر مفتوح أمامهم ، لقد هجروا رب أجدادهم ودنسوا هيكله وسخروا من أنبيائه وارتكبوا الخطايا والخيانة (٢ سفر الأيام ٣٦... إلخ) ولهذا فقد وجبت التضحية حينذاك بالحكومة والأمة من أجل الدين وليس العكس لا سيما بعد أن تخلّت كل من الحكومة والأمة عن الله .

٢ - إن دين السلام (الإسلام) وحده القادر على تحديد خصائص النبي الحقيقي . إن الله واحد ، ودينه واحد ، ولا يوجد دين آخر في العالم سوى الإسلام يتبنى ويعلم الوحدة المطلقّة لله ، لذلك فإن من يضحى بكل مصلحة أخرى من أجل قضية هذا الدين يكون هو النبي الحق ، وبالمقابل فإنه إذا لم يكن دين الإسلام معياراً ومقياساً نقيس به صدق النبي فإنه ليس هناك مقياس آخر يفي بذلك الغرض ، إن عمل المعجزات ليس دوماً بالبرهان الكافي ، لأن المشعوذين أيضاً يفعلون العجائب . كما أن تحقق النبوءة عن المستقبل ليس بالبرهان الكافي في حد ذاته فكما أن الروح القدس قد يكشف أحداث المستقبل للنبي الصادق فإن الروح الشريرة أيضاً قد تكشف ذلك للدجال ، ومن هنا يتضح (أن النبي

الذي يتنبأ عن الإسلام باعتباره اسماً للعقيدة ومنهجاً للحياة فسيعرف بأنه نبي حقيقي فور تلقيه الرسالة من الله) ، تلك كانت الحجة التي اعتمد عليها إرميا والتي حاول عن طريقها إقناع سامعيه بكذب حنانيا .

٣ - لاحظنا في الفقرة السابقة أنه لا تحقق النبوة عن المستقبل ولا القيام بعجائب كان كافياً لإثبات صدق أي نبي وأن (شالوم) استخدمت للتعبير عن دين السلام ذلك أن (شالوم) ليس إلا (الإسلام) ونحن نطالب أولئك الذين يعارضون هذا التفسير أن يأتوا بكلمة عربية إضافة إلى الإسلام والسلام تقابل كلمة شالوم وأن يجدوا كلمة أخرى في العبرية إضافة إلى (شالوم) تعني الإسلام ، ولما كان مجرد ذلك مستحيلاً فنحن مضطرون للتسليم بأن شالوم هي السلام بالمعنى المجرد ، وهي الإسلام والعقيدة بالمعنى الملموس .

٤ - يذكر القرآن في سورة البقرة بوضوح أن إبراهيم وأبناءه وأحفاده كانوا مسلمين وأنهم لم يكونوا يهوداً أو نصارى وأنهم بشرّوا بعبادة الله الواحد إله جميع البشر ولذلك فإن اليهود والأمم الأخرى التي انحدرت من نسل إبراهيم والقبائل العديدة التي اعتنقت دينهم كانوا جميعاً مسلمين أي مؤمنين بالله ومستسلمين لمشيئته . وكان هناك قوم عيص والأدوميون " Edomites " والمديانيون " Medianites " والكثيرون غيرهم ممن عاشوا في بلاد العرب وعرفوا الله وعبدوه وكان لهم أنبياءهم مثل أيوب Job وجيثرو Jethro (حمي النبي موسى) وبلعام وهود وكثيرين غيرهم ، ولكن هذه الأقوام ارتدت إلى الوثنية كاليهود إلى أن بُعث أمير الأنبياء .

لقد أنتج اليهود بعد عودتهم من الأسر البابلي في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد معظم كتبهم المقدسة المعترف بها ضمن العهد القديم بعد أن كانت

ذكريات فتح أرض كنعان على يد يوشع (١١٣٠ ق.م) وذكريات هيكل سليمان (٩٣٥ ق.م) والقدس قد عفا عليها الزمن وسيطرت على الباقيين من بني إسرائيل روح قومية عنصرية وانتشر بينهم الاعتقاد بقدوم المخلص العظيم الذي سوف يعيد عرش داوود في حين نسوا المعنى القديم لشالوم الذي يعني دين إبراهيم ودين الشعوب التي انحدرت من نسله .

ومن وجهة النظر هذه فإنني أعتبر هذه العبارة التي قالها إرميا واحدة من النصوص الذهبية في العهد القديم .



الفصل العاشر

الإسلام مملكة الله في أرضه

عندما درسنا رؤيا دانيال المدهشة (سفر دانيال ، الفصل السابع) رأينا كيف رافقت الحشود السماوية النبي محمد وهو في طريقه إلى الحضرة الربانية المجيدة حيث حظي بالتكريم الذي لم يَحْظَ به مخلوق (رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ، الفصل ١٢) وتَوَجَّ سلطاناً على الأنبياء وخُولَ السلطة لتدمير الوحش الرابع والقرن الكافر ، كذلك رأينا كيف مُنحت له السلطة لإقامة مملكة الله على الأرض ولا عجب فإنه من بين كل الأنبياء والرسل يبرز محمد وحده كعملاق فوقهم جميعاً بسبب العمل العظيم الذي أنجزه ، وليس بوسع الإنسان أن يقدر قيمة الإسلام وأهميته في مناهضة الوثنية والشرك ما لم يسلم بوحداية الله المطلقة ويدرك أن الله هو الإله الذي عرفه آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ، عندئذ يتقبل الإسلام على أنه الدين الصحيح الوحيد ويعترف بمحمد على أنه أمير الأنبياء.

ومن العبث تصور الله تعالى (كأب) حيناً و (كابن) حيناً آخر و (كروح قدس) تارة أخرى أو نتصوره ثلاثة أشخاص معاً يخاطب بعضهم بعضاً بضمائر أنا أنت هو ، إن ذلك من شأنه ضياع كل مفهوم حقيقي للكائن المطلق . كما إننا لا نضيف شيئاً لقدسية الدين بافتعال بعض الطقوس والأسرار ، بل على العكس إن ذلك يشوه الدين الصحيح وينتهي بالكفر .

كما أننا لا نرفع من قدر محمد إذا تصورناه إلهاً أو ابن إله لأننا بذلك نفقد نبي مكة الحقيقي ونسقط في هوة الشرك . إن عظمة محمد تأتي من كونه أقام

الدين البسيط الصحيح بممارسة مبادئه وتعاليمه بصورة عملية ، مما أكسب المسلم قناعة بدينه ومنعه من قبول أية عقيدة أخرى سوى عقيدة (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) وهي عقيدة كل مؤمن حقيقي حتى يوم الدين .

إن الرسول العظيم الذي دمر القرن الحادي عشر (قسطنطين وكنيسة التثليث) لم يكن (ابن الله) ولكن (ابن الإنسان) محمد المصطفى الذي أقام فعلاً مملكة الله على الأرض ، ونحن نعلم أنه عند مثل سيد الأنبياء بين يدي الله صدر الوعد الإلهي التالي :

(إن المملكة والسلطان تحت كل السماء سوف تعطى لعباد الله تعالى وأوليائه ، وسيكون الملكوت أبدياً يخدمه ويطيعه الجميع) (دانيال ٢٢/٧ ، ٢٧) .

وقد دلت هذه النبوءة بوضوح أن الإسلام الذي اكتملت رسالته بخاتم الأنبياء ليس مجرد دين منفصل عن الدولة وإنما هو دين ودولة معاً لأنه مملكة الله في أرضه ولنقارن ذلك مع ما كان عليه الإسلام قبل أن تكتمل أسسه بصورة نهائية على يد رسول الله محمد !

١ - لقد كان الإسلام منذ الأزل دين الله الحقيقي ولكنه بعد محمد أصبح مملكة الله على الأرض :

إن الذين يعتقدون أن دين الله الحق اقتصر على ما أوحى به إلى إبراهيم فقط وأن بني إسرائيل وحدهم حفظوه لابد أن يكونوا جهلة في العهد القديم ، ذلك أن أيوب وبلعام وعاداً وهوداً ولقمان وكثيرين غيرهم من الأنبياء لم يكونوا يهوداً ، وإن مختلف القبائل والشعوب كالإسماعيليين والمؤابيين والعمونيين والأدوميين

وغيرهم ممن انحدروا من سلالة إبراهيم ولوط عرفوا الله تعالى رغم أنهم كاليهود ارتكسوا بعد ذلك إلى الوثنية والجهل ، غير أن نور الإسلام لم ينطفئ أبداً ولم يُفسح مكانه للوثنية .

لقد عبد اليهود وذوو قرباهم من الشعوب الأخرى الأوثان والأصنام وآلهة المنازل التي كانت تدعى في العبرية (ترافيم) (سفر التكوين ٣١) وهي في رأي المتواضع من نفس طبيعة التماثيل والأصنام التي يقتنيها ويعبدها النصارى الكاثوليك والأرثوذكس في بيوتهم ومعابدهم . كانت الأصنام في تلك الأيام الجاهلية تمثل نوعاً من بطاقات الهوية أو جوازات السفر حتى أن لابان (والد راحيل وهي زوجة يعقوب) كان يقتني الأوثان وكانت راحيل تسرق أوثان والدها حسبما يذكر سفر التكوين (التكوين ٣١/٩) مع أن لابان ويعقوب كانا مسلمين أقاما (مصفا) مكرسة لعبادة الله .

لقد حفلت هجرة اليهود من مصر إلى فلسطين بالعجائب والخرارق التي كانت تحدث ليل نهار وكان معسكرهم مظلاً بغيمة أثناء النهار ومُضاءً بعمود من النار ليلاً ، وكانوا يأكلون المن والسلوى ومع ذلك سرعان ما صنعوا عجلاً من الذهب وعبدوه عندما غاب موسى عنهم في جبل الطور بسيناء أربعين يوماً . وقد حفل تاريخ اليهود بعد ذلك منذ موت يوشع وحتى تنويع طالوت (شاول Saul) ملكاً بسلسلة من الانتكاسات المخزية نحو الوثنية . ولم يكف اليهود عن عبادة الأصنام إلا بعد انتهاء الوحي واكتمال شريعتهم في القرن الثالث قبل الميلاد وبعد ذلك فقط بقوا على التوحيد سوى أنهم لم يستحقوا صفة مسلمين لأنهم رفضوا بعثة كل من عيسى ومحمد ، ولا يستطيع المرء أن يصبح مسلماً إلا إذا

استسلم لله وآمن بكافة أنبيائه ورسله ، وإلا فإن الإيمان مع العصيان يشبه إيمان الشياطين الذين يؤمنون بوجود الله ولكنهم مزعزعون .

لقد وجد دين الإسلام عند شعب إسرائيل وعند الشعوب العربية القديمة وكان يذبل أحياناً ويتألق حيناً آخر كالفتيلة التي ترتجف أو الشرارة الخافتة التي تلمع في غرفة مظلمة فبعد أن آمنت به بعض الأقوام ارتكست عنه إلى الوثنية ولكن بقي من الأفراد والجماعات في كل زمان ومكان من آمن بالله الإيمان الصحيح وعبّده العبادة الصحيحة .

ومن الواضح أنه لم يكن لدى جمهور اليهود فكرة حقيقية عن الله والدين كما هي فكرة المسلمين ، إذ كان اليهود يعترفون بـ (يهوه) ويعبدونه أيام الرخاء، أما أيام البؤس فكانوا يتخلون عنه ويتبعون إله أمة أقوى وأكثر إزدهاراً ويعبدون أصنامها وأوثانها ويتضح ذلك من دراسة الكتب الدينية العبرية ، وإن ارتكاس اليهود المتكرر إلى الوثنية يدل على أن فكرتهم عن إلههم (إل) أو (يهوه) تشبه فكرة الآشوريين عن إلههم (آشور) ، والبابليون عن (مردوخ) ، والفينيقيين عن (بعل) . وباستثناء الأنبياء فإن مسلمي التوراة لم يسموا إلى مستوى الإسلام ولم يصلوا إلى فهم حقيقي له .

ما أكبر التباين إذن بين مسلمي القرآن المؤمنين بالشرعية (المحمدية)^(١) وبين مسلمي التوراة المؤمنين بشرعية موسى ، لقد ظلّ الدين غير ناضج وغير متكامل في عقلية اليهود رغم أنه سطع أيام خُدام (يهوه) الصادقين وخلال عهود القضاة والملوك المتدينين من بني إسرائيل لكن دين الله لم يتخذ شكل مملكة الله في

(١) وإن كلمة (محمدية) هنا مستخدمة لتمييزها عن الشريعة الموسوية وكلتاها من عند الله تعالى . (المؤلف) .

الأرض إلا في ظل النظام القرآني فقد قضى الله بحكمته غير المحدودة أن دول الظلام الأربع الكبرى يجب أن تتعاقب بعضها وراء بعض قبل تأسيس مملكة الله الحقيقية وكان لابد من ظهور الحضارات والإمبراطوريات العظيمة للأشور والكلدان والفرس واليونان والرومان وازدهارها واضطهاد المؤمنين واقتزان ذلك مع جميع الشرور والآثام التي يمكن أن يتدعها الشيطان قبل أن تتحقق مملكة الله في الأرض .

٢ - عيسى وتلاميذه بشروا بملكوت الله :

لا شك أن عيسى المسيح وتلاميذه كانوا الرواد المبشرين بمملكة الله على الأرض ، ذلك أن خلاصة إنجيل عيسى تركزت في العبارة الشهيرة من صلاته (ليأت ملكوتك) . ولمدة عشرين قرناً ما زال النصارى من جميع الملل والنحل يصلون ويرددون هذا النداء (ليأت ملكوتك) والله وحده يعلم كم سيستمرون في هذا النداء وينتظرون قدوم الملكوت عبثاً . إن هذا التوقع المسيحي لمحيي مملكة الله ، التي جاءت ولم يفطنوا إليها أو لم يعترفوا بها يشابه توقع اليهود لظهور المسيح الذي جاء ولم يعرفوه . ومن عجب أنهم يتمسكون بهذا الأمل العقيم . وإذا سألت قسيساً نصرانياً عن ذلك فإنه سوف ينمق الأقوال العديمة المعنى ويؤكد أن مملكة الله سوف تتحقق بتغلب الكنيسة على بقية الكنائس الملحدة .

وسيحديثك قسيس آخر عن الفترة الألفية السعيدة . أما الذي يتبع الكنيسة المخلصية أو الكويكرية فقد يقول لك إن كنيسة الله سوف تتألف من النصارى الحديثي المولد والأبرياء من الخطايا الذين غسلهم ونظفهم دم الحمل وما إلى ذلك !!! ...

إن مملكة الله لا يمكن أن تكون كنيسة كاثوليكية منتصرة على بقية الكنائس ولا دولة مطهرة معصومة من الخطأ كما أنها ليست مملكة خيالية (للفترة الألفية السعيدة) ولا مملكة مؤلفة من كائنات سماوية تشتمل أرواح الأنبياء والمؤمنين يحكمهم حَمَل مقدس ، شرطتها وقضاتها من الملائكة وزعمائها من الباباوات والبطاركة والأساقفة والوعاظ .

إن مملكة الله على الأرض هي دين واقعي قوي يؤمن مجتمعته بالله الواحد وهو مسلح بالإيمان وبالسيف للقتال من أجل وجوده ضد مملكة الظلام وضد الذين لا يؤمنون بوحداية الله أو الذين يؤمنون بأن له ولداً أو أباً أو أمّاً أو شركاء .

إن كلمة Evangelion اليونانية التي أصبحت Gospel بالإنجليزية (إنجيل بالعربية) تعني (البشارة السارة) والبشارة هي الإعلان عن مملكة الله القادمة التي سيكون أصغر مواطنيها أعظم من يحيى المعمدان . يحيى الذي قام والمرسلون من بعده بوعظ اليهود وتبشيرهم بمملكة الله طالين إليهم أن يؤمنوا ويتوبوا لكي يدخلوها ، إن عيسى عليه السلام لم يُنْطَل شريعة موسى ولم يغيّرْها بل فسّرها بمعنى رוחي وقد رحل عنها وهي غير نافذة ، وعندما أعلن أن الكراهية أساس القتل وأن الشهوة أصل الزنا وأن الجشع والنفاق من الآثام البغيضة كالزنا وأن الرحمة والإحسان أفضل من تقديم القرابين ومن المراعاة الشديدة ليوم السبت ، فإنه عملياً ألغى المعنى الحرفي لشريعة موسى من أجل معناها الروحي . إن الأناجيل الحالية المحرفة المشكوك في صحتها تتضمن كثيراً من حكم المسيح وإشاراته إلى مملكة الله وإلى (ابن الإنسان) ولكنها مشوهة محرفة لدرجة أنها نجحت في تضليل

النصارى المساكين بحيث يعتقدون أن عيسى لم يقصد بمملكة الله سوى الكنيسة وأنه هو نفسه (ابن الإنسان) .

وسوف أبحث هذه النقاط الهامة بالتفصيل في الفصول التالية وأكتفي الآن بالقول إن ما بشر به عيسى كان الإسلام لأن الإسلام هو مملكة الله وإن محمداً كان (ابن الإنسان) الذي بُعث للقضاء على الوحش وتأسيس دولة قوية تقوم على الجماعة المؤمنة بالله الواحد المؤلفة من أولياء الله وعباده الصالحين (دانيال ٢٢/٧ ، ٢٧) .

لقد كان دين الله محصوراً في بني إسرائيل بشكل رئيسي حتى مجيء عيسى عليه السلام ، وكان متسماً لدى اليهود بالمادية والقومية . وقد شوه المشرعون والكتّاب والأخبار هذا الدين بأن نسبوا إليه كتابات أسطورية من تأليفهم وتأليف أجدادهم وقد ندد المسيح بذلك وباليهود وزعماءهم ووصفهم بأنهم (منافقون) و (أبناء الشيطان) .

وقد أصلح عيسى المسيح الدين القديم وأعطاه حياة وروحاً جديدين وشرح بمزيد من الوضوح خلود الروح البشرية والقيامة والحياة في الآخرة وأعلن على الملأ أن المخلص المنتظر الذي يتوقعه اليهود لن يكون يهودياً ولا من سلالة داود بل من سلالة إسماعيل واسمه أحمد وأنه سوف يقيم مملكة الله على الأرض بسلطة دين الله وقوة السيف . وهكذا أمدّ المسيح دين الإسلام بنور وروح جديدين وكان يبحث أتباعه على التواضع والتسامح والصبر وأخبرهم سلفاً عن الاضطهادات والاضطرابات والقتل والسجون التي سيتعرضون لها وبالفعل لقي النصارى الأوائيل اضطهادات مروعة تحت حكم أباطرة الرومان ثم جاء قسطنطين الكبير وعقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م . وأعلن مبدأ التثليث وأعطى الحرية للكنيسة المنحرفة وكان

أن تعرض المسلمون الموحدون ^(٢) إلى مزيد من الاضطهاد بصورة أشد من ذي قبل على يد أنصار التثليث حتى جاء محمد عليه الصلاة والسلام .

٣- طبيعة وتكوين مملكة الله :

هنالك نداء إسلامي ينادى كل يوم خمس مرات من مآذن المساجد في كل أنحاء العالم تُقام الصلاة بعده وهذا النداء هو (الأذان) ، وبالإضافة لذلك فإن المسلم يبدأ كل عمل مهما كان بسيطاً بعبارة (باسم الله) وينتهي بـ (الحمد لله) مما يعني الثناء لله وحده ، ذلك أن رابطة الإيمان التي تصل المسلم بربه قوية وقريبة قال تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ولا يوجد أي فرد يحمل من المحبة والولاء والاحترام لسيده قدر ما يحمل المسلم لربه . إن الله ملك السماوات والأرض وملك الملوك وسيد السادة وهو ملك كل مسلم بصورة خاصة لأن المسلم وحده الذي يشكر ويحمد مليكه الله تعالى في مواجهة كل ما يحدث خيراً أم شراً .

ومن هذا يتضح أن الإسلام مكون في جوهره من مملكة دينية كاملة حقيقية على الأرض ، وقد انتفت الحاجة بعده لمرسلين أو أنبياء جدد كما كانت عليه الحال بالنسبة لإسرائيل والشعوب الأخرى لأن مشيئته تعالى منزلة في القرآن الكريم بصورة كاملة .

ولنلاحظ النقاط التالية فيما يتعلق بتكوين ودستور مملكة الله :

(٢) لم يفرض عيسى أتباعه بأن يسمّوا أنفسهم مسيحيين ولا يوجد لقب أفضل للموحدين الأوائل من لقب (مسلمين) .

(المؤلف) .

(أ) : يكون المسلمون بمجملهم أمة واحدة وأسرة واحدة وأن آيات القرآن الكريم والحديث الشريف حول هذه النقاط كثيرة ، ومن الخطأ أن نحكم على المجتمع الإسلامي كما يطرح نفسه الآن بل يجب النظر إليه كما كان في عصر النبي والخلفاء الراشدين بعده .

إن اسم (مسلم) يعني حرفياً (صانع السلام) فهو لذلك هاديء ومسالمة وكريم وهو في نفس الوقت خصم عنيد لمن يعتدي على دينه ومقدساته وشرفه وأملاكه . إن الجهاد في الإسلام ليس حرباً عدوانية ولكنه حرب دفاعية . والقرآن الكريم واضح تماماً إذ يقول : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ ولا يمنع من ذلك أن بعض المسلمين يفتقدون أخلاق الإسلام الحميدة والعمل بموجبها والسبب في ذلك افتقارهم إلى المعرفة الدينية الصحيحة والتدريب الديني السليم .

(ب) : حسب وصف النبي دانيال فإن مواطني مملكة الله هم (جماعة القديسين) أي عباد الله الصالحين وأوليائوه ، وفي النص الكلداني أو الآرامي الأصلي يوصفون بأنهم أمة القديسين وهي صفة تليق فقط بأمر الأنبياء وصحابته وتابعيه من المهاجرين والأنصار الذين قضوا على الوحش الروماني واقتلعوا الوثنية من معظم قارتي آسيا وإفريقيا .

إن المسلمين الذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبأن الخير والشر كليهما من الله ويؤدون فروضهم الدينية قدر المستطاع يعتبرون أولياء مكرمين ومواطنين مباركين في هذه المملكة ، ومن أشد الجهل الاعتقاد بوجود كيان اسمه الروح القدس يملأ قلوب الذين يتعمدون باسم آلهة ثلاثة كل منهم ثالث الثلاثة .

إن المسلم لا يؤمن بوجود (روح القدس) واحدة متميزة ولكن بأرواح قدس لا حصر لها من مخلوقات الله المسخرة لطاعته ، والمسلم لا يُطَهَّر بالتعميد أو الوضوء بل تزكو نفسه بالرغبة والمشاركة في الدفاع عن الدين والقتال من أجله . قال يحيى المعمداني : (إنني أعمدكم بالماء من أجل التوبة ، ولكن الذي يأتي بعدي أقوى مني والذي لستُ جديرًا بحمل حذائه ، وسوف يعمدكم بالروح القدس والنار) (متى ١١/٣) (وفي إنجيل برنابا ينسب هذا القول إلى عيسى عليه السلام) وهكذا بالروح القدس والنار طهّر محمد الوثنيين والبدو الرحّل أنصاف البرابرة وحوّلهم إلى جيش من المؤمنين الذين حولوا بدورهم الكنيس المتداعي والكنيسة المهترئة إلى مملكة الله الدائمة في الأرض الموعودة وبقيّة أنحاء الدنيا .



القسم الثاني

محمد ﷺ كما جاء في العهد الجديد

الفصل الحادي عشر

الإسلام والأحاديث التي أعلنتها الملائكة

سجّل إثنان من كتاب الأناجيل حادثين غريبين فيما يتعلق بمولد سيدنا عيسى (عليه صلوات الله وسلامه) . الأول سجّله كاتب إنجيل متى في روايته عن رحلة حكماء المجوس برئاسة الملك كاسبار وحسب الرواية كان يوجههم نجمٌ من بلاد فارس نحو إسطبل في بيت لحم كان يرقد فيه سيدنا عيسى عليه السلام وقت ولادته . إن هذه القصة الخيالية المكونة من عدة عجائب اختلقتها الكنيسة تعتبر أسطورة مستساغة لديها . والمفترض أن هؤلاء المجوس كانوا ملهمين حتى عرفوا أن الطفل الصغير في بيت لحم كان (إلهاً وحملاً ومليكاً) ولذلك قدموا له البخور كما يقدمونه للآلهة ، وقدموا المرّ ليدفن معه قرباناً ، وقدموا الذهب من أجل خزينته الملكية .

والمفترض أن هذه الرحلة الطويلة من فارس إلى فلسطين قد تمت بسرعة خارقة بينما الطفل لم يزل في الإسطبل وأن المسافرين كانوا يهتدون بالنجم الذي كان يظهر ويختفي ثم يظهر أخيراً فوق بيت لحم ليقودهم إلى البقعة التي ولد فيها المسيح ومن الأعاجيب أيضاً ارتجاف سكان القدس وملكها اليهودي هيردوس لدى سماع خبر مولد الملك الجديد الذي لم تُعرف مكان ولادته مما أدى بهيردوس أن يذبح مئات الأطفال حديثي الولادة في بيت لحم وضواحيها على أمل التخلص منه ، وأن الوحي نزل على المجوس بعدم العودة إلى هيردوس ، إلى آخر ذلك من الخرافات التي ابتدعتها الكنيسة .

إن القديس متى وهو الوحيد بين الحواريين والمؤرخين الذي روى هذا الحادث لم يذكر شيئاً عن عقيدة الملك كاسبار ومنجميه بعد زيارتهم للإسكندرية في بيت لحم ، وهل آمنوا برسالة عيسى أم لا ؟ فلو أنهم آمنوا بها فلا معنى أن تضطهد فارس النصرانية لمدة ستة قرون أخرى حتى يجيء الإسلام وتتحول إليه في القرن السابع الميلادي !

إنني لا أقصد الإنكار التام لقصة زيارة بعض المجوس لمهد عيسى عليه السلام ولكنني أقصد إظهار رغبة الكنيسة الشديدة في المبالغة بالحوادث البسيطة في حياة عيسى المسيح وإضافة التفاصيل الخارقة لها .

أما الحدث الثاني الذي لا يقل عجباً وهو يتعلق بموضوعنا الحالي ، فقد ورد في الإنجيل الثالث الذي تعتقد الكنائس أن مؤلفه هو الطبيب لوقا (كولوسي ١٤/٤) الذي رافق القديس بولس في رحلاته التبشيرية وكان أسيراً معه في روما (٢ تيموتي ١١/٤ - فيلمون ٢٤ .. إلخ) وليس هذا مجال مناقشة تأليف الكتاب ولكن نكتفي بالقول أن المؤلف سجل الكثير من حِكَم وتعاليم المسيح . وقد روى أيضاً قصة الرعاة الذين كانوا يرعون أغنامهم قرب بيت لحم في الليلة التي ولد فيها سيدنا عيسى إذ ظهر أمامهم ملاك لكي يعلن مولد (السيد المخلص) ثم ظهر حشد من الملائكة في السماء ينشدون بأصوات عالية الترنيمة التالية (لوقا ١/٢ - ٢٠)

المجدُّ لله في الأعالي

وعلى الأرض السّلام

وفي الناس المسرة (good will)

(لوقا ١٤/٢)

هذه الترنيمة الملائكية المعروفة بـ " Gloria in Excelsis Deo " والتي تُرتل في الكنائس خلال احتفالها بالمراسم المقدسة ، ليست لسوء الحظ سوى ترجمة غامضة عن النص اليوناني الذي لا يمكن الاعتماد عليه أصلاً لأنه لا يتضمن الكلمات الأصلية باللغة التي رتل بها الملائكة والتي فهمها الرعاة العبرانيون . ومن البديهي أن الملائكة رتلت أنشودتها المفرحة بلغة الرعاة وأن تلك اللغة لم تكن يونانية بل العبرية العامية أو الآرامية ، لأن تخيل الملائكة ترتل باليونانية أمام الرعاة اليهود الذين يجهلون تلك اللغة هو مثل تخيل الملائكة فوق جبال كردستان مثلاً تنشد باليابانية أمام بعض الرعاة الأكراد الذين لا يعرفون سوى اللغة الكردية .

إن ظهور الملائكة إلى الرعاة البسطاء في بيت لحم وإعلان مولد النبي العظيم في تلك الليلة حيث سمع الرعاة وحدهم التهليلة الملائكية (هلوليا) دون أن يسمعوها الأحبار والكتبة scribes المتعجرفون ، كل ذلك يعتبر من المعجزات الكثيرة المسجلة في تاريخ شعب إسرائيل . وقد نقول أن القصة ليست مستغربة إذ يمكن أن يظهر ملاك لأحد الأنبياء ويبلغه رسالة من الله بحضور آخرين دون أن يفهم الآخرون ذلك . والرعاة الطيبون ذو قلوب سليمة وإيمان صادق فكانوا أهلاً للتكريم الإلهي بسماعهم تلك الترانيم ومن وجهة نظر دينية ليس هناك ما يدعو للاستغراب أو عدم التصديق لهذا الحدث المدهش علماً أن كاتب الرواية حريص ودقيق في عباراته وقد استخدم في إنجيله أسلوباً يونانياً جيداً جداً وبما أنه كتب كتابه بعد فترة طويلة من موت جميع الحواريين فمن المفترض أنه اطلع على الأناجيل المنسوبة إليهم وراجعها كما اطلع على أسطورة المجوس ومع ذلك لم يذكر شيئاً في كتابه، وقد ذكر في النصوص الأربعة الأولى التي بدأ بها إنجيله^(٣)

(٣) يُنصح القراء بأن يقرأوا مقدمة إنجيل لوقا بكل عناية . (المؤلف)

أن الحواريين الذين دعاهم (شهود العيان وكهنة الكلمة) لم يتركوا شيئاً مكتوباً عن المسيح وتعاليمه إنما اكتفوا بنقل رسالته وتعاليمه شفهاً إلى أتباعهم كما ذكر بوضوح أن إنجيله استند على القصص التي سمعها من الأشخاص الذين سمعوها من الحواريين وغيرهم ممن كانوا شهود عيان لتلك الأحداث ، وأنه تفحص مصادره بعناية واختار منها فقط ما اعتبره جديراً بالثقة والواضح من هذا الكلام أن لوقا لم يدعي نزول أي وحي عليه ولم ينسب لإنجيله أي علاقة بالوحي كل ذلك مما يقنع أي قارئ محايد أن ما يسمى بالإنجيل الأربعة المعتمدة Canonical gospels لا تتسم بالخصائص الضرورية التي لا بد منها في أي كتاب مقدس يزعم بأنه وحي أو تنزيل إلهي فأين هو الإنجيل الحقيقي إذن ؟ وهل من الممكن أن عيسى ورسله لم يتركوا لنا الإنجيل الحقيقي باللغة التي أنزل بها ؟ وإذا كان هنالك إنجيل صحيح كهذا فما الذي حصل له ؟ ومن الذي أضاعه أو أتلفه ولماذا لم تحتفظ الكنيسة لنا بالنسخة الأصلية منه ؟ وهل ترجم أصلاً إلى اليونانية أو إلى لغة أخرى ؟ وإذا كان الجواب على ذلك بالنفي فإننا نسأل لماذا لم يكتب هؤلاء الحواريون اليهود أنجيلهم بلغتهم الأم ولماذا كتبوا جميعاً باليونانية ؟ وأين تعلم الصياد شمعون كيف (سمعان الصفا أي بطرس) ويوحنا ويعقوب (جيمس) والجواب متى أين تعلم كل هؤلاء اللغة اليونانية من أجل كتابة سلسلة من الكتب المقدسة ؟ وإذا ما قال أحدهم أن الروح القدس علمهم فإنه يعرض نفسه للسخرية وكيف يمكن تفسير الحكمة من نزول الروح القدس بالوحي باللغة العبرية أو الآرامية على يهودي في الناصرة (عيسى عليه السلام) ثم ضياع ذلك الوحي ثم تعليم بعض الحواريين وغيرهم من اليهود اللغة اليونانية لكي يكتب كل منهم باليونانية ما سمعه عن المسيح .

وإذا قيل لنا أن الأناجيل والرسائل الإنجيلية كتبت من أجل فائدة اليهود
المشردين الذين كانوا يعرفون اليونانية فإننا نسأل : ما الفائدة التي جناها اليهود
المشردون من العهد الجديد ، ولماذا لم تُعدّ نسخ لأجل يهود فلسطين بلغتهم
الخاصة علماً أن القدس كانت مركزاً للدين الجديد وإن جيمس (يعقوب) (الأخ
المزعوم لعيسى) (سفر غلاطية ١٩/١) كان رئيس الكنيسة ومقيماً في القدس
(أعمال الرسل ١٥) ، سفر غلاطية ١١/٢ - ١٥) .

إنه من المستحيل العثور على نص واحد من الوحي المنزل على عيسى المسيح
بلغته الأصلية . ولذا فإن مجمع نيقة يحتمل إلى الأبد مسؤولية جريمة ضياع الإنجيل
الأصلي باللغة الآرامية وهي خسارة لا تعوض ، فالترجمة مهما كانت أمينة لا يمكن
أن تحتفظ بالدقة والمعنى الذي تحتويه الكلمات والتعابير الأصلية ، فكل نسخة
مترجمة عرضة للمناقشة والنقد .

أضف إلى ذلك أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لم تصل حتى إلى درجة الترجمة
عن الأصل إذ أقدم ما لدينا النسخة اليونانية التي تعرضت في الأصل إلى تحريف
وتشوية شديدين .

والآن نعود إلى كتاب لوقا وبالذات إلى الأنشودة الملائكية التي لاشك أن
الملائكة أنشدتها بلغة سامية (عبرية أو آرامية) لكنها كتبت بترجمة يونانية .

ومن الطبيعي أن نحاول كشف الكلمات الأصلية التي أنشدت بها مثلاً ما
هي الكلمة السامية الأصلية التي جعلوها باليونانية (Eudokia) وبالإنجليزية
(Good will أي النية الحسنة) وبالعربية (المسرة) .

إن التزيمة مؤلفة من ثلاثة فقرات : ١) موضوع الفقرة الأولى هو (الله) Allaha بالآرامية وقد ترجم إلى " Theos " باليونانية . ٢) وموضوع الفقرة الثانية هو (السلام) شلاما بالآرامية وترجمت إلى اليونانية بكلمة " Eiriny " . ٣) وموضوع الفقرة الثالثة (المسرة) " eudokia " باليونانية وترجمت إلى اللاتينية " Vona Voluntas " في ترجمة الـ " Volgate " اللاتينية المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية، وإلى الآرامية " Sobhra Tabha " (والتي تلفظ أحياناً " Sovra Tava ") في الترجمة الآرامية (باللهجة السريانية) المسماة بشيتا " Peshitta " .

وقد عجزت الترجمتان اللاتينية والآرامية وجميع التراجم الأخرى التي تلتها عن نقل المعنى الدقيق لكلمتي أيريني ويودوكيا وبالتالي ظلت الفقرتان الثانية والثالثة من الأنشودة دون معنى .

واستناداً على تفسير الكنائس المسيحية لهذه الأنشودة فإن إيمان الفرد بالوهية عيسى المسيح والتصديق بافتدائه الناس من الخطيئة وبالتالي من نار جهنم بموته على الصليب واستمرار اتصال المرء بالروح القدس يجلب (السلام) للقلب ويجعل المؤمنين يحملون (النية الحسنة) تجاه بعضهم البعض بالإضافة إلى الإحسان والمحبة المتبادلة بينهم لكن الكنائس عن حكمة متعمدة لا تتوقف عند هذا التفسير لأنه لا يوجد بينها ولا بين أتباعها سلام ولا اتفاق ولا وفاق ولا نية حسنة ولا حب متبادل . ولذلك تختلف الكنائس عن بعضها البعض في استكمال التفسير وتحاول افتعال وسائل أخرى للتوصل إلى هذا (السلام) و (النية الحسنة) فمثلاً يُصرّ الطقوسيون Sacramentarians على الاعتقاد بالطقوس السبعة وبتعاليم عديدة لا يمكن فهمها وليس لها علاقة من قريب أو من بعيد بعقيدة عيسى فيقولون أن الكنيسة بعد أن تطهرت بدم الفادي من خلال مياه المعمودية ، التي تقدست

بصورة غامضة ، أصبحت عروس الحَمَل وجسده أي أن الكنيسة نفسها تحولت إلى لحم العريس ودمه الحقيقيين وأصبحت جسم الحَمَل ، وهي أيضاً تتغذى من جسده بخبزٍ ونبذ مقدسين بطريقة غير مفهومة . والعروس - الكنيسة - متفانية بشكل خاص تجاه (القلوب المقدسة) لعيسى ومريم والقديس يوسف والمراحل الأربع عشرة للصلب وتجاه تماثيل مئات عديدة من القديسين والشهداء وآلاف العظام والبقايا الحقيقية أو المزيفة لهؤلاء ناهيك عن عبادة الفطيرة المقدسة كما يُعبد الله تعالى ، كل هذا التعقيد والطقوس التي لا يمكن أن يحتملها المنطق وما زال السلام بعيداً . وفوق كل ذلك يجب الاعتراف بجميع الخطايا صغيرها وكبيرها أمام الكاهن ذلك أن الغفران الذي يحصل عليه الخاطيء من " الأب الروحي " هو الذي يأتي بـ (السلام) والطمأنينة إلى القلب ويملاؤه بـ (النية الحسنة) (المسرة) !! كما يحاول النصارى أيضاً الحصول على (السلام) الداخلي عن طريق الصلاة لثلاثة آلهة كل على حدة أحياناً لعيسى وأحياناً للروح القدس وأحياناً للأب ثم يعتقدون بعد ذلك أنهم مملؤون بالروح القدس وأنهم في حالة سلام ولكنني أؤكد للقارىء أن هؤلاء النصارى " التائبين " الذين يتظاهرون بأنهم حصلوا على (السلام) وعلى (النية الحسنة) (المسرة) تجاه جيرانهم هم في الحقيقة شديدي التعصب عديمي التسامح وسواء كان المسيحي ملتزماً أو غير ملتزم فإنه عندما يخرج من الكنيسة بعد أن " يشارك " في " العشاء الرباني " الذي يسمونه " القربان المقدس " ^(٤) يصبح متعصباً ضيق الأفق حتى أنه يفضل لقاء كلب على لقاء مسلم أو يهودي لأنهما لا يؤمنان بالثالوث وبالعشاء الرباني وقد عرفت ذلك لأنني

(٤) إن إنجيل لوقا حسب الترجمة الآرامية القديمة المسماة Peshitta لا يحتوي على الجمل

(١٧-١٩) من الفصل (٢٢) وكذلك لا يوجد ما يسمى بـ (الكلمات الأساسية)

الموجودة في طقس القربان المقدس الخاص بالنساطرة . (المؤلف) :

كنت أحمل نفس المشاعر عندما كنت قسيساً كاثوليكياً حيث كنت أعتقد بأنني روحاني منزّه عن الأخطاء وكانت كراهيتي تزداد للهراطقة المزعومين من غير المؤمنين بالثالوث .

وعندما يتحمس النصارى ولا سيما قساوستهم في صلواتهم وطقوسهم وممارستهم فإنهم يصبحون عدوانيين تجاه خصومهم الدينيين . حتى أن جميع القديسين النصارى بعد مجمع نيقية كانوا طغاة في كتاباتهم ومواعظهم وأفعالهم ضد مخالفينهم . وإن محاكم التفتيش الرومانية هي الشاهد الخالد على هذا الطغيان وعلى عدم تحقق ترنيمة (على الأرض السلام وفي الناس المسرة) .

ومن الواضح إن السلام الحقيقي لا يتحقق بالطقوس المصطنعة ولكن بثلاث وسائل فقط الأولى : الاعتقاد الجازم بوحدانية الله المطلقة ، والثانية : الخضوع الكامل والاستسلام لمشيئته المقدسة ، والثالثة : أن تكون آيات الله وإبداعه هي محور التأمل والتفكير باستمرار . فمن يحقق هذه الوسائل الثلاث فهو مسلم حقيقي وعملي ، والسلام الذي يحرزه عن طريقها يكون سلاماً حقيقياً غير مصطنع فيصبح متسامحاً أميناً عادلاً رحيماً ولكن في نفس الوقت يكون مستعداً للدفاع عن دين الله .

على أن الملائكة بكل تأكيد لم تنشأ تكريماً للسلام الفردي الذي يحصل عليه عدد محدود من عباد الله ، كما أنها لم تقصد سلاماً وهمياً بمعنى نزع السلاح من الدول وإيقاف الحروب والأعمال العدائية بين الشعوب ، ولم تقصد سلاماً مقتصرأ على شعب إسرائيل فقط لأن تاريخ العشرين قرناً الأخيرة يدل على العكس تماماً ، فالملائكة لا يمكن أن تنشأ وتعلن سلاماً وهمياً لا يمكن أن يتحقق لذلك فنحن مضطرون تجاه الحقائق التاريخية من جهة ، وأهمية المناسبة والمصدر الذي جاء منه

هذا الإعلان من جهة أخرى إلى الإستنتاج أن هذا السلام على الأرض لم يكن سوى تأسيس مملكة الله على الأرض وهو أمر قد تحقق ألا وهو الإسلام . ذلك أن كلمة " Eiriny " اليونانية مرادفة للكلمات السامية (شالوم) في العبرية و (شلاما) في الآرامية و (إسلام) في العربية ، هذا كل ما في الأمر .

وإن مجرد ذكر (الحشود السماوية الكثيرة) يعطي للأنشودة طابع الانتصار والتبشير بقرب مملكة الله على الأرض ، تلك المملكة التي كان أعظم روادها الطفل الحديث الولادة في بيت لحم .

وقد سبق أن شرحنا أن السلام بمعناه العملي الحسي يدل على دين سليم ونافع عكس الدين الشرير السيء المؤذي المدمر المؤدي إلى البؤس والهلاك . وبهذا المعنى فإن الله تعالى في رسالته إلى قورش من خلال نبوءة إشعيا استعمل كلمة (شالوم) كمرادف للخير (عكس شر) (سفر إشعيا ٤٥/٧) . هذا هو بالضبط التفسير الحرفي واللفظي والعملي لكلمة إسلام كدين صحيح كفيل بإقامة مملكة ربانية قوية على الأرض لها شرائعها وتوجيهاتها الدائمة الصالحة التي يتضمنها القرآن الكريم .

إن الإسلام يعني حرفياً (صنع السلام) وأن أي تفسير آخر أو سلام خيالي أمر غير وارد بالمعنى الذي وردت كلمة " Eiriny " في تلك الأنشودة الملائكية . وقد قصد سيدنا عيسى المسيح هذا المعنى الإسلامي بالضبط عندما ألقى موعظته البليغة على الجبل : (طوبى للمسلمين (أي صانعي السلام) لأنهم يُدعون أبناء الله)^(٥) (متى ٩/٥) .

(٥) سنعالج فيما بعد تعبير أبناء الله . (المؤلف) .

وإن السلام الوهمي هو ما رفضه المسيح عندما قال (لا تظنوا أنني قادم لإقامة السلام على الأرض ، إذ لم آت لوضع السلام بل لاستخدام السيف) (متى ١٠/٣٤) أو كما قال (جئت لأشعل النار في الأرض أتظنون أنني جئت لأعطي سلاماً على الأرض ؟ أقول لكم لا ، بل انقساماً ...) (لوقا ١٢/٥١) .

وما لم تفهم كلمة " Eiriny " على أنها دين الإسلام ، فإن هذه الأقوال الخطيرة لسيدنا عيسى تبدو لغزاً يحمل في ثناياه التناقض والتشويه لرسالته الصحيحة .



الفصل الثاني عشر

"يودكيا " Eudokia " تعني أحمد

(لوقا ١٤/٢)

لو كان هناك مخطوطة أو مخطوطتان على الأقل للقديس لوقا باللغة العبرية فإنه قد يمكن إعادة ترجمة إنجيله إلى اللغة العبرية بصعوبة أقل نسبياً مما لو لم يكن لدينا أيّاً من مخطوطات لوقا العبرية ، ولكن هذا الافتراض غير متحقق فقد ضاعت جميع الكتابات القديمة (بلغة المسيح) التي تُرجم منها النشيد الملائكي إلى اليونانية كما أنه لم يصلنا عن لوقا أي كتاب بلغة سامية ، عبرية أو آرامية . ولمزيد من الإيضاح ولتمكين القارئ من تقدير أهمية هذه النقطة فإنني على سبيل المثال أتحدى أعظم عملاء الأدب الإنجليزي أو الفرنسي أن يعيدوا ترجمة النص الفرنسي لمسرحيات شكسبير إلى الأصل الإنجليزي دون الرجوع إلى النص الإنجليزي الأصلي وبحيث يعيدوا جمال وتناسق ودقة النص الأصلي .

لقد كتب الفيلسوف المسلم الكبير ابن سينا مؤلفاته باللغة العربية وأعيدت بعد ذلك ترجمة بعض كتاباته من اللاتينية إلى العربية لأن الأصول العربية فقدت ، فهل كانت النصوص العربية المترجمة مطابقة لتلك التي كتبها ابن سينا بنفسه والجواب بالنفي طبعاً .

تحدثنا في الفصل السابق عن معنى كلمة " Eiriny " اليونانية ووجدنا أن الكلمة التي يقابلها في العبرية هي كلمة (شالوم) علماً أن الكلمتين متطابقتان

تماماً في نصوص الترجمة السبعينية^(١) "Septugint" (اليونانية) والترجمة العبرية للعهد القديم . ولكن الكلمة اليونانية المركبة (يودوكيا) على ما أعلم لم ترد في الترجمة السبعينية ومن الصعب جداً إيجاد تعبير يماثلها أو يرادفها في الأصل السامي أضف إلى ذلك أن أناجيل متى ومرقس ويوحنا وبرنابا لم تذكر هذه الأنشودة الملائكية ولم يرد ذكرها أيضاً في أي من رسائل epistles العهد الجديد .

ومن أجل اكتشاف الكلمة السامية الأصلية التي سمعها الرعاة والتي صاغها النص اليوناني لإنجيل لوقا في كلمة (يودوكيا) فإنه يجب متابعة جذورها اليونانية . ولكن قبل ذلك سوف نستعرض تراجم الكتاب المقدس المليئة بالأخطاء التي حجبَت المعنى الصحيح لكلمة (يودوكيا) وأخفت منحها النبوي عن أحمد أو محمد .

هناك نصان رئيسيان قديمان للعهد الجديد منقولان عن النسخة اليونانية ، الأول باللغة السريانية (الآرامية)^(٢) ويسمى البشيتا " Peshitta " والثاني باللغة اللاتينية ويسمى فالجيت " Vulgate " وكلاهما يحملان عنوان " Simplex " بمعنى البسيط وهو معنى كلمتي بشيتا وفالجيت . وقد ظهرت الكثير من المعلومات الحديثة حول هذين النصين الرئيسيين مما يسبب حرجاً لأعظم اللاهوتيين والمؤرخين

(١) السبعينية هي الترجمة اليونانية للعهد القديم وسميت كذلك نسبة إلى اثني وسبعين عالماً يهودياً (يفترض أن يكونوا ستة من كل سبط من الأسباط الاثني عشر) قاموا بترجمته إلى اليونانية في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد .

(٢) إن ترجمة البشيتا " Peshitta " لم تستعمل مطلقاً كلمات Syria وسرياني Syriac بل كانت تستعمل كلمتي آرام Aram وآرامي Aramaic ذلك أن اللغة السريانية تعتبر لهجة من اللهجات الآرامية التي كانت منتشرة في منطقة الرها .

النصارى . ويكفي أن نذكر الآن أن النسخة الآرامية المسماة بشيتا " Peshitta " هي أقدم من الترجمة اللاتينية " Vulgate " للكتاب المقدس . ومن المعروف أنه خلال القرون الأربعة الأولى بعد المسيح لم يكن لدى كنيسة روما كتب مقدسة ولا طقوس دينية باللغة اللاتينية وإنما باللغة اليونانية فقط كما أنه قبل الجمع المسكوني المنعقد سنة ٣٢٥ م لم يكن قد تم تجميع الأسفار المؤلفة لكتاب العهد الجديد وبالأحرى لم يكن هنالك وجود للعهد الجديد بل كان هناك الكثير من الأناجيل gospels والرسائل epistles التي تحمل أسماء مختلفة لتلاميذه وصحابة عيسى والتي اعتبرت كتباً مقدسة من قبل العديد من المجتمعات المسيحية لكن الجمع المسكوني في نيقية رفضها معتبراً إياها غير شرعية .

ولما كانت الرها " Edessa " (الواقعة في جنوب شرق آسيا الصغرى) هي عاصمة اللغة السريانية ومقرها التعليمي ، فقد كانت كتب العهد الجديد تترجم من اليونانية إلى السريانية في الرها بعد انعقاد الجمع الكنسي المشؤوم في نيقية .

ومن الواضح من دراسة الأدب والتاريخ المسيحي القديم أن الحواريين وأوائل المبشرين بالإنجيل كانوا من اليهود الذين تكلموا الآرامية أو السريانية . ومن المؤكد أن النصارى الأوائل كانوا يؤدون صلواتهم وطقوسهم باللغة الآرامية لأنها كانت اللغة الدارجة التي تحدث بها اليهود والسريان والفينيقيون والكلدان والآشور . وأن الأناجيل المتعددة والرسائل وكتب الصلاة والطقوس الدينية كانت

في الأصل مكتوبة باللغة الآرامية (السريانية) ^(٣) حتى أن الأرمن - قبل اختراع
الألفباء الأرمنية في القرن الخامس - كانوا يستعملون الحروف السريانية .

غير أن الذين دخلوا النصرانية في وقت متأخر من غير الساميين وغير اليهود،
كانوا يقرأون العهد القديم باليونانية (الترجمة السبعينية) . كما أن الفلاسفة
وكهنة الأساطير اليونانية (بعد تحويلهم إلى النصرانية) لم يجدوا صعوبة في إنتاج
(عهد جديد) باليونانية يستكمل العهد القديم خاصة أن النسخة السبعينية من
العهد القديم كانت أمامهم .

والنتيجة أن إنجيل المسيح قد تحوّل ليصبح مصدراً لالتجاهين فكريين أحدهما
سامي والآخر إغريقي ، ثم استطاع الفكر المُشرك الإغريقي أن يتغلب على العقيدة
التوحيدية السامية بمساعدة قسطنطين الكبير أعتى وأطغى الأباطرة الإغريق - اللاتين
وبمساعدة أشد القساوسة تعصباً وتعسفاً من ذوي عقيدة التثليث في بيزنطة وروما .

يضاف إلى ذلك مشاكل وحدة العقيدة والمذهب والنص المنزل ذلك أنه لمدة
أكثر من ثلاثة قرون لم يكن لدى الكنيسة أي (عهد جديد) كالذي نراه في
صورته وشكله الحاليين . ولم تكن أي كنيسة من الكنائس السامية أو الإغريقية أو
كنائس أنطاكية أو الرها أو بيزنطة أو روما تملك جميع أسفار العهد الجديد بل لم
تكن تملك حتى الأناجيل الأربعة قبل انعقاد مجمع نيقية . ولاني لأستغرب كيف
كانت عقيدة أولئك النصارى الذين لم يكن في حوزتهم غير إنجيل لوقا أو إنجيل

(٣) انبثقت اللغة السريانية عن الآرامية وكلاهما مكونتان من نفس الأبجدية وهي عبارة عن

٢٢ حرف وعادة ما يطلق اسم اللغة السريانية على اللهجة الآرامية التي كانت دارجة في

الرها وما حولها .

مرقس أو إنجيل يوحنا فيما يتعلق بتعاليم القربان المقدس ، أو المعمدانية ، أو التثليث أو الولادة المعجزة لسيدنا المسيح ، وغير ذلك من المعتقدات والمبادئ .

إن نسخة (البشيتا) السريانية لا تحتوي على ما يسمى (بالكلمات الأساسية أو التنظيمية) الموجودة الآن في إنجيل لوقا (١٧/٢٢ - ١٩) ، كما أن الجمل الاثني عشر الأخيرة من الفصل السادس عشر من إنجيل مرقس لم توجد في المخطوطات اليونانية القديمة ، وأن ما يدعى (بصلاة الرب) (متى ٦/٩ ، لوقا ١١/٢) ليست معروفة لدى مؤلفي الإنجيل الثاني (مرقس) والرابع (يوحنا) ، وفي الحقيقة إن الكثير من التعاليم الهامة التي قد توجد في أحد الأناجيل لم تكن معروفة لدى الكنيسة التي لم تكن تملك ذلك الإنجيل وبالتالي لم تتحقق الوحدة في طرق العبادة وفي الانضباط والسلطة والعقيدة وفي الوصايا والقوانين لدى الكنيسة الأولى ناهيك عن أن الوحدة في هذه الأمور لم تتحقق حتى أيامنا هذه .

والخلاصة أن الكتب اليهودية المقدسة كانت بمثابة الإنجيل للنصارى في عهد الحوارين بالإضافة إلى الإنجيل المتضمن الوحي الحقيقي الذي أنزل على سيدنا عيسى والذي كان جوهره مطابقاً لأنشودة الملائكة عن الإسلام والرسول الملقب بأحمد (محمد) .

إن الرسالة المحددة التي بعث بها المسيح كانت هداية اليهود وإعادتهم عن ضلالهم وانحرافهم وتصحيح اعتقادهم الخاطئ عن مسيح منحدر من سلالة داود وإقناعهم بأن ملكوت الله على الأرض الذي كانوا ينتظرونه لم يكن ليأتي بوساطة مخلص من سلالة داود ولكن من نسل إسماعيل واسمه أحمد وهو الاسم الصحيح المطابق للاسم الذي نصّت عليه الأناجيل اليونانية بصيغة يودوكسوس

" Eudoxox " وبركلييتوس " Periqlytos " (وليس باراكليت " Paraclete " كما شوهرته الكنائس) .

غير أن موضوع ال بيريكلييتوس " Periqlytos " سوف يكون واحداً من أكثر الأبحاث أهمية في سلسلة هذه المقالات (الفصل ١٨) . ومهما تكن أهمية ال باراكليت " Paraclete " الذي ابتكرته الكنائس (انظر يوحنا ١٤/١٦ ، ٢٦) (٢٦/١٥) و (٧/١٦) والأصل الصحيح لتلك الكلمة فإن الحقيقة تشهد أن عيسى خلّف بعده ديانة ناقصة من المفترض أن تكتمل بعده بواسطة من أطلق عليه يوحنا (أوبي سوبرا) ووصفه (لوقا ٢٤/٤٩) (بالروح) . هذه (الروح) ليست ولم تكن إلهاً ولا ثالث ثلاثة لكنها روح (أحمد) الطاهرة التي وجدت مع أرواح الأنبياء الآخرين في الجنة (إنجيل برنابا) ، فإذا كانت روح المسيح بشهادة الحوار يوحنا (يوحنا ٥/١٧) قد وجدت قبل أن يُخلق رجلاً فإن روح محمد قد وجدت أيضاً قبل خلقه رجلاً بشهادة حوار يآخر هو برنابا وسوف أبحث هذه النقطة في الحلقة التالية . غير أنني الآن أوجه السؤال التالي إلى جميع الكنائس المسيحية : هل كان الإنجيل الرابع (يوحنا) موجوداً لدى جميع الكنائس المسيحية في آسيا وإفريقيا وأوروبا قبل انعقاد المجمع المسكوني في نيقية بآسيا الصغرى عام ٣٢٥ م ؟ فإذا كان الجواب نعم فالرجاء إبراز براهينكم ، وإذا كان الجواب بالنفي عندئذ يجب الاعتراف أن قسماً كبيراً من النصارى لم يكن يعرف شيئاً عن الباركليت " Paraclete " المذكور في الإنجيل الرابع ، فالباراكليت كلمة مبهمه لا تعني (المعزّي) ولا (الوسيط) ولا أي شيء آخر كل ذلك يشكل اتهامات خطيرة جداً ضد الكنيسة .

ونعود إلى الموضوع . إن (البشيتا) ترجمة الكلمة اليونانية (يودوكيا)
(التي يلفظها اليونانيون أو إيفدوكيا) إلى (سوبرا تابا) (وتلفظ سوفرا تافا) ،
وهي تعني (الأمل الطيب) أو (التوقع الطيب) في حين أن الترجمة اللاتينية
Vulgate ترجمت (يودوكيا) إلى (بونا فولاتاس) Bona Voluntas أي (النية
الحسنة) .

ومع أن الترجمتين لهما أساس بسيط جداً من الصحة إلا أن ذلك لا يبرر
ترجمتهما إلى كل من السريانية واللاتينية على هذا النحو وإني أتحدى جميع علماء
اليونان أن ينقضوا قولي بأن مترجمي النصين السرياني واللاتيني قد ارتكبوا غلطة
هائلة في تفسير (يودوكيا) ، وأنا لا أتهم المترجمين بأنهم حرفوا هذا التعبير
اليوناني عمداً فمن المحتمل أنهم لم يدركوا المعنى النبوي الصحيح للكلمة السامية
الأصلية التي اشتقت منها كلمة (يودوكيا) اليونانية .

إن المعنى الصحيح والحرفي المطابق لعبارة (الأمل الطيب) باللغة اليونانية
ليس (يودوكيا) بل هو euepis أو euepistia وهي تلفظ (إيفلبستيا) ، أما التعبير
الدقيق والصحيح المطابق للتعبير اللاتيني (بونا فولاتاس) أو (النية الحسنة أو
الطيبة) باللسان اليوناني فهو بالتأكيد ليس (يودوكيا) ولكن (يوثيلما)
euthelyma .

١ - الأصل اللغوي لكلمة يودوكيا Eudokia :

وعندما نبحث عن المعنى الحقيقي لكلمة يودوكيا Eudokia نرى أن مقطع
(Eu) الذي يسبقها يعني : (جيد ، حسن ، أكثر ، والأكثر) كما هو في
يودوكيميو Eudokimeo أي المحترم ، المقبول ، المحبوب ، وكذلك صاحب المجد ،

وفي كلمة يودوكيموس Eudokimos التي تعني عظيم الاحترام ، ذائع الصيت والمجد ، وكلمة يودوكسوس Eudoxos التي تعني ذا الشهرة الواسعة والمجد وكلمة يودوكسيا Eudoxia ومعناها : مشهور ومعروف . أما مقطع دو كسا doxa المستعمل في الأسماء المركبة مثل : (doxology , orthodox) فهو مشتق من الفعل دو كيو Dokeo . وإن كل من يدرس الأدب الإنجليزي يعرف أن كلمة دو كسا doxa تعني المجد ، الشرف ، الشهرة ، كما أن هناك تعابير عديدة في الأدب الكلاسيكي الإغريقي تستعمل كلمة دو كسا doxa لتشير إلى المجد ، مثلاً : (Peri doxis makheshai) تعني (أن يحارب من أجل المجد) . ومع أنني على علم بأن كلمة (doxa - دو كسا) تستخدم في أحيان نادرة للتعبير عن : (أ) الرأي أو المعتقد . (ب) المبدأ و المذهب . (ج) التوقع أو الأمل . لكن معناها العام هو (المجد) وفي الحقيقة أن القسم الأول من أنشودة الملائكة يبدأ بـ " دو كسا (المجد) لله في الأعالي " .

إن القاموس اليوناني - فرنسي (الذي نشر في باريس (R. C. Alexandre) عام ١٨٤٦ م يعطي كلمة يودوكيا Edokia معنى (لطيف ، محسن ، ودمث) كما يقدم المؤلف كلمة دو كيو Dokeo على أنها أصل كلمة doxa دو كسا بمختلف معانيها التي ذكرت أعلاه . وبينما أجمع يونانيو القسطنطينية الذين تعرفت إلى عدد كبير من الأساتذة منهم علماً أنهم يفهمون من يودوكيا Edokia معنى (السرور ، المحبة ، الرضى ، والرغبة) إلا أنهم يقولون أيضاً معناها الأصلي هو (الشهرة ، المعرفة ، والشرف) .

٢ - الأصل اللغوي للكلمات اليهودية (مَحْمَدٌ) و (حِمْدَه)

ومعانيهما :

إن السبيل الوحيد لفهم الكتاب المقدس هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية ، عندئذٍ فقط يمكن فهم الوحي الإلهي وعندئذٍ فقط يمكن الكشف عن الزيف والخداع والتحريف في أوضح مظاهرها . ومن وجهة النظر هذه فإنني أرى في الكلمة اليونانية يودوكيا Edokia اتفاقاً عجيباً في معناها الصحيح والحرفي مع الكلمات العبرية (مَحْمَدٌ ، مَحْمَدٌ ، حِمْدَه ، حِمْدٌ) التي تستعمل بصورة متكررة في العهد القديم .

(أ) (حَمَدٌ) : يتألف هذا الفعل من الحروف الساكنة السامية (ح م د) وحيثما جاءت هذه الحروف في الكتابات المقدسة اليهودية فإنها تعني (يحب ، يشواق ، ويرغب) هذا هو بالضبط معنى الفعل حَمَدٌ في المخطوطات العبرية ، وقد ورد في إحدى الوصايا العشر من التوراة ما يلي : (لو تحمّد إيش رايخه (أي لا تشته زوجة جارك) (سفر الخروج ١٧/٢٠) .

(ب) حِمْدٌ بالمذكر ، وحِمْدَه بالمؤنث يدلان على الرغبة ، الرضى ، البهجة ، التلهف ، والجمال) (حجي ٧/٢ وإرميا ٣٤/٢٥ إلخ) .

(ج) مَحْمَدٌ ، مَحْمَدٌ (مرثي إرميا ٧/١ ، ١٠ - ٤/٢) :

هاتان الصيغتان مشتقتان من الفعل حَمَدٌ ومعناها : (المرغوب فيه جداً ، البهيج ، الرائع ، اللطيف ، الجذاب ، القيم ، المحبوب) . وليس هناك ذرة من الشك بأن الصيغة العربية (مَحْمَدٌ) والعبرية (مَحْمَدٌ) و (مَحْمَدٌ) كلها

مشتقة من ذات الأصل والجذر رغم الفروق البسيطة في التشكيل وقد أوردت معاني الصيغ العبرية كما فهمها اليهود ومؤلفوا المعاجم .

(د) نلاحظ إذاً أن الكلمة اليونانية يودوكيا تعطي حرفياً معنى الاسم العبري حِمْدَه وبالمقابل فإن الكلمة المماثلة في اليونانية لكلمة (مَحْمُذُ) لا يمكن إلا أن تكون يودوكسوس Eudoxox وهي بمعنى : الشيء الذي يُتّاق إليه والمتطّلع إليه ، واللّطيف والبهيج ، والنفيس والمحبوب ، والمحترم .

٣ - إنها معجزة فريدة في تاريخ الأديان أن يُطلق اسم مُحَمّد لأول مرة من بين جميع البشر على نجل عبد الله وآمنة .

ولا يمكن أن تكون هناك حيلة أو زيف أو تزوير في ذلك لأن والديه وأقرباءه كانوا وثنيين لم يعلموا شيئاً عن التنبؤات في الكتب العبرية والمسيحية عن النبي العظيم المقدّر له أن يأتي لكي يعيد ويطهر دين الإسلام . وإن اختيار عبد الله وآمنة لاسم (محمد) أو (أحمد) لا يمكن تفسيره بأنه كان مصادفة أو حدثاً عارضاً . لقد كان الأمر بلا ريب إعجازاً يتعلق بالإلهام الإلهي .

إن الاسم المبني للمجهول للفعل (حَمَدَ) في العربية هو (مُحَمّد) ويقابل ذلك في العبرية (مَحْمُذُ) أو (مَحْمُذُ) ، وليس هنالك أدنى شك في التطابق والتشابه بين الصيغتين .

لقد عرضت بكل أمانة معنى الصيغ العبرية كما قدمها كتاب المعجم والمترجمون وتبين أن المعنى الجوهرى والروحي لكلمتي حِمْدَه و مَحْمُذُ هو : الثناء والمستحق للثناء ، المجد والمجيد . فمن بين كل المخلوقات من يمكن أن يكون الأكثر

مجداً وحسن ثناء غير ذلك الذي يحبه ويتطلع إليه الناس ؟ ومن منطلق هذا المعنى الواقعي استعمل القرآن كلمة (الحمدُ) والتي يشتق منها (أحمد ومحمد) ، وكلمة حَمْدَ هي نفس الكلمة العبرية حِمْدُ . وقد أوضح دانيال (سفر دانيال الفصل ٧) أن مجد (مُحَمَّد) يتفوق على مجد كل مخلوق آخر لأن الشرف والمجد الأكبر قد منحه الله إلى أعظم أنبيائه بتكليفه إقامة دين الله وتصحيح مفاهيمه تحت اسم (الإسلام) الذي يعني : السلام والأمان والسلامة والاطمئنان والخلاص، وكذلك الخير في مقابل الشر ، ناهيك عن الخضوع والإذعان لمشيئة الله تعالى .

لقد كانت الرؤيا التي شاهدها الرعاة بمناسبة ميلاد سيدنا المسيح ذات توقيت رائع لأنه ولد في تلك الليلة رسول عظيم من رسل الله المبشرين بالإسلام . لقد كان المسيح هو المبشر بملكوت الله على الأرض كما كان إنجيله تمهيداً للقرآن وبداية لعصر جديد في تاريخ الأديان والأخلاق .

إن عيسى نفسه لم يكن (مُحَمَّد) المقدر له أن يأتي فيما بعد لتحطيم مملكة الشر والوثنية في الأراضي الموعودة . إذ كانت القوة الرومانية الجبارة في عهده ما تزال تنمو وتتوسع وكان مقدراً للقدس مع هيكلها الرائع أن تُدمر على يديها بعد مجيء المسيح ، لقد جاء عيسى المسيح إلى قومه ولكنهم رفضوه وأعرضوا عنه ، وأما الذين آمنوا به فقد جُعلوا (أبناء للمملكة) وتشتت الباقون في الأرض ، وتبع ذلك الاضطهادات العشرة الرهيبة تحت حكم أباطرة الرومان العشرة الأوائل ثم جاء الامبرطور قسطنطين الكبير فثبتت عقيدة الثالوث وقضى على النصارى الموحدين ، ثم كانت بعثة محمد عليه السلام الذي لم يكن إلهاً أو ابن إله ولكنه كان النبي الموعود الذي تحققت فيه فعلياً كل الصفات التي يعيها اسمه فقد كان

محمد ابن الإنسان المنتظر (البارناشا) الأحمد الجدير بالثناء الذي جاء وقضى على
الوحش الكبير .

وهكذا تكون الأنشودة الملائكية في معناها الحقيقي كما يلي :

المجد والحمد لله في الأعالي
أوشك أن يجيء الإسلام للأرض
يقدمه للناس أحمد .



الفصل الثالث عشر

يحيى المعمدان يعلن عن نبي قوي

كان يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) ، حسب روايات الحواريين الأربعة، ابن خالة عيسى وكان معاصراً له إذ ولد قبله بستة أشهر . ولا يذكر القرآن شيئاً عن حياة هذا النبي سوى أن الله أوحى لزكريا أنه سينجب ولداً اسمه يحيى ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ سورة مريم (٧)، وسيكون شريفاً طاهراً مصداقاً لكلمة الله ومن الأنبياء الصالحين ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُشِيرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا * وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ سورة آل عمران (٣٩) .

كان يحيى من الناصرة عاش في البرية يأكل الجراد والعسل البري ويرتدي كساء من وبر الجمال ويُعتقد أنه كان من طائفة دينية يهودية تسمى الأسينيين (Essenes) الذين ظهر منهم النصارى الأوائل (الإيونيون Ebionites) وكانوا يمتازون بالانصراف عن الملذات الدنيوية ، والواقع أن الوصف القرآني لهذا النبي بكونه ﴿ حَصُورًا ﴾ تدل على أنه عاش حياته عازباً . ولم يكن معروفاً في باكورة شبابه حتى بلغ نحو الثلاثين من عمره حين بدأت بعثته وأخذ يدعو الناس للتوبة وصار يعمّد اليهود التائبين في نهر الأردن ، وانطلقت الجماهير إلى برية يهودا لسماع مواعظه البليغة وصار يوبّخ الفريسيين Pharisees والقُسس المتعصبين وأنذر الصدوقيين Saducees المعلمين الفلاسفة بالكارثة المقبلة وأعلن أنه كان يعمّدهم بالماء كرمز لتطهير القلوب بالتوبة ولكن نبياً آخر قادماً بعده سوف يعمّدهم بالروح القدس والنار وسوف يجمع القمح إلى مخزنه ويحرق القش بنار لا تُخمد .

كما أعلن أن القادم بعده سيكون أعلى منه مكانةً من حيث السلطة والكرامة لدرجة أن يحيى قال عن نفسه أنه (لا يستحق شرفَ الانحناء وحلّ رباط حذاء ذلك النبي) (متى ١١/٣) .

وحسب رواية مرقص ولوقا فإن عيسى كان من جملة الذين تعمّدوا في ماء الأردن على يد يحيى كأَيِّ شخص آخر (مرقص ٩/١) و (لوقا ٣/٢١) ، أما متى فإنه يُضيف إلى روايتي مرقص ولوقا أن يحيى قال لعيسى (إنني بحاجة لأن أعتمد على يدك فهل جئت أنت إلي ؟) (متى ١٤/٣) ويقال أن عيسى أجاب بقوله : (دعنا نحقق الاستقامة) ثم تعمد على يد يحيى .

أما كاتب الإنجيل الرابع فهو لا يعرف شيئاً عن تعميد عيسى على يد يحيى ولكنه يقول لنا : إن يحيى عندما رأى عيسى صاح قائلاً (انظروا هذا حَمَلُ الله ... إلخ) (يوحنا ١/٢٩) . ويدّعي هذا الإنجيل أن (أندراوس) كان تلميذاً ليحيى ثم بعد ذلك هجر معلمه يحيى وأحضر أخاه سمعان بطرس (الصفا) إلى عيسى (يوحنا ١) وهي قصة تناقض بشكل فاضح أقوال الإنجيليين الآخرين (متى ١٨/٤-١٩) و (مرقص ١٦/١-١٨) . أما القديس لوقا فيذكر أن عيسى كان يعرف (سمعان بطرس) قبل أن يصبح حوارياً (لوقا ٤/٢٩-٣٨) . ويضيف لوقا أن عيسى أضاف أولاد يونس وزبدي إلى مجموعة تلاميذه (لوقا ١/٦-١١) الأمر الذي لم يرد في كتابات بقية الحواريين .

كما يذكر الإنجيل الرابع أن يحيى لم يتعرف على شخصية عيسى إلا بعد أن نزلت عليه روح كالحمامة بعد أن تعمد (يوحنا ١) بينما يقول لنا لوقا إن يحيى عندما كان جنيناً في رحم أمه كان يعرف عيسى ويعبده (وذلك عندما كان عيسى بدوره جنيناً أصغر في رحم مريم) (لوقا ١/٤٤) ، ثم يقال لنا ثانية أن يحيى

عندما أودع في السجن حيث استشهد لم يكن على علم بالطبيعة الحقيقية لرسالة عيسى (متى ١١/٢-٣) .

وهكذا فإن الأناجيل الأربعة للكنائس التثليثية تحتوي على العديد من الأقوال المتضاربة حول عيسى ويحيى عليهما السلام .

وقد وردت إشارة مبهمّة في الأسئلة التي وجّهت إلى النبي يحيى من قبل الكهنة واللاويين ، فقد سألوهُ ثلاثة أسئلة على التوالي (هل أنت المسيح ؟ هل أنت إيليا ؟ هل أنت ذلك النبي ؟) وعندما أجابهم على كل سؤال بالنفي قالوا له : (إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبي ، إذن فلماذا تُعمّد ؟) (يوحنا ١٩/١-٢٥) وهكذا فإنه حسب الإنجيل الرابع لم يكن يحيى المعمدان هو المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبي ، وإني أسأل الكنائس المسيحية التي تؤمن أن ملهم جميع هذه الأقوال المتضاربة هو الروح القدس ، أي ثالث الآلهة الثلاثة ، مَنْ يعني أولئك الأحرار اليهود واللاويون بقولهم (وذلك النبي ؟) فإذا كانت الكنائس تدعي عدم معرفتهم (بذلك النبي) فما هي الفائدة من هذه الأناجيل المحرفة المشكوك فيها ؟ أما إذا كانت الكنائس تعرف من هو (ذلك النبي) فلماذا تبقى صامتة ؟ .

لقد ذكر النص أعلاه صراحة أن يحيى قال أنه لم يكن ذلك النبي ، بينما يُروى أن عيسى قال (لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى) (متى ١١/١١) فهل قال عيسى ذلك حقيقة ؟ هل كان يحيى أعظم من إبراهيم وموسى وداود وعيسى نفسه ؟ وإذا كانت هذه الشهادة من عيسى عن يحيى ابن زكريا صحيحة فإن عظمة (أكل الجراد في البرية) اقتصرَت على نكرانه المطلق لذاته وعزوفه عن الدنيا بكافة ملذاتها ومباهجها ورغبته الشديدة في دعوة الناس إلى التوبة وبشارته السارة عن (ذلك النبي) .

أم أن عظمته نتجت عن كونه ابن خالة عيسى وشاهداً عليه ؟ إن قيمة وعظمة أي رجل أو نبي تقدر بأعماله وإنجازاته ولم يصل إلى علمنا عدد الأشخاص الذين اهتموا من خلال مواعظ يحيى وتعميده ، كما أن أثر تلك الهداية على موقف وسلوك اليهود التائبين (على فرض وجودهم) تجاه عيسى المسيح لم يكن ذي بال .

وفي مكان آخر يروي أن المسيح أعلن أن يحيى المعمدان كان النبي إيليا نفسه (متى ١٤/١١ ، و ١٧/١٢) أو أنه تجسداً جديداً للنبي إيليا (لوقا ١٧/١) في حين صرح يحيى للوفد اليهودي إنه لم يكن إيليا ولا المسيح ولا ذلك النبي (يوحنا ١٩/١-٢٥) .

فماذا يستنتج المرء من هذه الأناجيل الحافلة بالمتناقضات ؟ وهل يستطيع معرفة الحقيقة منها ؟ إن التهمة خطيرة جداً لأن الأشخاص المعنيين إثنان من الأنبياء خلقا في رحمي أميها على يد الروح وكانت ولادة كل منهما معجزة ، أحدهما ميلاد بدون أب والثاني ولد من أبوين عقيمين عجوزين في التسعينات من عمريهما والأخطر من ذلك أن رواية هذه القصص هم الحواريون الذين يُزعم أنه يُوحى إليهم من الروح القدس وأن ما دونوه هو الوحي ! ومع ذلك فهناك أكذوبة أو تزيف في مكان ما ، فالمفروض أن إيليا (أو إلياس) يجيء قبل (ذلك النبي) (ملاخي ٤/٥-٦) ويقول عيسى (يحيى هو إيليا) ، ويقول يحيى (أنا لست إيليا) . كل هذه المتناقضات وردت في الكتاب المقدس عند النصارى ! .

فمن المستحيل إذا الوصول إلى الحقيقة والدين الحق من هذه الأناجيل إلا إذا قرئت من وجهة نظر إسلامية عندئذٍ فقط يمكن استخلاص الصدق من الكذب وتمييز الحقيقي عن الزائف . ولا يمكن غربة الأناجيل وتمييز الغث من السمين فيها

إلا بمقياس الإسلام وعقيدته . وقبل أن أثبت أن النبي الذي تنبأ عنه يحيى (متى ١١/٣) لا يمكن أن يكون سوى محمد فإنني ألقت انتباه قرائي إلى نقطتين هامتين أخريين :

١ - يكنّ المسلمون أعظم الاحترام لجميع الأنبياء ولا سيما أولئك الذين وردت أسماؤهم في القرآن مثل يحيى وعيسى ، ويؤمنون أن الحواريين كانوا رجالاً أبراراً مطهرين . ورغم أن كتاباتهم الأصلية ليست موجودة فإن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا أن أيّاً منهم يمكن أن يناقض الآخر . وهناك أمر آخر جدير بالملاحظة وهو الصمت الغريب من قبل إنجيل برنابا عن يحيى المعمدان ، هذا الإنجيل لا يذكر اسم يحيى قط وينسب النبوءة عن (النبي الأقوى) إلى عيسى المسيح ، كما يذكر أن عيسى قال عن روح محمد أنها خلقت قبل أرواح الأنبياء الآخرين وأخبر أنها على درجة من المجد والرفعة بحيث أنه عندما يأتي (ذلك النبي) فإن عيسى سوف يعتبر نفسه غير جدير بالإحناء وحل رباط حذائه.

٢ - إعتاد يحيى في البرية أثناء مواعظه للجماهير أن يصرخ بصوت عالٍ ويقول : (أنا أعمدكم بالماء للتوبة وغفران الخطايا ، ولكن هناك شخص قادم بعدي أقوى مني لدرجة أنني لا أستحق حل رباط حذائه ، وهو سيعمدكم بالروح والنار) (متى ١١/٣) هذه الكلمات رويت بصور مختلفة في الأناجيل ولكن بنفس المعنى ، مما يدلّ على أكبر قدر من الاحترام والتقدير للشخصية القوية ذات الكرامة الرفيعة التي يتمتع بها النبي القوي المنتبأ عنه . وهذه الكلمات الصادرة عن يحيى المعمدان تصف الأسلوب الشرقي في استضافة وتكريم الضيف عند دخوله منزل مضيفه حيث يسارع المضيف أو أحد أفراد عائلته

لخلع حذاء ضيفه ومرافقته إلى مجلس مريح . وعندما يغادر الضيف يتكرر التكريم حيث ينحني المضيف ثانية لعقد رباط الحذاء .

والذي قصده يحيى المعمدان من قوله أنه لو قدر له أن يقابل ذلك النبي العظيم فإنه سوف يعتبر نفسه غير جدير بشرف الانحناء وحل رباط حذائه ، ومن هذا الولاء الذي قدمه يحيى سلفاً يبدو أن النبي الذي بشر بقدومه كان معروفاً لدى كافة الأنبياء بأنه سيدهم وسلطانهم وكبيرهم وإلا لما قال نبي من أنبياء الله مثل سيدنا يحيى هذا القول المتواضع .

والآن لتحديد هوية (ذلك النبي) نقسم البحث إلى جزئين :

(أ) النبي الذي جرى التنبؤ عنه لم يكن عيسى المسيح .

(ب) النبي الذي جرى التنبؤ عنه هو محمد بالذات .

اعتبرت الكنائس النصرانية يحيى المعمدان تابعاً لعيسى ومبعوثاً له وهكذا فإن المفسرين والمعلقين النصارى يظهرون عيسى وكأنه المقصود بنبوءة يحيى . ومع أن المزيفين شوهوا نصوص الأناجيل في ذلك الاتجاه إلا أن الزيف لا يمكن أن يخفى عن فكر القارىء المحايد ، إن عيسى لا يمكن أن يكون موضوع نبوءة يحيى للأسباب التالية :

١ - إن كلمة (بعدي) تستبعد عيسى أصلاً لأن عيسى ويحيى ولدا في سنة واحدة وعاصر أحدهما الآخر ، يقول يحيى (إن ذلك الآتي بعدي أقوى مني) وكلمة (بعدي) هذه تدل على مستقبل غير محدد وبلغة النبوءة فهي تعبر عن دورة أو أكثر من دورات الزمن . ومن المعروف جيداً لدى المتصوفة أنه في كل دورة زمنية تقدر بنحو خمسة أو ستة قرون يظهر نبي لامع يمتد أثره في أنحاء

العالم وتدوم إصلاحاته عدة أجيال إلى أن يحين ظهور نبي آخر . وهكذا فقد
ترصّع تاريخ الدين الحق من إبراهيم إلى محمد بأسماء بارزة منها إبراهيم وموسى
وداود وزوربابل وعيسى ومحمد . وجد يحيى أمته تعاني من حكم الإمبراطورية
الرومانية وملوك اليهود الأشرار ، وشاهد رجال الدين الفاسدين يضللون
الشعب اليهودي ويفسدون الكتب المقدسة ويروجون الأساطير الخرافية حتى
فقد اليهود كل أمل إلا أملهم بأن أباهم الأكبر إبراهيم سيخلصهم ، فقال لهم
يحيى إنهم لا يستحقون أباً مثل إبراهيم وأن الله قادر على إنهاء سلالة
لإبراهيم من الحجارة (متى ٩/٣) . وكان اليهود آنشد (كما هم اليوم)
ينتظرون مسيحاً من سلالة داود ليأتي ويعيد لهم مملكة داود في القدس .
وعندما وجه الوفد اليهودي السؤال إلى يحيى : (هل أنت المسيح ؟) أجاب
يحيى بالنفي على هذا السؤال وما تلاه من أسئلتهم (يوحنا ١/٢٠-٢١) .

وإذا أهملنا المبالغات الواضحة التي أضيفت إلى الأناجيل فمن المؤكد أن يحيى
قدم عيسى إلى الجماهير على أنه المسيح الحقيقي ونصح الناس بطاعته واتباع
تعليماته وإنجيله ، كما أخبرهم أن هنالك نجماً أخيراً ، من العظمة عند الله وفي
الدنيا ، بحيث أن يحيى لا يستحق حل رباط حذائه .

٢ - لو كان عيسى المسيح هو المقصود بعبارة يحيى فالمفروض أن يلتحق يحيى
بعيسى ويخضع له كتلميذ وتابع ، ولكنه لم يفعل ذلك بل على العكس نجده
يعظ ويعمّد ويستقبل التلاميذ ويوبّخ الملك هيردوس ويقرع الطبقات الحاكمة
اليهودية ويتنبأ بمجيء نبي آخر أقوى منه دون أن يعير أدنى التفات لوجود ابن
حالته عيسى في يهودا أو الجليل .

٣ - لقد جعلت الكنائس النصرانية من عيسى المسيح إلهاً أو ابن إله رغم كونه مختوناً مثل كل الإسرائيليين ومعمّداً على يد النبي يحيى مثل اليهود العاديين مما يثبت عكس ذلك ، والكلمات التي قيل أنه جرى تبادلها بين يحيى وعيسى في نهر الأردن تبدو تحريفاً وابتذالاً واضحاً فلو كان عيسى حقيقة هو الشخص الذي تنبأ به يحيى على أنه (أقوى) منه لدرجة أنه لم يكن أهلاً للإنحاء وحل رباط حذائه وأنه (سوف يعمد بالروح والنار) لو كان الأمر كذلك لما كان هناك أي معنى لتعميد عيسى في النهر كأبي يهودي آخر على يد شخص أقل منه ، أما التعبير المنسوب لعيسى (يجدر بنا أن نحقق كل العدالة) فهو غير مفهوم بتاتاً فلماذا تتحقق كل العدالة لمجرد تعميد عيسى ؟ هذا التعبير تحريف وتشويه واضح ومتعمد . ومن وجهة نظر إسلامية فإن المعنى الوحيد لهذا التعبير أن يحيى أدرك الطابع النبوي لعيسى واعتقد لأول وهلة أنه النبي العظيم خاتم رسل الله وبالتالي أحجم عن تعميده ولكن حينما أخبره عيسى بهويته الحقيقية وافق يحيى على تعميده .

٤ - عندما كان يحيى في السجن أرسل تلاميذه إلى عيسى يسألونه : (هل أنت النبي الموعود ؟ أم ننتظر واحداً غيرك ؟) (متى ١١/٣) مما يظهر بجلاء أن يحيى لم يكتشف نبوءة عيسى إلا بعد أن سمع عن معجزاته وهو في السجن ، وهذه الشهادة من متى تناقض الإنجيل الرابع (يوحنا ١/٢٩) الذي يدّعي أن يحيى عندما رأى عيسى قال : (انظروا حَمَلَ الله الذي يمسح) (أو يتحمل) خطيئة العالم) ، كما يبدو أن كاتب الإنجيل الرابع لم يعرف شيئاً عن استشهاد يحيى (متى ١٤/١٠-١٢ ، مرقس ٦/١٤-٢٩) .

ومن وجهة نظر إسلامية بحثة فإنه يستحيل على نبي كيحيى أو أي نبي آخر أن يستخدم تعبيراً إلحادياً كهذا عن عيسى المسيح . لقد كان لب رسالة يحيى الحضّ على التوبة بمعنى إن كل شخص مسؤول عن خطيئته وعليه أن يتحمل وزرها أو أن يمحوها بالتوبة . فالمعمودية كانت عبارة عن وضوء يرمز إلى طرح الخطايا بالإضافة إلى الإقرار بالذنوب وتعويض من تضرر بها أو طلب السماح منه والعزم على عدم ارتكاب الذنوب ثانية . ولو كان عيسى (حَمَلُ اللَّهِ) الذي يمسخ خطايا العالم لكان وعظ يحيى بالتالي سخيلاً وعديم الجدوى . إن الخطأ الذي شوه دين الكنائس هو نظرية التضحية التي تتم نيابة عن الآخرين وهي نظرية سخيطة ، فهل مسح (حَمَلُ اللَّهِ) خطايا العالم ؟ إن صفحات التاريخ الكنسي المظلمة ستجيب على ذلك السؤال بالنفي القاطع و (الحُمْلان) في مقصورات الاعتراف يخبرون أن النصارى رغم علمهم وحضارتهم يرتكبون من الخطايا وأعمال القتل والسرقة والانغماس في الشهوات والزنا والحروب والمظالم وحب المال ما هو أشد هولاً مما ترتكبه بقية البشرية جمعاء .

٥ - إن يحيى المعمدان لا يمكن أن يكون السلف المبشر بعيسى على النحو الذي تفسره الكنائس فالأناجيل تقدمه لنا على أنه (صوتٌ يصرخ في البرية) كتحقيق لعبارة جاءت في (سفر إشعيا ٤٠/٣) ، وكمهد لبعثة عيسى المسيح استناداً إلى قول النبي ملاخي (ملاخي ١/٣) ولو كانت مهمة يحيى إعداد الطريق لعيسى الذي سيجيء فجأة إلى هيكله فاتحاً منتصراً حيث يقيم دين (السلام) ويجعل القدس بهيكلها أكثر مجدداً من ذي قبل (حجّي ٧/٢-٩) فإن تلك المهمة قد لاقت الفشل الذريع والإحباط الكامل فبدلاً من أن يستقبل يحيى أميره مظفراً في القدس عند بوابة الهيكل بين جموع اليهود فإن

يحيى يستقبله عارياً مثله في نهر الأردن ثم يقدم سيده بعد تغطيسه في الماء إلى الجماهير بقوله : (هذا هو ابن الله) أو في مكان آخر (أنظروا حَمَلَ الله) مما يعني تحقيراً لشعب إسرائيل أو الكفر أو السخرية من عيسى ، أو يعني كل هذه الأمور معاً ، أو أنه يجعل من نفسه أضحوكة .

لقد أساءت الكنائس فهم الطبيعة الحقيقية لرسالة يحيى والمعنى الحقيقي لمواعظه وسوف أبين في الفصل التالي أن طبيعة رسالة يحيى من جهة ، وهدف بعثة المسيح إلى اليهود من جهة ثانية ، أمران مختلفان تماماً عما تحاول الكنائس اعتقاده .



الفصل الرابع عشر

محمد هو

النبي الذي تنبأ به يحيى

هنالك ملاحظتان مهمتان جداً أبداهما سيدنا عيسى المسيح عن يحيى المعمدان ولكنهما مسجلتان بطريقة غامضة .

أولها : هي التي يقول فيها أن يحيى هو تجسيد لإيليا المذكور في العهد القديم، ثم صمّت عيسى الواضح عن هوية الشخص الذي كان يتوقع أن يعلن عنه إيليا ويقدمه للعالم على أنه آخر الأنبياء . كما أن كلام عيسى في هذا الصدد غامض ومبهم جداً فلو كان يحيى هو إيليا كما هو مذكور بوضوح فلماذا لا يذكر اسم الشخص المفترض أن يكون إيليا مبشراً به ؟ وإذا كان عيسى هو ذلك الشخص أي (رسول العهد) و (الأمر) كما تترجم الترجمة اللاتينية Vulgate للكتاب المقدس كلمة (أودن) (ملاخي ١/٣) ، فلماذا لا يقول عيسى بصراحة (إن يحيى هو إيليا الذي أرسل ليمهد لي الطريق) وإذا لم يكن الأمر كذلك فالمفروض أنه قال بصراحة : (إن يحيى هو إيليا الذي أرسل ليمهد السبيل أمام محمد) ولكن هناك أيدي شيطانية تلاعبت بالنص وأزالت كلمات عيسى من الإنجيل الأصلي ، والأنجيل الحالية هي المسؤولة عن هذا الغموض وعن تضليل بلايين النصارى لقرون عديدة ، لأن أقل ما نتوقعه من سيدنا عيسى عليه السلام أن يذكر بوضوح من هو النبي الذي جاء يحيى ليبشّر به ونحن قطعاً لا يمكن أن ندعي أن

عيسى كان غامضاً في تعاليمه أو ننسب إليه حب الغموض ورغم ذلك هناك عدة أمثلة في الأناجيل تضع على لسان عيسى أجوبة أو أقوالاً غير مفهومة البتة .

أما الملاحظة الثانية فهي مبطنة بغموض أشد إذ يقول عيسى (لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى المعمدان ، ولكن أقل من في مملكة السماء أعظم شأنًا من يحيى) (متى ١١/١١) فهل قصد عيسى المسيح أن يحيى وجميع الأنبياء كانوا خارج مملكة السماء ؟ ومن هو ذلك الأقل الذي كان أعظم من يحيى وبالتالي أعظم من كافة البشر الذي يعتبر يحيى أعظمهم ؟ فهل قصد عيسى نفسه بكلمة الأقل ؟ أم هو الأقل بين النصاري المعتقدين ؟ لا يمكن أن يكون قصد نفسه لأن تلك المملكة لم تكن قد نشأت على الأرض في زمنه وحتى لو كانت نشأت في عهده (وهو الشيء الذي لم يحدث) فإنه لا يمكن أن يكون هو الأقل فيها لأنه يُفترض أنه كان مؤسسها ، ولذا فقد اكتشفت الكنائس حلاً سخيفاً جداً لهذه المشكلة وذلك الحل هو أن أقل مسيحي مغسول بدم عيسى من خلال طقس المعمودية يصبح أعظم من يحيى ومن كل البشر. بمن فيهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وإيليا ودانيال ! وسبب هذا الادعاء العجيب أن المسيحي مهما كان خاطئاً أو مجرمًا أو منحطاً فله حق التمتع بامتيازات لا حصر لها شريطة أن يؤمن بأن عيسى هو مخلصه ، ومن هذه الامتيازات التطهر من الخطيئة الأصلية من خلال المعمودية ومعرفة الثالوث والأكل من لحم عيسى ودمه في طقوس القربان المقدس ورسم إشارة الصليب ، وامتياز مفاتيح الجنة وجهنم الموضوعة تحت تصرف الكاهن الكبير ، والنشوة العارمة لطوائف البيوريتان والكويكرز والإخوان وبقية النحل الأخرى التي تدعي هذه الامتيازات كل منها بطريقتها كما تدعي أن كل مسيحي جيد سوف يصبح يوم القيامة كعذراء طاهرة تقدم نفسها (لِحَمَل

الله). هل يعقل أن يصدّق النصارى أن (أقل) واحد منهم هو (أعظم) من كافة الأنبياء؟ كيف يمكن الاعتقاد أنهم أعظم مكانة من آدم وحواء اللذين عاشوا مع الله في الجنة قبل إخراجهم منها؟ ، أليس هذا الاعتقاد أبعد ما يكون عن الحصافة في هذه الأيام المتميزة بالرقى وتقدم العلوم والعقول؟

ومع ذلك فإن جميع هذه المعتقدات والمتناقضات منبثقة من العهد الجديد ومن الكلمات المنسوبة إلى سيدنا عيسى عليه السلام وحوارييه . ولكن ثمة شرارات متألّكة موجودة في الأناجيل تكفيها نحن المسلمين لاكتشاف الحقيقة عن عيسى الحقيقي وابن خالته يحيى .

يحيى المعدادان تنبأ بمحمد

١ - حسب شهادة عيسى لا يوجد ابن انثى أعظم من يحيى ولكن (أقل) مَنْ في مملكة السماء أعظم من يحيى ، إن المقارنة هي بين يحيى وجميع الأنبياء في مملكة السماء ، وحسب الترتيب الزمني فإن آخر الأنبياء هو أصغرهم جميعاً وكلمة (زَعِيرًا) الآرامية مثل كلمة (صغير) العربية تعني الصغير أو اليافع ، وتستخدم نسخة الكتاب المقدس الآرامية (البشيتا) كلمة (زَعِيرًا) مقابل كلمة (ربًا) التي تعني الكبير أو كبير السن . إن كل نصراني يعرف أن عيسى ليس آخر الأنبياء ولذلك لا يمكن أن يكون أصغرهم إذ أنه بحسب سفر أعمال الرسل لم تقتصر هبة النبوة على الحواريين فقط ولكن كان هناك رجال صالحون كثيرون في عصرهم تمتعوا بها أيضاً (سفر أعمال الرسل ١١/٢٧- ٢٨ ، ١/١٣ ، ٣٢/١٥ ، ٩/٢١-١٠) . وبما أننا لا نستطيع أن نحدد الرسول الأخير من بين رسل الكنيسة الكثيرين فإننا مضطرون لأن نبحث عن نبي يكون الأخير قطعاً ويكون خاتم الأنبياء . هل نستطيع أن نتصور ما هو

أقوى وأبلغ في الدلالة على نبوة محمد من تحقق بشارة المسيح المدهشة في شخص محمد وحده دون غيره من الأنبياء ؟

إن محمداً بلا شك هو الأصغر سنّاً في سلسلة الأنبياء ومع ذلك فهو صفوتهم وسلطانهم وسيدهم . وإن إنكار نبوة محمد هو إنكار لكل الوحي الإلهي وكافة الرسل الذين بشروا به لأن جميع الأنبياء معاً لم ينجزوا العمل الهائل الذي قام به نبي مكة وحده في فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عاماً من بعثته النبوية .

إن لغز الوجود المسبق لأرواح الأنبياء لم يكشف لنا ولكن المسلم يؤمن به ، ويروي إنجيل برنابا على لسان عيسى أن روح محمد خلقت قبل كل شيء . ومن هنا يقول يحيى عن النبي الذي بشر به : (إن من يجيء بعدي قد خلّق قبلي لأنه كان قبلي) . (يوحنا ١/١٥) . ومن العبث تفسير هذه الكلمات المدهشة ليحيى عن محمد على أنها تشير إلى عيسى كما يحاول أن يفعل مؤلف الإنجيل الرابع .

٢ - إن ذلك التصريح الهام الذي أعلنه يحيى على الجماهير اليهودية والذي مفاده (ذلك الذي يجيء بعدي) يُذكر اليهود بما فيهم النساخ والفريسيين والقانونيين بالنبوة القديمة التي قالها جدهم الأكبر يعقوب ، والذي استعمل صفة (شيلوه) بمعنى (رسول الله) وهي صفة كثيراً ما وصف عيسى بها محمد كما ورد في إنجيل برنابا . وعند كتابة حلقتي السابقة عن (شايلاه) قلت : إن الكلمة قد تعني تحريفاً لـ (شيلواح) والتي تعني (رسول الله) وأضيف الآن أن القديس جيروم قد فهم الصيغة العبرية بذلك المعنى أيضاً لأنه ترجمها بعبارة (ذلك الذي أرسل) . عندما أتخيل النبي يحيى وهو يوجه مواعظه بصوت عال في البرية أو على ضفاف الأردن إلى جماهير اليهود الذين

وراءهم حوالي أربعة آلاف عام من التاريخ الديني ، ثم أستعرض الأسلوب الهاديء المنظم الرزين الذي كان يعلن فيه محمد الآيات السماوية من القرآن على العرب الجاهليين ، ثم عندما أتفحص تأثير كل من هاتين الدعوتين في ضوء النتيجة النهائية لكل منهما حيثُذ أتفهم ضخامة البعد الشاسع بينهما وأدرك أهمية الكلمات القائلة (إنه أقوى مني) .

وعندما أتخيل قصة القبض على يحيى المعمدان الأعزل من قبل هيرودس أنتيباس^(١) ثم قطع رأسه بصورة وحشية وعندما أتابع الروايات المضطربة والمأساوية لجلد عيسى (أو يهوذا الإسخريوطي) من قبل بيلاطس وتتويجه بتاج من الشوك على يد هيرودس وما تبع ذلك في كالفاري ، وبالمقابل أتأمل الدخول المظفر لسلطان الأنبياء إلى مكة وتدميره جميع الأصنام وتطهير الكعبة ، ومنظر أعدائه المدحورين بقيادة أبي سفيان وهم على قدمي (الشيلواح) رسول الله المظفر يطلبون منه العفو والرحمة ويعلنون إيمانهم بالدين الجديد ، وعندما أتأمل خطبة الوداع لخاتم الأنبياء ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية ، عندئذ أفهم تماماً معنى كلام يحيى حين قال : (إنه أقوى مني) .

٣ - (الغضب القادم) : من يستطيع أن يجد تفسيراً معقولاً أو مقنعاً لهذه العبارة في أي من الشروح العديدة للأناجيل ؟ ماذا يقصد يحيى أو ماذا يريد من مستمعيه أن يفهموا من تعبيره (انظروا لقد وقعت البلطة على جذور

(١) ثمة خلط في الأناجيل في رواية استشهاد يحيى وفيما يتعلق بعائلة هيرودوس الكبير

(متى ١٤ وغيره) وبإمكان القارئ الرجوع إلى (جوزيف فلافيوس) في كتابه

(Antiquities) حول الموضوع . (المؤلف) .

الشجرة ؟) أو عندما قال (إنه يمسك المروحة بيده ليظهر بيده) أو عندما مسخ لقب (أبناء إبراهيم) إلى لا شيء !

لن أثقل عليكم طويلاً في عرض أوهام المفسرين لأنها أوهام خيالية لم يحلم بها يحيى ولا مستمعوه ، ولكن هل كان بإمكان يحيى أن يقنع الفريسيين المتغطرسين والصدوقيين العلمانيين الذين أنكروا القيامة الجسدية بغضب الله القادم وبنار جهنم التي سوف تحرقهم كالأشجار اليابسة ؟ إن نبي التوبة والبشارة لم يتحدث عن الغضب البعيد الذي لا شك أنه ينتظر الكفرة والفاسقين في الآخرة ولكنه تحدث عن الكارثة الوشيكة للأمة اليهودية وقد هدد بغضب الله الذي ينتظر اليهود إذا ما استمروا في خطاياهم ورفضهم لرسالته ورسالة عيسى المسيح . كانت الكارثة القادمة التي أشار إليها هي دمار القدس وتشتت بني إسرائيل نهائياً ، وهو ما حدث تماماً بعد ذلك بثلاثين سنة خلال حياة كثير من الذين حضروا موعظة يحيى . لقد أعلن كل من يحيى وعيسى عن قدوم رسول الله العظيم الذي تنبأ به يعقوب وأنه عند قدومه سوف تُنزع السلطة والنبوة من اليهود الأمر الذي تحقق بعد ستة قرون عندما قام محمد بتدمير آخر معاقلهم وأخرجهم من جزيرة العرب .

٤ - دأب اليهود والمسيحيون على اتهام النبي محمد أنه أقام دين الإسلام بالقوة والإكراه ، ويحاول المسلمون دوماً دحض ذلك ولكن هذا لا يعني أن محمداً لم يستخدم القوة ولكنه اضطر لاستخدامها للدفاع عن دين الله ذلك أن الفرصة التي تكرم الله بإعطائها لليهود وللعرب ولغير اليهود دامت أكثر من أربعة آلاف سنة ثم أرسل الله رسوله بعد هذه المدة ومعه السلطة والسيف والنار

والروح لمحاربة الكفرة الأشرار وأبناء إبراهيم الجاحدين سواء كانوا من بني إسماعيل أو بني إسرائيل .

إن العهد القديم بكامله ليس سوى قصصاً عن الحكم الديني مع قصص الارتداد إلى الوثنية وبين الحين والآخر كانت تلمع شرارة صغيرة للإسلام (أي دين الله) في القدس ومكة . ولكنها كانت دوماً موضع اضطهاد قوى الشيطان فقد تعاقبت الوحوش الشيطانية الأربعة في اضطهاد القلة المؤمنة ثم جاء محمد ليسحق الأفعى السامة ويعطيها اللقب الكريه وهو (إبليس) أي (الشيطان المقهور) ومن المؤكد أن محمداً كان نبياً محارباً ولكن الهدف من حربه كان النصر لا الانتقام ، وهزيمة العدو لا إبادته ، وباختصار : إقامة دين الإسلام كمملكة الله على الأرض . والحقيقة أنه عندما نادى المناادي : (مهدوا الطريق للسيد واجعلوا طرقه مستقيمة) كان يشير إلى دين الله الذي سيتحقق على صورة مملكة يقترب موعدها .

لقد زال الزيف والأوثان أمام هدي محمد وانهارت الإمبراطوريات أمام سيفه وأصبح أبناء مملكة الله متساوين وشكلوا الجماعة المؤمنة التي تمثل " أولياء الله تعالى " ذلك أن المساواة بين البشر لا تتحقق إلا في الإسلام حيث لا كهنوت ولا طقوس ولا طبقات والمؤمنون سواسية لا يتفاوتون إلا بالفضيلة والتقوى وفي ذلك فقط يمكن أن يتفوق بعضهم على بعض ، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يعترف بأي وسيط بين الله والإنسان .



الفصل الخامس عشر

معمدانية يحيى وعيسى

ليست إلا نوعاً من ﴿صِبْغَةِ اللَّهِ﴾ (١)

من المحزن أن الحواريين لم يتركوا لنا تفصيلاً من موعظة يحيى وعلى فرض أنهم فعلوا فإن الكنيسة قد أغفلتها ، إذ من المستحيل على أكثر المستمعين علماً أن يفهموا العبارات الغامضة المنسوبة إلى يحيى والمحاطة بالألغاز في شكلها الحالي ، لقد طلب منه الكهنة والقضاة اليهود أن يشرح لهم أقواله في عدة نقاط (يوحنا ١٩/١-٢٣ و ٣٣/٥) ولا شك أنه قد أوضح هذه النقاط الهامة لسامعيه ولم يتركهم ضحية للغموض لأنه كان (الشمعة المحترقة المضيئة التي تشهد بالحق) (يوحنا ٣٣/٥-٣٥) فماذا كانت من شهادته بالحق وماذا كانت الحقيقة التي شهد لها ؟ إن ما يزيد الأمر غموضاً هو اختلاف نصوص الأناجيل فيما يتعلق بهذا الموضوع ، فهل كانت شهادته عن شخص المسيح ؟ أم كانت عن رسول الله الذي تنبأ عنه يعقوب ؟ (سفر التكوين ١٠/٤٩) وماذا كانت النصوص الدقيقة لشهادته عن عيسى وعن نبي المستقبل الذي كان أعلى منه قدراً ؟

في فصل سابق برهنت بشكل حاسم أن النبي الذي تنبأ عنه يحيى لم يكن عيسى المسيح وأنا أعتقد دون تردد أن الحقيقة التي شهد بها يحيى كانت تتعلق بمحمد . فقد أعطى يحيى شهادتين : واحدة عن (شليها دا الله) ، وكان معناها باللهجة الفلسطينية الدارجة عندئذٍ (رسول الله) والأخرى كانت عن عيسى

(١) سورة البقرة آية: ١٣٨. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ .

الذي أعلن أنه ولد من الروح القدس وليس من أب بشري وإنه المسيح الحقيقي الذي أرسله الله كآخر الأنبياء العظام من اليهود كي يمد شريعة موسى بروح جديدة وليبلغ اليهود أن خلاصهم متوقف على الخضوع لابن إسماعيل العظيم . ولكن كما فعل أجدادهم الذين أفسدوا كتابهم المقدس بالتحريف كذلك فعل يهود الكنيسة النصرانية فقد أفسدوا وحرفوا الإنجيل ولكن حتى هذا التحريف لم يستطع طمس الحقيقة .

إن قوة أمير رسل الله تنشق من المعمودية بالروح القدس وبالنار ، وقد اعترف مؤلف الإنجيل الرابع أن عيسى وتلاميذه إعتادوا أن يتعمّدوا بالماء مع يحيى المعمدان (يوحنا ٣/٢٢-٢٣) مما يناقض النص الذي ورد في نفس الإنجيل : (إن عيسى لم يعمد نفسه ولكن عمّد تلاميذه فقط) (يوحنا ٤/٢) ، لقد مارس عيسى المعمودية تماماً كما كان يفعل يحيى في جداول المياه وأمر تلاميذه أن يفعلوا الشيء نفسه مما يبين تماماً أنه لم يكن الشخص المقصود بنبوءة يحيى عن النبي القوي الذي يعمّد بالروح وبالنار (متى ٣/١١) . ولا يحتاج الأمر إلى ذكاء خارق لفهم هذه الحجة ، وإذا كانت الكلمات والمواظ والنبوءات تحمل أي معنى أو هدف أو مغزى فإن كلمات يحيى تعني أن التعميد سوف يستمر بالماء حتى ظهور الـ (الشايلوه) أي رسول الله وعندئذ يصبح التعميد بالروح والنار . هذا هو الاستنتاج المنطقي الوحيد والمفهوم الذي يمكن استخلاصه من موعظة يحيى كما هي مدونة في الفصل الثالث من إنجيل متى . إن التعميد بالماء يختلف تماماً عن التعميد بالروح والنار . فالأول يتم عن طريق التغطيس أو غسيل الجسم بالماء كعلامة على التوبة أما الثاني فلم يعد يتم بالماء ولكن بالروح القدس والنار وتأثيره يتجلى في تغير كامل للقلب والإيمان والمشاعر . الأول يطهر الجسم والثاني ينير

العقل ويثبت الإيمان الأول يغسل السطح والثاني يغسل اللب . وقد حل الغسل والوضوء في الإسلام محل المعمودية اليهودية النصرانية وهو أمر لا يحتاج لنبي أو لكاهن كي يؤديه للآخرين ولكن يقوم به المؤمن نفسه ، ولذا لم يعد لدى النصراني أي مبرر للتمسك بمعموديتهم بالماء إلى ما لا نهاية طالما أن أناسجيلهم تنبأت بأن هذه المعمودية سوف تلغيها معمودية أخرى غير الغسل بالماء ، ولزيد من الإيضاح أطرح الملاحظات التالية :

(أ) لقد وصفت الأناجيل معمودية كل من يحيى وعيسى بوضوح وهي منافية تماماً لمعمودية الكنائس . إن الأصل العبري أو الآرامي لكلمة baptisimos اليونانية ليس معروفاً على وجه التأكيد ، علماً أن نسخة (البشيتا) الآرامية تستخدم مقابلها كلمة (معموديشا) من الفعل (عَمَد) و (عَمَد) الذي يعني الوقوف كالعمود ، وفي صيغة السببية (عامد) معناها : (يَنْصُب ، يُقيم ، يُؤسس أو يثبت) وهكذا مما ليس فيه أية دلالة على التغطيس أو الرش أو الاستحمام ولكن الأفعال العبرية : (رَحَصَ) بمعنى يستحم (وتُفِل) بمعنى يغمس أو يغطس قد تعطي معنى الكلمة اليونانية " Baptisimos " رغم أن الفعل (عَمَد) في جميع اللغات السامية بما فيها العربية يعني (الوقوف منتصباً كالعمود) ولا يحوي معنى الغسل أو الغطس ، ولذلك فإن كلمة (معمودية) لا يمكن أن تكون هي الكلمة الآرامية الأصلية التي ترجمت إلى baptisimos اليونانية ، كما أنه لا داعي لإيضاح أن كلاً من يحيى وعيسى لم يسمعا قط كلمة baptisimos بصيغتها اليونانية وأنهما لم يستعملا كلمة (تعميد) لأنها لا تؤدي المعنى .

(ب) إن الدلالة الكلاسيكية لكلمة " Baptismos " اليونانية تحمل معنى (صبغة ، وتلوين ، وتغطيس) وأن الكلمة المقابلة بالآرامية لا يمكن أن تكون سوى (صبا) وبالعربية (صَبَغَ) ومن الحقائق المعروفة جيداً أن الصابئين الذين ورد ذكرهم في القرآن وعند آباء الكنيسة النصرانية القدامى (مثل أبيفانوس وسواه) كانوا من أتباع يحيى ، كما أن اسم الصابئة نفسه الذي جاء في الفصل السادس من كتاب (حياة يسوع) لمؤلفه الشهير (أرنست رينان) يدل على المعمدانين الذين مارسوا المعمودية وكانوا يعيشون حياة تقشف كالهسائيين Essenians أو Al-Chassaites والأيوينيين Ebionites وإذا ما تذكرنا أن مؤسس جماعتهم (بوداسب Budasp) كان أحد حكماء الكلدان فإن التهجئة الصحيحة لاسمهم تكون (صباغي) بمعنى الصباغين (أي المعمدانين) ، وكان مار شعمون من رجال الدين الكلدان الآشوريين المشهورين في القرن الرابع يدعى (بارصباغي) أي ابن الصباغين ويحتمل أن أسرته كانت تنتمي إلى الصابئة ، ولأن القرآن يورد جميع الأسماء الأجنبية كما كان يلفظها العرب فقد ورد اسم (الصابئين) مع همزة بدل الغين وهي في الآرامية الأصلية (الصابغين) . وهناك بعض التفسيرات الأخرى لكلمة (صابئي) فمثلاً يفترض بعض المؤلفين أنها مشتقة من (صابئ بن شيت) ومع أنه لم يكن لدى الصابئة أية أمور مشتركة مع الكنائس النصرانية سوى معموديتهم التي كانوا يسمونها (السبعوثا) إلا أنهم كانوا يدعون خطأ : نصارى يحيى المعمدان .

لقد كانت هناك ثلاث صيغ للمعمودية : واحدة لليهود والثانية للصابئة والثالثة للنصارى . أما المعمودية اليهودية التي لم يكن لها أصل في كتب اليهود

المقدسة فقد اخترعت بشكل رئيسي من أجل المعتنقين الجدد لليهودية وكان الكاهن اليهودي يعمّد الذي يحوله إلى الدين اليهودي باسم الله ، أما الصابئة فكانوا يعمدون باسم الله ويحيى ، ولكن القسيس كان يعمد باسم : الأب والابن والروح القدس ولا يذكر اسم الله وعيسى صراحة ، ومن ذلك يظهر التباين بوضوح بين الأنظمة المعمدانية الثلاثة . فاليهودي كموحيد حقيقي لم يكن ليحتمل اقتران اسم يحيى مع اسم (الإلهيم) أما الصيغة النصرانية فكانت منافية لعقيدة اليهود والصابئة معاً ، إن هذه الأشكال المختلفة للمعمودية كانت عبارة عن عملية رمزية وقد استعملت الماء كمادة لمعموديتها وبأسلوب متشابه وقد أطلق كل من الأديان الثلاثة عليه اسماً مختلفاً عن الآخر ، فالصابئة استخدموا كلمة (سبعوثا) الآرامية التي تعني " baptisimos " باليونانية . ويحتمل أن النصارى من الساميين اتخذوا اسم (معموديثا) الذي لا توجد له أدنى علاقة من ناحية لغوية مع الغسل أو التغطيس أو التطهير لمجرد تمييز معموديتهم عن معمودية الصابئة . وهكذا حلّت كلمة معموديثا محل (سبعوثا) ، والملاحظ أن ترجمة (البشيتا) الآرامية استخدمت كلمة معموديثا بمعنى بركة أو حوض الغسل (يوحنا ٢/٥) وهناك تفسير آخر قد يؤدي إلى حل المشكلة وهو أن يحيى وأتباعه وعيسى وتلاميذه كانوا يجعلون التائب أو المعتنق الجديد للدين يقف في النهر مستقيماً كالعمود أثناء غسله ومن هنا جاء لفظ (عمّد) و (معموديثا) .

(ج) لقد لعن (مجمع ترنت Council of Trent) كل شخص يقول إن المعمودية النصرانية تشابه معمودية يحيى وأتجرأ فأقول إن المعمودية النصرانية ليست خالية من الأثر الروحي وحسب بل هي أيضاً دون مستوى معمودية يحيى

وإن مزاعم القساوسة النصارى عن المعمودية أنها تظهر الروح من الخطيئة الأصلية هو ضرب من الدجل والشعوذة ، فالمعمودية بالماء كانت مجرد رمز للمعمودية بالروح القدس والنار وبعد قيام الإسلام كمملكة الله الرسمية لم يعد لوجودها أي مبرر إذ حلت محلها معمودية الله أي صبغة الله .

(د) لقد إتضح لنا أن الكلمة اليونانية " Baptismos " هي المرادف الدقيق لكلمة (سبعوثا) الآرامية أي المعمودية ليست غسلاً أو تغطيساً أو حماماً ولكنها (سبعوثا) أي صبغ وتلوين وكما يُعطي (الصبّاغ) لوناً جديداً للشوب بغمسه في غلاية الصبغ فإن يحيى المعمدان كان يعطي التائب أو المعتنق الجديد للدين لوناً روحياً جديداً ، وهكذا فإن كلمة (صبغة) في القرآن (سورة البقرة الآية ١٣٨) قد كشفت الغموض عن نبوءة يحيى كما أثبتت أن القرآن تنزيل مباشر من الله وأن الرسول الذي أنزل إليه القرآن هو الذي تنبأ به يحيى .

لقد كانت معمودية يحيى وعيسى رمزاً لدخول التائبين في المجتمع الذي تعهد بالولاء لرسول الله الذي تنبأ كل من يحيى وعيسى بقدومه ، وكما كان الختان علامة على دين إبراهيم ومن تبعه كذلك كانت المعمودية (السبعوثا) علامة على دين يحيى وعيسى ، وكان ذلك تمهيداً لكي يتوقع الجميع النبي الموعود ويدخلوا دين الإسلام .

(هـ) حسب شهادة القديس مرقس (١/٤-٨) فإن معمودية يحيى كانت تمحو الخطايا إذ يذكر مرقس أن سكان يهودا والقدس ذهبوا إلى يحيى فعمّدهم في نهر الأردن وهم يعترفون بخطاياهم أي أن المعمودية محت خطاياهم ، ومن المسلّم به عموماً أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل الأربعة ، ومن المعروف

أيضاً أي العبارات الاثنتي عشرة الأخيرة التي أضيفت إلى الفصل السادس عشر من هذا الإنجيل (مرقص ١٦/٩-٢٠) لم تكن موجودة في أي من المخطوطات اليونانية القديمة وحتى في هذه العبارات المضافة لم ترد عبارة (باسم الأب والابن والروح القدس) إذ يقول عيسى ببساطة : (اذهبوا وعظمو العالم بإنجيلي ، فمن يؤمن ويعتمد ينجو ، ومن لا يؤمن سوف يُلعن) (مرقص ١٦/١٥-١٦) .

وطالما أن المعمودية عيسى كانت نفس المعمودية يحيى وطالما أن المعمودية يحيى كانت كافية لغفران الخطايا فلا معنى للقول بأن حَمَلَ الله يتحمل خطايا العالم (يوحنا ١/٢٩) . وإذا كانت مياه الأردن فعالة لدرجة غفران خطايا الجماهير الكثيرة نتيجة تعميدها فلا مبرر لسفك دم " إله " لأجل نفس الغرض .

وقد ظل أتباع عيسى يمارسون معمدانية يحيى حتى ظهور القديس بولس على مسرح الأحداث ، والمعروف أن بولس كان فريسياً من أتباع الطائفة اليهودية المعروفة بالفريسيين الذين ندد بهم كل من يحيى وعيسى وسمّياهم (أبناء الأفاعي) ، والملاحظ أيضاً أن مؤلف الكتاب الخامس في العهد الجديد المسمى (أعمال الرسل) كان من رفاق بولس وهو يدعي بأن هؤلاء الذين عمدهم يحيى لم يتلقوا الروح القدس ولذلك " تم إعادة تعميدهم ثم ملئهم بالروح القدس " (أعمال الرسل ٨/١٦-١٧ ، ١٩/٢-٧) ليس عن طريق التعميد باسم عيسى ولكن بواسطة (وضع الأيدي) ! وقد ذكر بوضوح أن معموديتي عيسى ويحيى كانتا متماثلتين في طبيعتهما وفعالتهما وأنها لم تُنزلا الروح القدس على الشخص الذي جرى تعميده من قِبَل عيسى أو يحيى أو

باسم أي منهما . ولكن بوضع أيدي الحواريين على الشخص المعمد بمسّ الروح القدس قلبه فيملأه بالإيمان ومحبة الله ، وحتى لو كان ذلك صحيحاً فإن هذه الهبة الإلهية التي يحتمل أن تكون أعطيت للحواريين فقط لا يمكن أن يدعيها خلفاؤهم المزعمون في الكنيسة .

(و) وإذا كانت الأناجيل في حديثها عن المعمودية تعني أي شيء فإنها تعطي الانطباع أنه لم يكن هنالك فرق بين المعموديتين سوى أنهما كانتا تمارسان باسم يحيى أو عيسى ، ولكن الفريسي الكبير بولس (شاؤول) لم يذكر كلمة واحدة عن يحيى المعمدان الذي وصم طائفة الفريسيين بالوصف الكريه (أبناء الأفاعي) وتلاحظ لمسة من الحقد ضد يحيى ومعموديته في الملاحظات التي أبداه لوقا في (أعمال الرسل) لأن لوقا كان تلميذاً ومرافقاً لبولس ، غير أن إقرار لوقا بأن المعمودية باسم عيسى لم تكن تتم بالروح القدس يعتبر برهاناً حاسماً ضد الكنيسة التي حولته اعتباطاً إلى ألباز وطقوس سرية . إن معمودية عيسى كانت استمراراً لمعمودية يحيى لا أكثر أما المعمودية بالروح القدس وبالنار فقد اختص بها الإسلام . وأن ما كتبه لوقا في أعمال الرسل عن اثني عشر شخصاً من السامرة لم يتلقوا الروح القدس لأنهم عمّدوا فقط باسم عيسى (أعمال الرسل ٨/١٦-١٧) دليل حاسم على بطلان مزاعم الكنيسة .



الفصل السادس عشر

﴿ صِبْغَةُ اللَّهِ ﴾ أو المعمودية " بالروح القدس والنار "

كثيراً ما كنت أعجب من الصابئة الذين انتشر مذهبهم في شبه جزيرة العرب وما بين النهرين ، كيف أنهم لم يعتنقوا النصرانية مع أن المفروض أن يحيى أعلن على الملأ أن عيسى كان النبي الأقوى منه وأن عيسى كان المسيح الذي لم يصل يحيى إلى درجة تسمح له بحل رباط حزائه ؟ (متى ١١/٣) .

فلو كان عيسى هو رسول الله الذي تنبأ به يحيى والذي جاء ليعمّد بالروح والنار في الوقت الذي كان عيسى يعمّد الجموع بماء الأردن لو كان ذلك صحيحاً لنشأ التساؤل : لماذا لم يُعمّد بالروح والنار ، ولماذا لم يتغلب على الوثنية في الأراضي التي وعدّها الله لسلالة إبراهيم ثم يؤسس مملكة الله بالقوة والنار ؟ وكيف يمكن تفسير أن أتباع يحيى لم يتبعوا عيسى مع أن المفروض أن يحيى قدم عيسى للجمهور على أنه سيده والأعلى منه مرتبة . وقد يُعفى أتباع يحيى من الدخول في الكنيسة النصرانية فيما لو جاء عيسى المسيح بعد قرن مثلاً من مجيء يحيى . ولكن الأمر لم يكن هكذا فقد عاصرا بعضهما البعض حتى أنهما ولدا في نفس العام وتعمّدا بالماء وبشرا أتباعهما بمملكة الله الوشيكة والتي لم تظهر في عهدهما .

لقد كان الصابئة أو (الصباغون) أو (المعمدان) أتباع يحيى المخلصين ومن المحتمل أنهم وقعوا ضحية للخطأ والأساطير ولكنهم كانوا يعلمون تماماً أن عيسى لم يكن الشخص المقصود بنبوّة يحيى وهكذا دخلوا الإسلام عندما جاء

محمد . أما أهل حرّان في سوريا فلم يكونوا من بقايا الصابئة كما يظن البعض ، ولكن بما أن المسلمين تسامحوا مع ثلاثة أديان وهي اليهودية والنصرانية والصابئة فقد ادعى الحرايون أنهم من بقايا الصابئة ولذلك سمح لهم العثمانيون ممارسة دينهم الغريب دون مضايقة .

يختلف المفهوم الإسلامي واليهودي للروح القدس جذرياً عن المفهوم النصراني ، فالروح القدس ليس شخصاً مؤلهاً في إله ثلاثي ، والاعتقاد النصراني إن الروح القدس أي ثالث الثالوث ينزل من عرشه السماوي رهن إشارة قسيس من أجل تقديس بعض العناصر وتغيير جوهرها وخصائصها إلى عناصر أخرى فوق الطبيعة كتغير ماء المعمودية إلى دم إله مصلوب ومحو ما يسمى بالخطيئة الأصلية أو تحويل العناصر المادية للقربان المقدس إلى دم وجسد إله ، إن ذلك مناف لعقيدة كل موحد يهودياً كان أو مسلماً ، كما أن هذه الاعتقادات معاكسة تماماً لتعاليم العهد القديم وهي تزوير للعقيدة الحقيقية ليحيى وعيسى . فالاعتقاد بأن بعض القسس يستطيعون تعويد الأفراد بحيث يحل فيهم الروح القدس ولكنه لا يضمن عصمتهم ، خال من أي معنى . وفي سفر أعمال الرسل يقال لنا أن حنانيا وزوجته سفيرة عمداً وبالتالي امتلئا بالروح القدس وهو الشخص الإلهي الثالث الذي ألهمهما أن يبيعا حقلهما ويضعا ثمنه من النقود تحت قدمي الحواري بطرس ولكن الشيطان أغراهما بالاحتفاظ بجزء من النقود فكانت النتيجة أن أصابهما الموت المفاجيء (سفر أعمال الرسل ١/٥-١١) . كيف يمكن لـ (ثالث الآلهة) أن ينزل على البشر ويقدهم ثم يسمح لهم بعدئذ بالخطأ والكفر والزندقة ويتركهم يقتربوا الحروب والمذابح ؟ هل يستطيع الشيطان إغراء الإنسان المملوء بالروح القدس فعلاً فيحوّله إلى شيطان ؟ إن القرآن الكريم واضح جداً في هذه النقطة إذ

يقول الله تعالى مخاطباً الشيطان : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (سورة الحجر الآية ٤٢) .

إن الشخص المستقيم يكافح ضد الخطيئة والشر ما دام في هذا العالم المادي وإذا وقع في الزلل نهض ثانية لأن الندم والتوبة هي عمل الروح الطيبة التي تعيش فينا . أما الكنائس فتقول أنه إذا عمّد نصراني بالروح القدس والنار وفق المعنى الذي يتضمنه (سفر أعمال الرسل) وسواء كان المعمّد لاتينياً أو يونانياً أو حبشياً أو غير ذلك فإنه يصبح ليس فقط قديساً طاهراً بل أيضاً عالم لغات ونبياً موهوباً .

والحقيقة أنه ليس لدى النصارى مفهوماً محدداً أو دقيقاً عن الروح القدس الذي يملأ النصراني المعمّد . فلو كان إلهاً لما جرأ الشيطان على الاقتراب من هذا الرجل المقدس أو المؤلّه نوعاً ما وإغرائه وغوايته وأكثر من ذلك : كيف يمكن للشيطان أن يطرد الروح القدس ويحل محله في قلب المعمّد فيحوّله إلى مجرم وزنديق؟ ولو كان الروح القدس يعني جبريل أو ملاكاً آخر ، فإن الكنائس تمعن في الخرافات لأن الملاك ليس دائم الحضور في كل مكان . ولو كانت هذه الروح التي تطهر النصارى المعمّدين وتملأهم هي الله نفسه كما هو اعتقادهم في الشخص الثالث من الثالوث فمن حق جميع النصارى أن يدعوا أنهم مقدسون أو مؤلّهون .

وهناك أيضاً مفهوم البروتستانت عن الروح القدس الذي يملأ قلوب الذين يعتقدون أنهم ولدوا من جديد ، ثم يتدهور الكثير منهم بعد ذلك ويعودون كما كانوا من قبل .

والواقع أن الروح القدس مع (اله) التعريف تعني شخصية ملائكية معينة قد تكون جبريل أو غيره من الأرواح النقية التي أوكل لها أداء عمل معين ، وإن نزول

الروح القدس على كائن بشري معناه أنه يلقي إليه الوحي بأمر من الله فيكون بذلك نبياً ، وإن نبياً هذا شأنه لا يمكن أن يغويه شيطان أبداً .

إن التعميد (الصبغ) بالروح القدس والنار الذي جاء به محمد ، يفسره لنا التنزيل الإلهي في آية واحدة ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٨) .

وقد فهم المفسرون المسلمون وهم محققون في ذلك ، كلمة صبغة بمعناها الروحي أو المجازي وهو (الدين) وهذه الآية القرآنية تنسخ وتبطل أديان (السبعوثا) و (المعموديثا) أي أديان الصابئة والنصارى معاً . إن ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ هي معمودية دين الله ليس بالماء ولكن بالروح القدس والنار . إن الدين الذي آمن به كل من صحابة الرسول هو نفسه الدين الذي يعتنقه اليوم كل مسلم ، في حين لا يمكن أن يقال هذا عن الدين التعميدي . لقد انعقد حتى الآن أكثر من ستة عشر مجمعاً كنسياً مسكونياً لتحديد وتعريف دين المسيحية وفي النهاية يكتشف مجمع الفاتيكان عام ١٨٥٤م أن السيدة العذراء قد (حملت بلا خطيئة) ويكتشف أيضاً في العام ١٨٧٠م أن البابا (معصوم عن الخطأ) كل ذلك مما لم يكن معروفاً للحواري بطرس ولا للسيدة مريم العذراء . إن أي دين يعتمد على مداولات وقرارات الجامع العامة المؤمنة أو الملحدة هو دين مصطنع .

ونعود إلى موضوع المعمودية :

إن المعمودية الروحية هي الهداية الإلهية فكما يصبغ الصباغ الصوف أو القطن بصبغة تعطيه لوناً جديداً وكما يمحو الممعدان الخطايا السابقة للمؤمن

الحقيقي التائب فإن الله تعالى لا يصبغ الجسم بل يصبغ روح الشخص الذي يتولاه
برحمته فيهديه للدخول في دين الإسلام .

هذه هي صبغة (معمودية) الله التي تجعل المسلمين الحقيقيين جادين
ومواظبين على واجباتهم تجاه الله وتجاه رفاقهم من البشر وتجاه أسرهم ولا يدفعهم
ذلك إلى حماقة الاعتقاد بأنهم أكثر صلاحاً من معتنقي الديانات الأخرى ليستأثروا
عليهم أو يتخذوا لأنفسهم مركز السيادة على الآخرين ، فالتعصب والغرور الديني
ليسا من صفات الإسلام ، كما أن المسلم ليس بحاجة إلى وساطة من رجل دين
فكل مؤمن متعلم يمكن أن يصبح إماماً أو داعية أو واعظاً حسب تعليمه وحماسه
الديني ، وباختصار فإن كل مسلم سواء ولد على الإسلام أو اعتنقه بعد ذلك
يُطَهَّر روحياً ويصبح في مملكة الله .

لقد نسب يحيى هذه المعمودية بالروح والنار لرسول الله العظيم ليس
باعتباره كائناً إلهياً أو إلهاً أو ابن إله ، ولكن باعتباره رسولاً من الله ووسيلة يتم
عن طريقها ذلك الصبغ الإلهي . لقد بَلَغَ محمد رسالة الله وكان يؤم الصلوات
ويؤدي الشعائر الدينية ، ويخوض الحروب ضد الكفرة والوثنيين للدفاع عن قضيته،
ولكن النجاح والنصر اللذين تحققا كانا من عند الله . وبنفس الطريقة وعظ يحيى
وعَمَّدَ ، ولكن قبول التوبة والكفارة وطرح الخطايا لم تكن من عنده ولكن من
الله ، وإن نبوءة يحيى : (إن الذي يأتي بعدي أقوى مني ، وسوف يعمدكم
بالروح وبالنار) (متى ١١/٣) قد تحققت ونفذت عن طريق محمد فقط .

ومن الواضح أن شكل ومضمون هذه المعمودية غير حسّي لأنه يتعلق
بالمغيبات فنحن نشعر بالآثار المترتبة على مسبب حقيقي لكنه غير محسوس فالماء لم
يعد هو المادة الظاهرية المسببة كما أنه لم يعد هنالك حاجة إلى معمدان ولكن الله

هو الذي يهدي من يشاء وحسب نبوءة يحيى فإن وسائل ﴿صبغة الله﴾ هي الروح القدس والنار أما طريقة الصبغ فهي خاصة بالله وحده ولانستطيع أن نعزو لله تعالى عملاً ما سوى قوله للشيء ﴿كُنْ﴾ فيكون ، ولكننا نستطيع أن ندرس النتائج المترتبة على صبغة الله :

١ - إن الروح القدس سواء كان جبريل أم غيره من المخلوقات العليا يشارك روح المسلم عند مولده أو عند دخوله في الإسلام وهذه المباركة تعني :

(أ) تثبيت الإيمان بالله حقيقي واحد : إن صبغة الله تجعل روح المسلم الحقيقي تؤمن بوحداية الله المطلقة وتعتمد على الله وتعترف به وحده كسيد ومالك ورب .

(ب) صبغة الله تطبع روح المسلم بالحب والخضوع لله وحده . إن الله تعالى لا يغفر أن يُشرك به شيئاً أو كائناً ما من الكائنات ، وحبّ المسلم لله ليس نظرياً أو مثالياً بل واقعيّ يترجم إلى أعمال .

(ج) الاستسلام الكامل لمشيئة الله النابع من الإيمان والمحبة والتقوى .

٢ - إن المعرفة الحقيقية بالله وبمشيئته بالقدر الذي يمكن للبشر أن يحيطوا بها لا تشاهد إلا عند المسلمين .

إن جوهر الذات الإلهية أمر لا يمكن الإحاطة به ولكن كما أن الرضيع يعجز عن فهم طبيعة والديه وشخصيتهما فإنه مع ذلك يعرف أمه من بين جميع النساء الأخريات وهذا التشبيه دون الحقيقة بكثير . إن كل مسلم يرى في كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة آية تدل على الله . فالله حاضر في ذهنه دائماً وشهادة أن (لا إله إلا الله) هي إنكار أبدي لأي معبود آخر غير الله واجتماع ضد الذين

يشركون بالله شيئاً أو أشياء لأن كل مسلم يقر ويشهد أن الله وحده هو المستحق للعبادة .

٣ - إن المعمودية بالنار هي صبغة الله التي تحصّن المسلم ضد الباطل والخرافة والوثنية من كافة الأنواع . وهي التي تذيب نفس المسلم وروحه وتفصل عنصرها الذهبي الخالص عن الشوائب وهي قوة الله التي توطن العلاقة بين العبد وخالقه وتعدّه لنشر رسالته .



الفصل العاشر عشر

البرقليط ليس الروح القدس

نناقش الآن موضوع (البرقليط) الذي ورد في الإنجيل الرابع (يوحنا ١٤/٦ ، ٢٦) (٢٦/١٥) (٧/١٦) (١ يوحنا ١/٢) . لقد أعلن عيسى المسيح (كما أعلن يحيى) قدوم مملكة الله ودعا الناس إلى التوبة وعمّدهم لتكفير الخطايا وبلغ الرسالة إلى بني إسرائيل ولم يكن هو مؤسساً لمملكة الله ولكنه كان مبشراً بها وقد بلغ قومه الإنجيل الذي يعني (الأخبار السارة) فيما يتعلق بمملكة الله و (البرقليطوس Periqlytos) ليس عن طريق الكتابة ولكن شفاهة بالمواعظ العامة التي انتشرت بين الناس خلال وجوده على الأرض ، وبعد حياته الدنيوية أخذت تنتقل أقواله وتعاليمه بوساطة الكتابة ، وتحول عيسى في هذه الكتابات من السيد والمعلم فصار الكلمة الإلهية ثم ابن إله ، وتحول من سلف البرقليطوس إلى سيده ورئيسه ، وهكذا أخذت كلماته النقية الصادقة تتشوه وتختلط تدريجياً بالأساطير والخرافات وكانوا يتوقعون منه أن ينزل في أية لحظة من السحاب ومعه الجيوش من الملائكة لتحقيق مملكة الله على الأرض ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث وتوفي الحواريون وتأخر الجيء الثاني لعيسى الذي كانوا يتوقعونه فنشأت عن شخص وتعاليمه آراء دينية فلسفية جديدة وظهرت الملل والنحل والأناجيل المتعددة والرسائل وتخاصم المدافعون عن النصرانية وانتقدوا نظريات بعضهم بعضاً . ولو كان هناك إنجيل مكتوب أثناء وجود عيسى أو حتى كتاب مجاز من قبل مجموعة الحواريين بعده لاحتفظت تعاليم المسيح بنقاها وصحتها حتى ظهور البرقليطوس (أحمد) ولكن الأمر كان على النقيض من ذلك إذ تفرق الكتاب

والحواريون بعد المسيح واتخذ كل منهم منهجاً خاصاً به فيما يتعلق بعيسى ورسالته ووصفه كل منهم في كتابه الخاص الذي سماه (الإنجيل Gospel) أو (الرسالة Espistle) وفق أفكاره الخاصة وتصوراته ، حتى أننا نلاحظ الخيال البعيد في الإنجيل الرابع حول ما تعنيه (الكلمة) والنبوءة عن (البرقليط) ، والحديث الغامض المنسوب إلى عيسى عن (لحمه ودمه) وسلسلة من المعجزات والأحداث والأقوال مما لم يكن مسجلاً ولا معروفاً لدى كتاب الأناجيل الأخرى، ناهيك عن الغالبية العظمى من النصارى الذين لم يروا الإنجيل الرابع ولم يقرؤوه لنحو قرنين من الزمان بعد المسيح .

والإنجيل الرابع مثل بقية الكتب والأسفار في العهد الجديد ، كُتب باليونانية وليس بالآرامية التي كانت اللغة الأم للمسيح والحواريين . وبالتالي نجابة مشكلة كالتى لقيناها عندما كنا نبحث في كلمة (يودوكيا Eudokia) الخاصة بـ (لوقا) وهي تلخص في السؤال التالي : ما هي الكلمة الحرفية التي استخدمها المسيح بلغته الأصلية والتي نقلها الإنجيل الرابع بلفظ (البرقليط) ثم ترجمت خطأ إلى (المعزى) في جميع تراجم ذلك الإنجيل .

قبل مناقشة اشتقاق كلمة (البرقليط) المحرفة من الضروري إلقاء الضوء على أحد الملامح الخاصة بالإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا) . إن مناقشة تأليف وصحة هذا الإنجيل هي من المسائل التي تخص علوم نقد الكتاب المقدس ، غير أنه يستحيل التصديق أن الحواري يوحنا كتب هذا الإنجيل كما هو بين أيدينا الآن من حيث شكله ومحتواه ، فالمؤلف سواء كان يوحنا بن زبدي أو غيره يبدو مُلمّاً بتعاليم الفيلسوف اليهودي فليون Philon فيما يتعلق بـ (الكلمة Logos) .

ومن المعروف أن فتح الإسكندر الكبير لفلسطين وتأسيسه الإسكندرية (٣٣٢ ق.م) بدأ عصراً جديداً في الثقافة والحضارة عندما بدأ تلاميذ النبي موسى يجتمعون مع تلاميذ الفيلسوف إبيقور Epicurus ونتج التفاعل الهائل بين التعاليم الروحية التوراتية وبين المادية الوثنية اليونانية وأصبحت الفلسفة اليونانية موضع إعجاب ودراسة كبار علماء الشريعة اليهودية في فلسطين ومصر مما أدى إلى هلع أحبار اليهود فاللغة العبرية أصبحت مهملة لدرجة أن كتب العهد القديم صارت تُقرأ بالترجمة السبعينية (اليونانية) مما دفع أحبار اليهود لإعادة دراسة شريعتهم والدفاع عنها ضد الروح الجديدة الغازية وحاولوا أن يجدوا طريقة جديدة لتفسير العهد القديم تحقق التقارب والتوفيق بين الشريعة اليهودية والفكر الهلنستي اليوناني لأن أسلوبهم في التفسير الحرفي للشريعة صار يعتبر جامداً ولم يصمد أمام المنطق الجذاب لأفلاطون وأرسطو غير أن نشاط اليهود وتعصبهم أثار ضدهم حسد وكراهية اليونان وقد تجلّى ذلك مثلاً في كتابات الراهب المصري مانيثو Manetho وافتراءاته ضد اليهودية في زمن الإسكندر الكبير ، كما تم إحياء تلك الافتراءات وزيادة حدتها من قبل الخطيب الشهير أبيون Apion في زمن الإمبراطور طيباريوس Tiberius . وهكذا سممت الكتابات والخطب عقول الناس مما سبّب فيما بعد الاضطهاد الوحشي لكل من آمن بالله واحد حق .

وكانت الطريقة الجديدة التي ابتكرها اليهود في تفسير كتبهم مجازية اشتملت على أفكار ورموز سرية سرعان ما تحولت إلى فلسفة يهودية جديدة ادعت لنفسها مكانة العهد القديم . وكان أبرز رجل جسّد هذه الفلسفة الجديدة هو فليون Philon الذي ولد من أسرة يهودية ثرية في الإسكندرية سنة ٢٥ ق.م . كتب مؤلفاته المجازية بأسلوب يوناني أنيق وكان ضليعاً بفلسفة أفلاطون كما كان يؤمن

أن تعاليم الوحي تتفق مع أسمى أنواع المعرفة والحكمة البشرية . وكان أكثر ما يشغل فكره موضوع التعامل الإلهي مع البشر والكائنات الأرضية . وعلى غرار نظرية (الأفكار) لأفلاطون اخترع فليون سلسلة من الأفكار الوسيطة سماها (الفيض الإلهي) واعتبرها حلقات تصل بين الله والعالم وجعل العنصر الأساسي في هذه الأفكار (الكلمة Logos) التي تشكّل في نظره الحكمة العليا المخلوقة في الكون وهي أسمى تعبير عن عمل العناية الإلهية .

وهكذا كانت المدرسة الإسكندارية نتيجة لانتصار اليهودية على الوثنية اليونانية ولكن كما يقول كبير الأخبار (بول هاجناور) في كتابه الصغير الممتع (دليل الأدب اليهودي) ^(١) (ص ٢٤) (لقد انبثق عنها فيما بعد أنظمة مؤذية لليهودية) وفي الواقع أنها مؤذية وهدامة لليهودية والنصرانية معاً .

وهكذا نرى أن أصل نظرية الكلمة Logos يعود إلى فلسفة فليون . وبعده بحوالي قرنين من الزمن قام الحوار يوحنا (أو مؤلف الإنجيل الرابع كائناً من كان) بتأكيد فلسفة فليون التي انبثقت في الأصل من الفكر العبقري لأفلاطون .

والآن سوف أكتشف الخطأ المسيحي حول (البرقليط) وسوف أبرهن أن البرقليط ليس الروح القدس كما تعتقد الكنائس المسيحية وأن كلمة (البرقليط) لا تعني المعزي أو الشفيع ثم في الفصل التالي سوف أبين أن المعنى الحقيقي لها هو (أحمد) بمعنى أكثر حمداً وشهرة ، وتُكتب Periqlyte وليس برقليط Paraclete :

(١) Pual Haguenauer, Munuel de Litterature Juive, Nancy ١٩٢٧ .

١ - الروح القدس المذكور في العهد الجديد ليس شخصاً قائماً بذاته :

عندما ندرس العبارات التي وردت في العهد الجديد عن الروح القدس يتبين أنه ليس الشخص الثالث في الثالوث والأهم من ذلك أنه ليس شخصاً قائماً بذاته في حين أن البرقليطوس الذي تنبأ به عيسى هو شخص قائم بذاته ، وهذه نقطة أساسية جداً لأنها تنفي بصورة نهائية فرضية الكنيسة بأن البرقليطوس هو الروح القدس .

(أ) يقول إنجيل لوقا (١١/١٣) على لسان عيسى أن الروح القدس (هبة) من الله ، وعلى سبيل المقارنة يذكر أنه حتى الآباء الأشرار يعطون أولادهم هبات طيبة فبالأحرى أن الله تعالى يعطي الروح القدس للذين يسألونه من المؤمنين .

إن هذه المقارنة تستبعد نهائياً وجود أية شخصية للروح ، فهل يعقل أن عيسى المسيح كان يقصد إفهام سامعيه أن (الله الأب) يقدم (الله الروح القدس) هبة (لأبنائه) في الأرض ؟ هل قال عيسى أو لمح قط بأن الشخص الثالث في الثالوث هو هبة الشخص الأول ؟ وهل يمكن أن يكون الحواريون قد آمنوا أن هذه الهبة كانت هي الله تعالى نفسه الذي قدمه الله تعالى للبشر ؟ إن مجرد التفكير بذلك يسبب الرجفة لدى المسلم .

(ب) يصف سفر الكورنثيين الأول (١١/٢-١٢) (الروح القدس) بصيغة المحايد (الروح من الله) أي أنه ليس مؤنثاً ولا مذكراً . ويذكر بولس بوضوح (حيث أن روح المرء هي التي تمكنه من معرفة ذاته كذلك فإن روح الله

تمكن المرء من معرفة الأمور الإلهية) وهكذا فإن الروح القدس ليس الله ، ولكنه وسيلة ينزل الله بوساطتها على من يشاء من عباده العلم والنور والإلهام وهو مجرد تأثير من الله على نفس الإنسان وعقله ، لقد حدد بولس في هذه العبارة أن الروح الإنسانية لا يمكن أن تدرك الحقائق الإلهية إلا بواسطة روح الله أي بواسطة الإلهام والتوجيه الإلهي .

(ج) مرة أخرى في سفر الكورنثيين الأول (١٩/٦) يقول بولس (ألا تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم والذي تلقيتموه من الله) وهذا دليل آخر على أن الروح القدس ليس شخصاً أو ملاكاً فهو يقارن بجسد الإنسان وروحه بالمعبد المخصص لعبادة الله تعالى .

(د) في رسالة بولس إلى رومية (٩/٨) يطلق على هذه الروح التي (تعيش) داخل المؤمنين اسم (روح الله) وأحياناً (روح المسيح) مما يعني ببساطة العقيدة ودين الله الصحيح الذي أعلنه عيسى المسيح ، ومن المؤكد أن هذه الروح لا يمكن أن تعني الفكرة المسيحية للروح القدس أي : (ثالث الثلاثة) ومثال ذلك قول المسلمين أنهم يحاولون تنظيم حياتهم وفق (تعاليم محمد) أي الإخلاص لدين الله بنفس الطريقة التي كان عليه خاتم الأنبياء لأن الروح الطاهرة في محمد وفي عيسى وفي كل نبي آخر ليست سوى روح من الله تبارك وتعالى وهي على النقيض من روح القدس . وهذه الروح ليست إلهاً ولا شخصاً مقدساً وإنما شعاعاً إلهياً يهدي الله به من يشاء من عباده .

(هـ) حتى لو كانت الصيغة الإنجيلية (باسم الأب والابن والروح القدس) صحيحة ومقبولة من المسيح فإن قبولها كصيغة للإيمان يفترض أن يتوقف مع

نزول الإسلام الذي هو مملكة الله الحقيقية على الأرض . والله تعالى بصفته خالق الجميع هو الأب لكل البشر وليس أباً لشخص معين فقط أياً كان .

والمستشرقون يعرفون أن الكلمة السامية : أب وأبّا التي تترجم إلى (والد) تعني : (الشخص المنتج أو المثمر) (أباً معناها : الثمار) لكن القرآن الكريم لم يستعمل هذه التسمية للخالق لأن النصرانية أساءت استعمالها .

وسواء كانت الصيغة الثلاثية صحيحة أو زيفاً فإنني أعتقد أنها تتضمن حقيقة ما لأن الإنجيليين لم يسمحوا بإستعمالها في أي صلاة أو مناسبة دينية سوى المعمودية وهي نقطة تثير الانتباه إذ أن يحيى تنبأ عن المعمودية بالروح القدس والنار حيث المعمد المباشر هو الله ، والوسيط هو ابن الإنسان (البرناشا) المذكور في رؤيا دانيال والروح القدس هو السبب المادي لصبغة الله . ويحتمل أنه جرت الإستعانة بكلمة أب قبل أن تسيء الكنيسة استعمال هذا اللفظ ، إن صبغة الله هي ميلاد جديد في ظل الإسلام حيث المعمد الذي يسبب هذا الميلاد الجديد هو الله وإن ولادة المرء في ظل الإسلام يعتبر أعظم منة من الأب السماوي (بحسب التعبير الإنجيلي) .

أما الاسم الثاني في الصيغة الثلاثية وهو (الابن) فإن المرء يقع في حيرة لمعرفة ابن من هو ؟ فلو كان الله هو (الأب) كما يقولون فأى من أبنائه (مخلوقاته) الذين لا حصر لهم هو المقصود ؟ لقد علّمنا عيسى أن نصلي قائلين (أبانا الذي في السماوات) وهكذا فإن جميع البشر أبنائه بمعنى مخلوقاته وبالتالي فإن ذكر كلمة (ابن) في الصيغة الثلاثية يصبح سخيلاً غير ذي معنى ، أما لقب (ابن الإنسان) أو (برناشا) فقد ورد ثلاثاً وثمانين مرة في أحاديث عيسى المنسوبة إليه في الأناجيل . ولكن القرآن لا يذكر عيسى

قط على أنه (ابن الإنسان) بل يدعوه ﴿ اِبْنُ مَرْيَمَ ﴾ . ومن المستحيل أن يكون عيسى قد سَمَّى نفسه ابن الإنسان أو ابن الرجل لأنه كان ابن امرأة ولا مفر من هذه المعجزة ، بإمكانكم أن تدعوه أنه ابن إله كما تفعلون بحماقة دائماً ، ولكنكم لا تستطيعون أن تدعوا أنه ابن الإنسان إلا إذا ادعيتم أنه ابن يوسف النجار أو غيره مما يضيفي عليه (معاذ الله) وصمة اللاشرعية. وهكذا فقد اقتنعت بداهة أن الاسم الثاني في الصيغة التليثية هو التحريف المشؤوم لعبارة ابن الإنسان أي (برناشا) المذكور في سفر دانيال وهو أحمد (البرقليطوس) المذكور في إنجيل يوحنا .

أما الروح القدس في تلك الصيغة فهو ليس شخصاً أو روحاً معينة ، بل قدرة الله أو وسيلته التي يولد بوساطتها الإنسان مسلماً أو يُهدي بها إلى الإسلام .

٢ - ماذا قال الآباء النصارى الأوائل عن الروح القدس ؟

(أ) يفهم هرماس أن الروح القدس يعني العنصر الإلهي في المسيح (الذي خُلِقَ قبل كل الأشياء) ودون دخول في نقاش عقيم حول ما إذا كان هرماس يخلط بين الروح القدس و (الكلمة) أم أن الروح القدس عنصر خاص قائم بذاته يختص بالمسيح ، فإنه يقول أن المسيح خُلِقَ قبل كل الأشياء أي في البداية وأن الروح حسب اعتقاد هرماس ليست شخصاً .

(ب) جوستين المسمى بالشهيد (١٠٠-١٦٧ م) (Justin the martyr) وتيوفيلس (Theophilus) (١٢٠-١٨٠ م) ، يفهمان الروح القدس على أنها صيغة غريبة للتعبير عن (الكلمة) وأحياناً (صفة إلهية) ولكنها قطعاً ليست شخصاً إلهياً . ويجب أن نتذكر أن هذين الأبوين اليونانيين والكتابيين لم يعرفا

شيئاً عن الروح القدس الخاص بمعتقدى التثليث الذين ظهوروا بعدهما في القرن الرابع .

(ج) يعرف أثيناغوراس (١١٠-١٨٠ م) الروح القدس بأنها شعاع من الله يصدر عنه ويعود إليه كأشعة الشمس ويقول إيريناوس (Irenaeus) (١٣٠-٢٠٢ م) : إن الروح القدس والابن خادمان لله تخضع لهما الملائكة ولكن بعد حوالي قرنين من الزمن يرفع الجمع المسكوني في نيقية هذين الخادمين إلى رتبة الإله نفسه الذي خلقهما !.

(د) كان ألمع وأعلم الآباء الناقضين لعقيدة مجمع نيقية (٣٢٥ م) التي ظهرت بعده هو أوريجن (Origen) (١٨٥-٢٥٤ م) مؤلف الهكسبلا (Hexepla) ، وهو يعطي شخصيةً للروح القدس ، ولكنه يجعله من مخلوقات الابن .

إن النظرية المتعلقة بهذه الروح القدس لم تكن متبلورة بصورة كافية سنة ٣٢٥ م ولذلك لم يحددها مجمع نيقية ولم يعلن عن الشخص الثالث في الثالوث الذي يفترض أنه يشترك في المادة والزمن مع الأب والابن إلا سنة ٣٨٦ م في الجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية .

٣ - إن كلمة البرقليط (Paraclete) لا تعني المعزي ولا المحامي

كما أن تهجئتها اليونانية الصحيحة هي (Paraklytos) وقد جعلتها كتابات الكنيسة تعني : (شخص يدعى للمساعدة ، محام ، وسيط) . (القاموس اليوناني - الفرنسي تأليف Alexandre) . لكن البديهي أن الكلمة اليونانية التي تقابل معنى المعزي ليست (باراكليتوس Paraklytos) بل (باراكالون Parakalon) وقد وردت هذه الكلمة الأخيرة في الترجمة السبعينية اليونانية مقابل كلمة (مناحيم) العبرية

التي تعني (معزي) (انظر سفر مراثي إرميا ٢/١ ، ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ إلخ) ،
وهناك كلمة يونانية أخرى مرادفة لكلمة (مُعزّي) وهي باريجوريتس
(Parygorytys) مشتقة من (أنا أعزي) .

أما المعنى الآخر وهو (الوسيط أو المحامي) الذي تعطيه الأدبيات الكنيسية
لكلمة برقليط فإن الكلمة اليونانية (باراكالون Parakalon) أيضاً وليس
(باراكليتوس Paraklytos) هي التي تؤدي معنى مشابهاً لذلك . وهناك أيضاً كلمة
Sunegorus اليونانية التي تعني (المحامي) وكلمة Meditea اليونانية أيضاً وتعني
(الوسيط) أو (الشفيع) .

وبهذه المناسبة أود تصحيح خطأ وقع فيه عالم فرنسي آخر هو أرنست رينان
ففي كتابه الشهير (حياة المسيح) يترجم (برقليط) Paraclete إلى (المحامي)
ويورد الصيغة السريانية الكلدانية (Peraklit) عكس المدعي (Ktighra) من أصل
(Kategorus) . في حين أن الكلمة السريانية التي تعني وسيط أو شفيع هي
(مسعايا) وفي المحاكم تستخدم كلمة (Snighra) من الكلمة اليونانية
(Sunegorus) لتعني المحامي ، ويعتبر كثيرون من السريان غير الملمين باليونانية أن
كلمة الـ (برقليطا) الواردة في ترجمة (البشيتا) الآرامية مكونة من كلمتين :
(بَرَق) بمعنى ينقذ أو يخلص من ، وكلمة (ليطا) ومعناها : الملعون مما يتضمن
الفكرة القائلة بأن المسيح هو (المخلص من اللعنة) مما جعل البعض يعتقد أن هذه
الكلمة اليونانية إنما هي آرامية في الأصل ، كما هي الحال في الجملة اليونانية
" Maran-Atha " التي تقابلها في الآرامية " Maran-Athi " ومعناها : (سيدنا
آت) (١ يوحنا ٢٢/١٦) مما يبدو أنه تعبير بين المؤمنين يتعلق بقدوم خاتم
الأنبياء والرسل . إن عبارة " Maran-Athi " هذه والصيغة المكدانية تحويان نقاطاً

هامة لا يجوز إغفالها وتستحقان دراسة خاصة لأنهما تجسّدان علامات ودلائل
ليست في صالح التفسير الكنسي لهما .

ولقرونٍ طويلة كتب الأوروبيون واللاتينيون الجهلة اسم Muhammad على
أنه Mahomet واسم Mushi على أنه Moses فهل من عجب أن يكون أحد الرهبان
النصارى أو النساخين قد حرف اسم (أحمد ، Periqlytos) إلى (Paraklytos) ؟ !
ذلك أن أحمد يعني (الأشهر ، أو الجدير بالحمد) ؟ أما الكلمة المحرفة فهي تعني
العار لأولئك الذين جعلوها تحمل معنى المُعزّي أو المحامي منذ ثمانية عشر قرناً!!!...



الفصل الثامن عشر

البرقليطوس يعني أحمد

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (سورة الصف آية ٦) .

(وسوف أطلب من الأب وسوف يعطيكم برقليطوس آخر يبقى معكم إلى الأبد) (يوحنا ١٤/١٦ .. إلخ) .

يلاحظ التفكك في هذه العبارة من إنجيل يوحنا المنسوبة إلى المسيح إذ توحى بأن (برقليطاً) أو (برقليطات) قد جاؤوا في السابق وأن (برقليطاً) آخر سوف يأتي بناءً على طلب عيسى . كما يظهر كأن الحوارين كانوا على بينة من هذا الشخص المسمى برقليطوس في النص اليوناني ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت كلمة (آخر) التي تلي اسماً أجنبياً يذكر لأول مرة مصطنعة ولا لزوم لها . ومن المؤكد أن النص قد تعرض للتشويه فهو يدّعي أن الأب سيرسل (البرقليطوس) بناءً على طلب المسيح وإلا فإن (البرقليطوس) لن يأتي وهكذا يبدو أن كلمة (أطلب) مصطنعة أيضاً لأنها تظهر بصورة كاذبة لمسة من الوقاحة من جانب المسيح . وإذا أردنا أن نجد المعنى الحقيقي لهذا النص فعلينا استبعاد التحريف منه ليصبح كما يلي :

(وسوف أذهب إلى الأب ، وهو سيُرسل لكم رسولاً آخر (أو الرسول الأخير) سيكون اسمه (البرقليطوس) لكي يبقى معكم إلى الأبد) . وبهذا الشكل يعود تواضع المسيح الذي عُرف عنه ، كما يتحدد (البرقليطوس) .

رأينا في الفصل السابق أن (البرقليطوس) ليس الروح القدس ولا شخصاً إلهياً ولا جبريل أو غيره من الملائكة وسوف نرى الآن أنه ليس معزياً ولا محاماً أو وسيطاً بين الله والبشر :

١ - (البرقليطوس) ليس (المعزّي) ولا (الوسيط) والمسيح لم يستخدم كلمة (باراكالون Parakalon) اليونانية قطعاً ، كما أن فكرة التعزية أو الوساطة ليست مقبولة أصلاً للأسباب التالية :

(أ) إن اعتقاد الكنيسة أن موت عيسى على الصليب أنقذ المؤمنين من لعنة الخطيئة الأصلية وأن حضوره الدائم في القربان المقدس سيبقى مع المؤمنين إلى الأبد ، هذا الاعتقاد ترك الناس دون حاجة إلى عزاء أو إلى مجيء معزٍ . وبالمقابل لو أنهم كانوا بحاجة إلى معزٍ فإن جميع الادعاءات حول تضحية المسيح من أجل إنقاذ المؤمنين تصبح عديمة المعنى ولا لزوم لها . والعجيب أن لهجة الأناجيل والرسائل توحى بأن المجيء الثاني لعيسى كان وشيكاً . (متى ٢٨/١٦ ، مرقس ١/٩ ، لوقا ٢٧/٩ ، يوحنا ١٨/٢ ، ٢ تيموثاوس ١/٢ ، تيسالونيكي ٣/٢ .. إلخ) .

(ب) إن العزاء لا يعوض الخسارة فالرجل الذي فقد ابنه أو شيئاً عزيزاً عليه لن يستعيد ما فقدته بمجرد التعزية . وإن مجيء المعزّي بعد أن يكون عيسى قد ذهب ما هو إلا إحباط لكافة الآمال بانتصار مملكة الله . والتعزية لو

حصلت لأحبطت الحوارين إلى حالة من اليأس والانهيار إذ لم يكونوا بحاجة إلى معزّ بل محارب مظفر ينتصر على الشيطان وأعوانه .

(جـ) أما فكرة الوساطة بين الله والناس فهي أكثر غرابة من فكرة التعزية ، وإن الله تعالى لا يحتاج لوسيط بينه وبين مخلوقاته وأن وسيطنا الوحيد هو عقيدة التوحيد . لقد نصح المسيح أتباعه أن يدخلوا إلى بيوتهم ويغلقوا الأبواب ويصلوا إلى الله سرّاً وعند ذلك فقط يستمع (أبوهم الذي في السماء) لصلواتهم ويستجيب لدعائهم ، فكيف يمكن التوفيق بين ذلك وبين فكرة الوساطة .

(د) إن الأنبياء والملائكة والمؤمنين يصلون ويدعون بعضهم لبعض في صلواته ولكن الله ليس مضطراً لقبول شفاعة أحد فلو قبل الله شفاعة عبده (محمد) لتحول جميع البشر إلى الإسلام .

والقرآن الكريم ينفي فكرة الشفاعة في عدة آيات . وقد تكون فكرة محام يدافع عن موكله أمام محكمة الله فكرة مدهشة (١ يوحنا ١/٢) ولكنها خاطئة لأن الله ليس قاضياً بشرياً عرضة للانفعالات والجهل والتحيز وهو يعرف نفوسنا وقلوبنا أكثر من معرفتنا بها وبالتالي فإن الشفاعة والوساطة لا محل لها ولا داع .

(هـ) إن الاعتقاد بالوساطة والشفاعة يعكّر الصفاء الروحي بين المرء وربّه ويقود البشر إلى عبادة الأضرحة وتماثيل وصور الأنبياء والشهداء ، كما يزيد من نفوذ القديس والراهب الذي يضع نفسه موضع ولي الأمر وصاحب الشأن فيقبل على الجشع وجمع الأموال الضخمة من أجل

تكوين إرساليات تنصير غنية في حين أن معظم هؤلاء المنصرين
جواسيس لحكوماتهم وهم سبب المصائب التي حلت بالأرمن واليونان
والآشور والكلدان في تركيا وإيران بسبب تعليمات الخيانة والثورة التي
صدرت عن الإرساليات الأجنبية في الشرق .

والآن بعد أن تبين أن البرقليط المذكور في إنجيل يوحنا لا يعني ولا يمكن
أن يكون معزياً أو محاماً أو وسيطاً وأن الكلمة قد شوهت من كلمة
برقليطوس Perqlytos ، تشرح المعنى الحقيقي للكلمة الأصلية :

٢ - إن كلمة برقليطوس تعني من الناحية اللغوية البحتة : (الأجد والأشهر
والمستحق للمديح) وإن قاموس Alexandre, Dictionnaire Grec-Francais يفسر
كلمة (Preiqlytos) فيقول :

" Qu'on peut entendre de tous les cotes; qu'il est facile a
entendre. Tres celebre, " etc. , " = Pericleitos, tres celebre, illustre,
glorieux; = Preiqleys, tres celebre, illustre, glorieux, = Kleitos,
renomee, celebrite. "

وهو اسم مركب ذي مقطعين الأول (peri,) والثاني (Kleitos) مشتق من
التمجيد أو الثناء ويكتب (Pericleitos) أو (Periqlytos) مما يعني تماماً اسم أحمد
باللغة العربية أي الأكثر ثناء وحمداً . ولكن ما هو الاسم السامي الأصلي الذي
استخدمه عيسى المسيح بلغته العبرية أو الآرامية :

أ - تحتوي نسخة البشيتا Peshitta السريانية على كلمة (براقليطا) دون تفسير
لمعناها ولكن الترجمة اللاتينية المعتمدة (فالجيت Vulgate) تترجم الاسم إلى

مُعَزٌّ . وإذا لم أكن مخطئاً فإن الصيغة الآرامية كانت (مُحَمَّده) أو (حَمِيدَه)
مما يقابل كلمة محمد أو أحمد بالعربية وكلمة البرقليطوس باليونانية .

ب - في الآية القرآنية (٦) من سورة الصف أعلن عيسى بن مريم أنه كان
﴿ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ وهذا من أقوى البراهين على
نبوة محمد وعلى أن القرآن تنزيل إلهي فعلاً إذ لم يكن في وسع محمد أن
يعرف أن كلمة البرقليطوس كانت تعني أحمد إلا من خلال الوحي وهذه
حجة جازمة ونهائية لأن المدلول الحرفي للاسم اليوناني يعادل بدقة كلمتي
(أحمد ، ومحمد) .

ومن المدهش أن الوحي قد ميّز صيغة أفعّل التفضيل من غيرها أي (أحمد)
من (محمد) . ومن المدهش أيضاً أنه اسماً فريداً لم يعط لأحد من قبل ، إذ
حُجِرَ بصورة معجزة لخاتم الأنبياء والرسل وأجدرهم بالثناء . ذلك أن اسم
برقليطوس لم يطلق على أي يوناني قط كما أن اسم أحمد لم يطلق على أي
عربي قبل النبي محمد . صحيح أنه وجد أثيني مشهور اسمه برقليس Pericleys
بمعنى الشهير .. ولكن ليس بمعنى الأشهر .

ج - يصف الإنجيل الرابع البرقليطوس أنه شخص محدد المعالم ، وروح مقدسة
مخلوقة تسكن جسماً بشرياً وتنجز عملاً هائلاً لم ينجزه أحد من الأنبياء من
قبل بمن فيهم موسى وعيسى وغيرهما .

ومع أنه يمكن أن يفهم البعض من الروح القدس - ما لم توصف بأنها
شخصية محددة - أنها قدرة الله وإلهامه . إلا أن هذه الروح مختلفة تماماً عن

البرقليطوس الذي استطاع وحده إنجاز العمل العظيم الذي لم يكن لعيسى أو للحواريين من بعده أن يُخَوِّلوا بإنجازه .

د - اعتمد النصارى الأوائل في القرن الأول والثاني على النقل الشفهي والروايات أكثر من الكتابات فيما يتعلق بالإنجيل والدين الجديد وحتى في أيام الحواريين انتشر العديد من المذاهب والأدعياء والدجالين مما أدى إلى إحداث انشقاقات لا يستهان بها (١ يوحنا ٢/١٨-٢٦) ، (٢ تيسالونيكي ١/٢-١٢ ، ٢ بطرس ٢ ، ١/٣ ، ١ تيموثاوس ١/٤-٣ ، ٢ تيموثاوس ١/٣-١٣... إلخ) وقد نصح المؤمنون وقتها بالالتزام بتعاليم الحواريين الشفوية أما المذاهب التي وصمت بالهرطقة مثل الغنوصيين Gnostics والأبوليناريين Appolinarians والدوكتيين Docetas وغيرهم ، فيبدو أنها لم تكن بالأساطير والخرافات المضخمة عن تضحية المسيح وفدائه التي ذكرها إنجيل لوقا (١/١-٤) .

وقد اتخذ أحد زعماء تلك المذاهب لنفسه اسم (البرقليطوس) وادعى أنه النبي (الأحمد) الذي تنبأ به المسيح ، وصار له أتباع عديدون ، ولو كان هنالك إنجيل صحيح مؤيد من المسيح أو من جميع الحواريين لما وجدت تلك المذاهب الكثيرة والمناقضة لمحتويات العهد الجديد في حينه ، ونستطيع أن نستنتج باطمئنان من ادعاء البرقليط المزيف أن النصارى الأوائل كانوا يتوقعون أن يجيء (روح الحق) على صورة رجل يكون خاتم الأنبياء والرسل.

٣ - إن اسم (برقليطوس) باليونانية و (أحمد) بالعربية لهما معنى واحد وهو : (الأشهر أو الأكثر حمداً) . وقد رأينا أن ترجمة الكلمة إلى (مُعَزِّ) أو

(محام) مستحيلة وخاطئة فلنفحص الآن علامات البرقليطوس التي لا توجد في غيره :

١- لقد صحح محمد الانحرافات التي أدخلت على الأديان السماوية من قبله وقد وصف عيسى البرقليطوس بأنه (روح الحق) التي سوف تشهد لطبيعة عيسى ورسالته (يوحنا ١٤/١٧ ، ١٥/٢٦) ، وتحدث عيسى في خطبه وأقواله عن الوجود السابق لروحه (يوحنا ٨/٥٨ و ١٧/٥ .. إلخ) . ويذكر إنجيل برنابا أن عيسى تحدث مراراً عن مجد روح محمد التي رآها مما يدل أنها كانت موجودة على الأقل منذ زمن عيسى . ولقد وبخ (روح الحق) النصراني على تقسيم وحدة الله إلى ثلاث من الأشخاص وعلى رفع عيسى إلى مرتبة إله وابن إله ، كما فضح أضاليل اليهود والنصارى في تزيف كتبهم المقدسة ، وندد باليهود بسبب افتراءاتهم ضد عذرية وطهارة مريم وبرهن على حق البكورية لإسماعيل وبراً لوطاً وسليمان وكثيرين من الأنبياء من الدنس والتهم التي ألحقها المزيفون اليهود بهم . كما شهد (روح الحق) بحقيقة عيسى كنبى ورسول وعبد من عباد الله ، وقضى على الوثنية والشرك .

ب - واحدة من أكبر علامات (البرقليطوس - روح الحق) عندما يأتي في شخص ابن الإنسان - أحمد - أنه سوف (يوبخ العالم على الخطيئة) (يوحنا ٨/١٦) . وفي الواقع نلاحظ أنه لم يضاه محمداً أحد قبله في مثل هذا التوبيخ ، لقد استأصل الوثنية أم الآثام واستأصل الشرك وعبادة الأشخاص ومع أن جميع الرسل قبل محمد قاموا بتأنيب مرتكبي الخطايا من شعوبهم ولكن محمد قام بذلك على نطاق العالم كله إذ لم يقتصر عمله فقط على اقتلاع الوثنية من شبه الجزيرة العربية بل بعث رسله إلى كسرى أبرويز

وهرقل وهما حاكمان لأعظم إمبراطوريتين في ذلك العصر كما أرسل إلى ملك الحبشة وحاكم مصر والعديد من الملوك والأمراء الآخرين ، يدعوهم إلى الإسلام ونبذ الكفر والعقائد الباطلة . وقد بدأ محمد بتبليغ كلمة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن عندما عارضته قوى الشر اضطر للدفاع عن دين الله تنفيذاً لأمر الله (سفر دانيال ، الفصل ٧) . وقد منح الله محمداً القوة والسلطان لتأسيس مملكة الله وليكون أول أمير لها تحت سلطة (ملك الملوك ورب الأرباب) .

جـ - ومن علامات (البرقليطوس - أحمد) الأخرى أنه (سوف يوبخ العالم لأجل الخطيئة والاستقامة والعدالة) (يوحنا ٨/١٦) أما تفسير (الاستقامة) بما نسب إلى عيسى من قوله : (لأنني ذاهب إلى أبي) (يوحنا ١٠/١٦) فهو تفسير غامض مبهم . إذ يجعل عودة عيسى إلى ربه سبباً كافياً لتأنيب العالم بوساطة (البرقليطوس) ، لماذا ؟ ومن الذي أنب العالم بسبب ذلك ؟ لقد اعتقد اليهود أنه صلبوا عيسى وقتلوه ولم يؤمنوا أنه رُفِعَ إلى السماء . ثم عاقبهم محمد ووبّخهم بشدة بسبب كفرهم هذا . وقد أصاب هذا التوبيخ النصارى الذين يعتقدون أنه صُلبَ ومات على الصليب وأنه إله أو ابن الله . وقد أوضح القرآن هذه النقطة بقوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء ١٥٧ ، ١٥٨) ، علماً أن الكثيرين من النصارى الأوائل أنكروا صلب المسيح وأصرروا على أن أحد أتباعه (يهوذا الإسخريوطي) أو شَبَّهاً له ألقى القبض عليه وصُلبَ بدلاً منه.

كما أن الكورنثيون Cornithians والبازيلديون Basilidians والقربوبقراطيون Corpocratians وغيرهم كثيرون كانوا من نفس الرأي . وقد ناقشتُ بإسهاب موضوع الصلب في كتابي (الإنجيل والصليب) وقد صدر منه مجلد واحد فقط بالتركية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى . والخلاصة أن محمد قد أنصف عيسى المسيح عندما أوضح أن عيسى روح من الله وأنه لم يصلب أو يُقتل وأنه لم يكن إلهاً ولكن رسول كريم من الله . وهذا ما قصده عيسى بالضبط عندما تكلم عن تحقيق العدالة حول شخصه ورسالته ورفعته وقد تحقق ذلك فعلاً على يد (البرقليطوس أحمد) .

د - من أهم علامات (البرقليطوس) أيضاً أنه (سوف يؤنب العالم لأجل الدينونة) (لأن رئيس هذا العالم قد أدين) (يوحنا ١٦/٨-١١) .

أما رئيس هذا العالم فهو الشيطان (يوحنا ٣١/١٢ ، ٣٠/١٤) لأن العالم كان خاضعاً له . وفي الفصل السابع من سفر دانيال يصف النبي دانيال كيف عقدت الدينونة الكبرى وصدر الحكم الإلهي بتحطيم ديانة الشيطان على يد البرناشا (ابن الإنسان) محمد ويستخدم دانيال تعابير مشابهة جداً لتعابير القرآن الكريم عن يوم الحساب أو الدينونة وعن الدين الحق أي الإسلام ، وأن استعمال القرآن لكلمة ﴿ دِينَ ﴾ الواردة في سفر دانيال (بالآرامية دينا) بما يعني الحكم أو الدينونة أو الدين أمر في غاية الأهمية لأنه في رأيي من أحد البراهين على الحقيقة التي أنزلها الروح القدس جبريل على كل من دانيال وعيسى ومحمد إذ لم يكن باستطاعة محمد أن يخلق هذا أو يلقفه حتى ولو كان فيلسوفاً ضليعاً كأرسطو .

إن الحكم الذي جرى وصفه في سفر دانيال كان لإدانة الشيطان الذي جسّده الوحش الرابع (الإمبراطورية الرومانية) وأن مهمة القضاء عليه لم تُسند إلى عيسى عليه السلام لأنه كان عازفاً عن الشؤون السياسية وقد دفع الرسوم لقيصر وانسحب عندما أرادوا تتويجه ملكاً وقد أعلن بوضوح أن سيد هذا العالم قادم وأن (البراقليطوس أحمد) سوف يجتث الوثنية وهو ما تحقق بالفعل .

هـ - والعلامة الأخيرة للبرقليطوس هي أنه : (لا يتكلم من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بما يأتي) (يوحنا ١٦/١٣) . وهكذا كان محمد ينطق بالوحي كما يسمعه من جبريل وكان الوحي يدون على يد الكتبة المختارين حتى تم جمع القرآن . أما تعاليم محمد الشخصية وأقواله فإنها رغم أهميتها لم تجمع وتدون إلا بعد وفاته بعشرات السنين ولا علاقة لها بالوحي أو القرآن ولذلك فهي تدعى بالأحاديث الشريفة .

هذا هو البرقليطوس الحقيقي إذن ! فهل بإستطاعتكم أن تدلونا على أي شخص آخر تنطبق عليه كل هذه الصفات والعلامات والمميزات التي للبرقليطوس ؟ إنكم لا تستطيعون ! ...



الفصل التاسع عشر

من هو ابن الإنسان

يذكر القرآن الكريم عيسى المسيح عليه السلام على أنه المسيح بن مريم .
ولكن الأناجيل التي بين أيدينا لم تكفر بأنه المسيح بن مريم والسبب أن الإنجيل
الحقيقي الذي أوحى إلى المسيح ونقل إلى تلاميذه وأتباعه شفهاً قد أصابه التحريف
وأضيفت إليه الخرافات والأساطير - فأصبح ابن مريم : ابن يوسف تارة ^(١) ، وله
إخوة وأخوات ^(٢) ، ثم أصبح ابن داود تارة أخرى ، ثم ابن الإنسان ^(٣) ، ثم
ابن الله ^(٤) ، ثم الابن فقط ^(٥) ، ثم المسيح ^(٦) ، ثم الحمل ^(٧) .

(١) (متى ١٣/٥٥ ، ٥٦) (مرقص ٣/٦ ، ٣١/٣) (لوقا ٤٨/٢ ، ٩/٨-٢١) (يوحنا ١٢/٢ ، ٣/٧-٥) (الأعمال ١٤/١) (الكورنثيين الأول ٥/٩) (غلاطية ١٩/١) ،
(يهودا ١/١) .

(٢) (متى ٢٢/٤٤) (مرقص ٣٥/١٢) (لوقا ٤١/٢٠) (متى ٣٠/٢٠ ، ٢٧/٩ ، ٩/٢١) (الأعمال ٢٢/١٣ ، ٢٣) (الرؤيا ٥/٥) (رومية ١٢/١٥) (العمرائين ١٤/٧) .

(٣) تكررت هذه التسمية ثلاثاً وثمانين مرة تقريباً في الخطب المنسوبة إلى عيسى .

(٤) (متى ١٤/٣٢ ، ١٦/١٦) (يوحنا ٢٧/١١) (الأعمال ٢٠/٩) (يوحنا ١٥/٤ ، ٥/٥) (العمرائين ٢/١ ، ٥) ... إلخ .

(٥) (يوحنا ١٩/٥ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ .. إلخ وفي الصيغة المعدادنية (متى ١٩/٢٨ ، (يوحنا ٣٤/١) .

(٦) (متى ١٦/١٦) وتكرر في الرسائل .

(٧) (يوحنا ١/٢٩ ، ٣٦) وتكرر أيضاً في سفر الرؤيا .

ومنذ سنوات وقتما كنت قسيساً كاثوليكياً زرت قاعة إكستر (Exeter Hall) في لندن وصادف أن استمعت إلى واعظ طيب شاب يخطب في اجتماع لجمعية الشبان المسيحيين . وكان من جملة ما قال (أكرر ما سبق أن قلته مراراً وهو أن عيسى أحد اثنين : فهو إما ما يدعيه في الإنجيل ، أو هو أكبر دجال شهده العالم) ومنذ ذلك الوقت لم أنس ذلك الكلام الضيق الأفق إذ لم يترك خياراً لأحد سوى أن يكون عيسى ابناً لله أو أكبر دجال فمن يقبل الخيار الأول فهو مسيحي تثليثي ومن يقبل الثاني فهو يهودي كافر . أما نحن الذين نرفض الخيارين كليهما فمسلمون موحدون . فالمعنى الذي تحدده الكنائس لعبارة (ابن الله) يرفضه المسلمون لأن المسيح ليس وحده (ابن الله) وليس وحده (ابن الإنسان) وإذا سُمح لنا مجازاً أن ندعو الله أباً فإن كل نبي وكل مؤمن مستقيم سيكون (ابناً لله) بنفس المعنى وإذا كان عيسى كما يزعمون " ابن يوسف النجار " وإذا كان له أربعة إخوة وعدة أخوات متزوجات كما تدعي الأناجيل فلماذا يكون وحده جديراً باللقب الغريب (ابن الإنسان) الذي ينطبق على كل بشر .

ومن عجب أن لهؤلاء القسس والرعاة واللاهوتيين والمكابرين منطقاً غريباً في الجدل وميلاً أغرب للأمور الغامضة السخيفة والأعجب أنهم لا يميزون بين الاصطلاحات والألقاب والتسميات التي يستخدمونها كما لا توجد لديهم فكرة محددة عنها . ولديهم مقدرة لا يحسدون عليها في تنميق الأقوال المتناقضة التي لا يمكن التوفيق بينها والتي لا يصدقها أحد غيرهم ، فهم قادرون على الاعتقاد أن مريم كانت عذراء وزوجة في وقت معاً ، وأن يوسف كان الرفيق والزوج ، وأن جيمس ويوسي وسمعان ويهودا كانوا أبناء عمومة عيسى وإخوانه في نفس الوقت ، وأن عيسى إله كامل وبشر كامل ، وأنه أيضاً ابن الله وابن الإنسان والحمل وابن

داوود ، وهم يعبدون المصلوب ويعبدون الله تعالى ، ولا أعتقد أنه يوجد مسيحي واحد في كل عشرة ملايين لدية فكرة عن مصطلح (ابن الإنسان) ودلالته الحقيقية ويدعي القساوسة والوعاظ أن المسيح قد اتخذ اسم ابن الإنسان أو (البرناشا) بدافع من التواضع والحلم والمسألة متجاهلين أسفار الرؤى اليهودية Apocalyptic Scriptures التي آمن بها المسيح والحواريون والتي تنبأت بابن الإنسان الذي لن يكون مسلماً ولن يكون عاجزاً عن إيجاد مكان يضع فيه رأسه ولن يُسَلَّم لأيدي الأعداء ولكنها تنبأت بابن الإنسان القوي المظفر الذي يتغلب على الطيور الجارحة والوحوش الشرسة التي رمزت إلى قوى الشر التي كانت تفتك بخيراته وحملانه أي شعبه . وقد كان اليهود الذين سمعوا عيسى يتكلم عن ابن الإنسان يعرفون حق المعرفة عمّن كان يتكلم ، ذلك أن المسيح لم يتكرر ذلك اللقب بل أخذ عن أسفار الرؤى اليهودية : سفر إدريس ، والأسفار السبيلية Sibylline Books ، وسفر دانيال ، .. إلخ ولنتفحص الآن أصل هذا اللقب .

١ - (ابن الإنسان) هو آخر الأنبياء الذي أنشأ مملكة السلام (الإسلام) على أنقاض العبودية والاضطهاد الذي كان يُمارس تحت سلطة الشيطان (الوثنية) ولَقَبُ بارناشا هو لقب رمزي يميّز المنقذ عن بقية عباد الله الذين يرمز إليهم بالخراف ، بينما يرمز إلى الأمم الكافرة بالطيور الجارحة والوحوش الشرسة ، وقد خاطب الله تعالى النبي حزقيال (ذو الكفل) بلقب ابن آدم أي ابن الإنسان بمعنى راغي خراف إسرائيل . وفي أول رؤيا يبدأ بها سفر حزقيال يُشاهد ابن الإنسان بجانب العرش النوراني لله تعالى (سفر حزقيال ٢٦/١) ويتكرر ذكر ابن الإنسان في ذلك السفر وأنه دائماً في حضرة الله وفوق

الملائكة وهو ليس حزقيال نفسه (سفر حزقيال ١٠/٢) بل آخر الأنبياء الذي أوكل إليه إنقاذ عباد الله من سلطان الكفر والوثنية .

(أ) (ابن الإنسان) حسب رؤيا إدريس (إينوخ) :

يسمى القرآن إينوخ بلقبه (إدريس) وهو الصيغة العربية لكلمة دريشا الآرامية من فئة الأسماء البسيطة كإبليس وبليسا^(٨) ومعنى كلمة (إدريس) و (دريشا) : علامة من (دَرَشْ) في الآرامية وفي العربية (دَرَسَ) . يقول النص القرآني : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (سورة مريم ٥٦-٥٧) .

ويبدو أن المفسرين المسلمين : البيضاوي وجلال الدين كانا يعرفان إن إدريس قد درس الفلك والفيزياء والحساب وأن إدريس تعني شخصاً علامة ويحتمل أن سفر رؤيا إدريس كان موجوداً أيامهما . ولا شك أن عيسى كان على معرفة جيدة برؤيا إدريس كما أن يهوذا (أخا جيمس) و (خدام عيسى المسيح) و (أحد الإخوة المزعمين لعيسى)^(٩) كان يعتقد أن إدريس هو المؤلف الحقيقي للكتاب الذي يحمل اسمه كما كان يعتقد أن إدريس هو الجد السابع بعد آدم (سفر يهوذا ١٤/١) . وهناك بعض الأجزاء المبعثرة لهذه الرؤيا محفوظة ضمن مقتبسات بعض الكتاب المسيحيين الأوائل وقد ضاع السفر قبل زمن فوتيوس (Photius) بكثير ولم يظهر بعد ذلك إلا في أوائل

(٨) إبليس : الصيغة العربية للكلمة الآرامية (بليسا) وهي صفة للشيطان وتعني (المسحوق أو المقهور) .

(٩) تدعى الأناجيل أنه واحد من أربعة إخوة لعيسى هم جيمس ويوسي وسمعان ويهوذا (إنجيل متى ١٣/٥٥ ، ٥٦ .. إلخ) .

القرن الماضي ضمن لائحة أسفار الكنيسة الحبشية . وقد ترجمها الدكتور دلمان Dillmann من الأثيوبية إلى الألمانية وأضاف إليها ملاحظاته وشرحه (١٠) .

يقسم سفر إدريس إلى خمسة أجزاء و (١١٠) فصول ، في الجزء الأول منها يصف المؤلف سلالات من العمالقة يتدعون ضروباً من الشرور والسحر والرديلة حتى أن الله سبحانه وتعالى يعاقبهم بالطوفان . كما يصف رحلة له تكررت مرتين إلى السماء بصحبة الملائكة . وفي الجزء الثاني يصف " مملكة السلام " ويذكر (ابن الإنسان) الذي يلقي الملوك الفاسدين في جهنم (سفر إدريس ٤٦/٤-٨) ويبدو أن هذا الجزء الثاني قد كتبه عدة مؤلفين ويتضح فيه التحريف من قبل الكنيسة . أما الجزء الثالث ففيه بعض الأفكار الغريبة المتطورة في الفلك والطبيعة . وفي الجزء الرابع حكايات رمزية أسطورية عن الجنس البشري منذ بدء الخليقة حتى أيام الإسلام التي يدعوها المؤلف العصور المسيحانية Messianic . وفي هذه الحكايات يرمز إلى سلالة يعقوب بقطيع من الغنم وهم شعب إسرائيل المختار ويرمز إلى سلالة أخيه عيص وهم الأდوميون بقطيع من الخنازير البرية ، ويصف الكاتب كيف يتعرض قطيع الغنم للمضايقة والتشريد والقتل من قبل الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة التي ترمز إلى الوثنية والكفر وكيف أن كبشاً شجاعاً يقاوم بشدة وأخيراً يظهر (ابن الإنسان) الذي يأتي لينقذ القطيع .

(١٠) ترجمها إلى الإنجليزية أيضاً أسقف إيرلندي اسمه لورنس .

أما الجزء الخامس من الكتاب فيحتوي مواعظ دينية وأخلاقية ، والخلاصة أن سفر إدريس بشكله الحالي يتضمن أدلة على أن تدوينه تم بالآرامية من قبل يهودي فلسطيني في تاريخ متأخر قد يكون عام ١١٠ ق.م . وهذا هو رأي الموسوعة الفرنسية .

بعد اعتماد مجموعة الكتب العبرية المقدسة في القرن الرابع ق.م . من قبل (أعضاء الكنيس الأكبر) الذي أسسه (عزيز ونحميا) صار يطلق على جميع الكتب الدينية الأخرى التي لم تدرج ضمن هذه المجموعة اسم (الأبوكريفيا) أي الأساطير وقد استبعدت هذه الكتب من قبل مجمع العلماء اليهود كان آخرهم سمعان العادل الذي توفي سنة ٣١٠ ق.م . ومن الكتب الأبوكريفيا هذه رؤى إدريس وباروخ وموسى وعزير والكتب السبيلية Sibylline Books التي كُتبت في فترات مختلفة منذ عهد المكابيين حتى بعد تدمير القدس على يد تيطوس إمبراطور روما . ويبدو أنه كان من الشائع بين " الحكماء " اليهود تأليف أدبيات أسطورية (أبوكريفية) ودينية تنسب إلى بعض الشخصيات الدينية الشهيرة ، ولا تشذ الرؤيا الموجودة في آخر العهد الجديد والتي تحمل اسم يوحنا المقدس عن هذه العادة اليهودية النصرانية . وإذا كان يهوذا (الأخ المزعوم للمسيح) قادراً على تصديق أن إدريس (الذي يعدونه الجسد السابع بعد آدم) كان حقيقة مؤلفاً للمئة وعشرة فصول التي تحمل اسمه، فلا عجب أن يصدق كل من جوستين الشهيد وبابياس ويوزيبيوس صحة تأليف الكتب المنسوبة إلى متى ويوحنا .

وليس هدفي التعليق على هوية المؤلف الحقيقي أو على فحوى هذه الرؤى الغامضة المبهمة التي كتبت في ظروف مؤلمة من تاريخ الأمة اليهودية . ولكن

هـدفى هو استقصاء أصل تسمية (ابن الإنسان) ومحاولة معرفة دلالتـه الصحيحة ، ذلك أن كتاب إدريس مثل رؤى الكنائس ومثل الأناجيل يتحدث عن مجيء (ابن الإنسان) لإنقاذ شعب الله من أعدائه وهو يخلط بين هذه التوقعات وبين يوم الحساب .

ب) إن الرؤيا السبيلية Syblline Revelation التي كتبت بعد الانهيار الأخير للقدس نتيجة اجتياح الجيوش الرومانية (٧٠ م) تقول إن (ابن الإنسان) سوف يظهر ليدمر الإمبراطورية الرومانية وينقذ المؤمنين الموحدين ، وقد كُتب هذا السفر بعد المسيح بحوالي ثمانين عاماً على الأقل .

جـ) في الفصل السادس من هذا الكتاب عرضنا موضوع ابن الإنسان في رؤيا دانيال التي يكلف فيها ابن الإنسان بالقضاء على الوحش الروماني . كما أن الرؤى (Assumption Of Moses) في كتاب باروخ مشابهة لذلك تقريباً . وجميعها تصف المنقذ على أنه (بارناشا) أو ابن الإنسان .

٢ - من المستحيل أن يكون (ابن الإنسان) المذكور في الرؤى هو عيسى المسيح ، لأن ذلك اللقب لم ينطبق عليه بأي شكل من الأشكال وإن جميع ادعاءات (الأناجيل) التي تجعل (حَمَل) الناصرة يمسك بالملوك الفاجرين ويلقي بهم في الجحيم (سفر إدريس ٤٦/٤ - ٨) تفتقر إلى الحد الأدنى من المصادقية . والمسافة التي تفصل عيسى المسيح عن (ابن الإنسان) أبعد من المسافة التي تفصل الأرض عن المريخ . لاشك أن عيسى المسيح لم يكن ابن الإنسان ولا المنقذ الذي تنبأ به أنبياء اليهود وأصحاب الرؤى وكان اليهود على حق في إنكار ذلك اللقب وتلك الوظيفة عليه لكنهم كانوا حتماً مخطئين في إنكار نبوته كما كانوا مجرمين في محاولة قتله .

بعد وفاة سمعان العادل سنة ٣١٠ ق.م تمّ استبدال مجمع الكنيس اليهودي الأكبر بمجلس (السّنهدرين Sanhedrin) الذي كان رئيسه يلقب بالأمير (Nassi) ، ومن العجيب أن يعتبر نبياً هذا الأمير الذي نطق بالحكم ضد عيسى قائلاً : (من الأنسب أن يموت رجل واحد بدلاً من تدمير أمة بكاملها) (إنجيل يوحنا ١١/٥٠) فلو كان ذلك الأمير نبياً حقاً فكيف لم يتعرف على شخصية المسيح وعلى مهمته النبوية ؟

وفيما يلي الأسباب الرئيسية في أن عيسى لم يكن (ابن الإنسان) أو المنقذ الموعود في الرؤى :

أ) لا يمكن لأي رسول أن يتنبأ عن إعادة تجسّده ويقدم نفسه على أنه بطل أحداث هامة سوف تحدث في المستقبل .

لقد تنبأ يعقوب عن (رسول الله) (سفر التكوين ١٠/٤٩) ، وموسى عن النبي الذي سيأتي بالشرعة وأمر إسرائيل أن تطيعه (سفر التثنية ١٨/١٥ - ١٨) ، وتنبأ حجّي Haggai عن أحمد (سفر حجّي ٧/٢) ، وملاخي عن رسول العهد وعن إيليا (سفر ملاخي ١/٣ ، ٥/٤) ، ولكن أحداً من الأنبياء لم يتنبأ عن عودته بنفسه ثانية إلى هذا العالم . وما يعتبر شاذاً في حالة عيسى أن ينسب إليه القول بأنه (ابن الإنسان) مع أنه لم يكن قادراً على القيام بالحد الأدنى من مهام (ابن الإنسان) . فلو أنه أعلن لليهود الذين كانوا في قبضة الرومان أنه كان ابن الإنسان حقاً ثم دفع الضريبة لقيصر واعترف أن ابن الإنسان " لم يجد محلاً يضع عليه رأسه " ثم أجّل إنقاذه شعبه من الحكم الروماني إلى أجل غير مسمى لكان ذلك استهتاراً وإنكاراً

للنبوءات وأن من ينسبون هذه الأقوال الضعيفة إلى عيسى يعطون الانطباع بأنهم أغبياء أو أنهم يتعمدون الإساءة لعيسى .

ب (لقد عُرف عيسى أكثر من أي شخص آخر في إسرائيل من هو (ابن الإنسان) وما هي مهمته . إذ كان عليه أن ينزع الملوك الفاجرين من عروشهم ويرميهم في جهنم . إن رؤيا باروخ وعزير (الكتاب الرابع لـ " إيزدراش " في الترجمة اللاتينية المعتمدة للكتاب المقدس) تتحدث عن ظهور ابن الإنسان الذي يقيم مملكة السلام (الإسلام) على أنقاض الإمبراطورية الرومانية وهكذا كانت جميع الرؤى الأسطورية ترينا التصور اليهودي لحيء آخر المنقذين العظماء الملقب (بابن الإنسان والمخلص والمنتظر) ، ويستحيل تصور أن عيسى كان جاهلاً بتلك الكتابات والتطلعات المتحمسة من قومه ولذا ما كان ليسبغ على نفسه أياً من هذين اللقبين بالمعنى الذي حدده مجلس القضاء الأعلى (السنهدرين) في القدس وبالمعنى الذي تعلقه اليهودية على هذه الألقاب لأنه لم يكن (ابن الإنسان ولا المخلص المنتظر) ، فمن جهة لم يكن لديه برنامج سياسي أو خطة اجتماعية لتحقيق مهام ابن الإنسان ومن جهة ثانية فإنه كان السلف والمبشّر بـ (ابن الإنسان وللمخلص المنتظر) الرسول المظفر وسلطان الأنبياء .

جـ (إن التفحص المحايد للقب (ابن الإنسان) الذي نُسب ثلاثاً وثمانين مرة إلى لسان عيسى يؤدي إلى القناعة القطعية بأنه لم يتخذ ذلك اللقب لنفسه ونلاحظ أنه كثيراً ما استعمل ذلك اللقب بصيغة الغائب أي على شخص آخر من المفترض ظهوره مستقبلاً وإليكم بعض الأمثلة :

١- قال بعض أحبار اليهود مخاطباً عيسى : سأتبعك أنى ذهبت فأجابه عيسى :
(للثعالب جحورها ، ولطيور السماء أعشاشها ، أما ابن الإنسان فليس له
مكان يضع عليه رأسه) (إنجيل متى ٢٠/٨) ، وبعد ذلك مباشرة يمنع عيسى
أحد أتباعه من الذهاب لدفن أبيه ، ومن عجب أننا لا نجد معلقاً أو مفسّراً أو
كاهناً واحداً يكلف نفسه عناء التفكير السليم أو يستخدم أدنى قدر من الذكاء
لتفسير مغزى رفض عيسى السماح للحر العالم أن يتبعه في حين يمنع أحد
أتباعه من الذهاب لمجرد دفن أبيه ، فطالما كان لدى عيسى مكان لثلاثة عشر
رأس فليس من المستحيل عليه إيجاد مكان للرأس الرابع عشر عدا عن أنه كان
يستطيع ضمه إلى السبعين من تابعيه (لوقا ١٠/١) ، خاصة أن السائل لم
يكن صياد سمك جاهل كأبناء زبدي ويونس بل عالماً ضليعاً لا مجال للشك في
إخلاصه وكان يظن أن عيسى هو المخلص المنتظر أي (ابن الإنسان) الذي
يوشك أن يدعو جنوده من السماء ويستعيد ملك داود . لكن عيسى لاحظ
اعتقاده الخاطئ وأفهمه بلباقة أن من لا يملك ذراعاً من الأرض يضع عليه
رأسه لا يمكن أن يكون (ابن الإنسان) . وهو لم يرد أن يكون فظاً ولكن
أفهمه الحقيقة بلطف ولباقة وأنقذه من التعلق بآمال وهمية .

٢ - ينسب إلى عيسى المسيح القول أن (ابن الإنسان) سوف يفرز الخراف من
الماعز (إنجيل متى ٢٥/٣١-٣٤) ، ويقصد بالخراف اليهود المؤمنين والماعز
اليهود غير المؤمنين الذين قضى عليهم بالدمار . وهو ما تنبأت به رؤيا إدريس.
لقد كان عيسى مرسلاً لحث خراف إسرائيل على التمسك بإيمانها (إنجيل متى
٢٤/١٥) حتى مجيء ابن الإنسان الذي سينقذها بصورة نهائية ولم يكن هو

(ابن الإنسان) كما لم تكن له علاقة بالسياسة ولا بالخراف والماعز التي رفضته جميعاً إلا ما قلّ منها .

٣ - قيل إن ابن الإنسان هو (سيد يوم السبت) بمعنى أنه سوف يطل القانون الذي جعل من السبت يوماً محرماً للراحة . في حين أن عيسى التزم بالسبت بدقة . وكان يحضر الصلاة في الهيكل أيام السبت وأمر أتباعه بالدعاء أن لا تكون هزيمة اليهود ودمار القدس في يوم السبت ، فكيف يصح الزعم أنه ابن الإنسان وسيد يوم السبت ، في حين كان يراعي أيام السبت ويحافظ على قدسيتها بدقة كأبي يهودي ؟ وكيف يعقل أن يتخذ لنفسه ذلك اللقب الهام وفي نفس الوقت يتنبأ بدمار الهيكل والقدس ؟

وهناك الكثير من الأمثلة الأخرى التي تؤيد أن عيسى لا يمكن أن يكون قد اتخذ لقب (بارناشا) أو (ابن الإنسان) لنفسه . ولكنه نسب هذا اللقب إلى خاتم الأنبياء والرسل الذي أنقذ (الخراف) أي اليهود المؤمنين وقضى على (الماعز) أي الكفار منهم وألغى يوم السبت وأقام مملكة السلام (الإسلام) .

وفي الحلقة التالية سوف أبين العلامات الخاصة (بابن الإنسان) كما وردت في الرؤى والتي انطبقت حرفياً على آخر الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام .



الفصل العشرون

محمد هو المقصود بلقب " ابن الإنسان "

الذي جاء في الرؤى

رأينا في الفصل السابق استحالة أن يكون عيسى المسيح هو (ابن الإنسان) الذي تنبأت به الرؤى اليهودية وأن عيسى لا يمكن أن يكون قد اتخذ ذلك اللقب لنفسه ، ولو أنه فعل ذلك لجعل من نفسه أضحوكة أمام مستمعيه .

لم يكن أمام عيسى سوى أحد طريقين : أما أن ينكر النبوءات والرؤى المتعلقة بـ (ابن الإنسان) على أنها اختلاق وأساطير ، أو أن يؤكد أنها وينسب ذلك اللقب لنفسه بكل ما يترتب عليه من متطلبات لو كان هو فعلاً ذلك الشخص المنتظر ، أما الادعاء أن (ابن الإنسان) جاء ليخدم لا ليخدم (إنجيل متى ٢٠/٢٨) ، وأن (ابن الإنسان) سوف يُسلم لأحبار اليهود لكي يُحكم عليه بالموت (إنجيل متى ٢٠/١٨) ، وأن ابن الإنسان جاء ليشرب الخمر مع العابثين في الحانات (إنجيل متى ١١/١٩) وأنه كان متسولاً يعيش على صدقات الناس ، كل ذلك كان سيعني الإهانة لأمتة اليهودية والاحتقار لتطلعاتها الدينية . أما التفاخر بأن (ابن الإنسان) جاء لإنقاذ خراف إسرائيل التائهة (إنجيل متى ١٨/١١) ولكنه مضطرب لتأجيل ذلك إلى يوم القيامة ، وحتى في يوم القيامة فإنه سوف يُلقى بهم في النار ، فهذا يعني الإحباط لآمال الشعب اليهودي الذي تشرف وحده حتى ذلك الحين باعتناق الدين الحق كما يعني الاحتقار لأنبيائهم وأصحاب الرؤى منهم .

فهل كان بإمكان عيسى المسيح انتحال ذلك اللقب ؟ وهل كُتِّب الأناجيل الأربعة من اليهود حقاً ؟ وهل يعقل أن يصدق عيسى المسيح ما تزعمه عنه الأناجيل الحالية ؟ وهل يمكن لأي يهودي حقيقي أن يكتب هذه القصص عمداً لنشيط اليهود وإحباط توقعاتهم ؟ من المستحيل أن يكون قد حدث ذلك . كما أنه من المستحيل أن ينتحل عيسى هذا اللقب الفخم بين شعب كان يعرف حق المعرفة صاحب الحقيقي لذلك اللقب . وإن مجرد افتراض عمل من هذا النوع من جانب عيسى المسيح عليه السلام يجعلني أنفض . وكلما تعمقت بهذه الأناجيل ازداد اقتناعي أنها إنتاج غير يهودي وأنها عبارة عن عملية توازن لمضاهاة الرؤى اليهودية وعلى الأخص الكتب السبيلية منها (Sibyllian Books) ولا يمكن أن يكون قد كتبها إلا النصارى اليونان الذين لم يكن لديهم أدنى اهتمام بادعاءات سلالة إبراهيم . إن مؤلف الكتب السبيلية يضع أنبياء اليهود إدريس وسليمان ودانيال وعزير جنباً إلى جنب مع حكماء اليونان هيرمس وهوميروس وأورفيوس وفيثاغورس وغيرهم بغرض الدعاية للديانة اليهودية وقد كتبت هذه الكتب بعد خراب القدس والهيكل وفي الفترة التي نُشرت فيها رؤيا القديس يوحنا . كما أن الغرض من الكتب السبيلية كان التنبؤ أن (ابن الإنسان) العبري^(١) أو المخلص المنتظر سوف يأتي ليهزم الرومان ويقدم الدين الصحيح للعالم .

والآن بإمكاننا التحقق أن صفات وهوية (ابن الإنسان) قد انطبقت على محمد وحده وذلك استناداً على ما جاء في الأناجيل والرؤى معاً وفي تنمة هذا

(١) المقصود بكلمة (عبري) بمعناها العام هو كل ما ينسب إلى سلالة إبراهيم عليه السلام والتي تفرقت فيما بعد إلى بني إسماعيل وبني إسرائيل .

الفصل سوف أبحث البراهين التي وردت في الأناجيل وفي الفصل التالي البراهين الواردة في الرؤى :

الأناجيل :

يلاحظ أنه في العبارات الواضحة والمتماسكة المنسوبة إلى عيسى ينطبق لقب ابن الانسان على محمد وحده دون غيره أما العبارات التي يفترض فيها أن عيسى قد اتخذ ذلك اللقب لنفسه فيلاحظ أنها مفككة عديمة المعنى وفي غاية الغموض كما هي الحال في العبارات التالية مثلاً :

(جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب الخمر وقيل انظروا شارب الخمر صديق أصحاب الخانات والعابثين ...) (إنجيل متى ١١/١٨-١٩) . لقد وصفوا يحيى المعمدان بأنه كان شيطانياً مع أنه لم يشرب الخمر وعاش على الماء والجراد والعسل البري وفي نفس الوقت وصفوا عيسى ابن الإنسان المزعوم الذي شرب النبيذ حسب قولهم بأنه (صديق الخانات والعابثين) فكيف يلومون نبياً على صيامه وعفته ويتهمون رسولاً من الله بالتردد على ولائم الخمارين والعابثين وبأنه مولع بالنبيذ . وهل يستطيع النصارى تحمل رؤية قسيس أو راع للكنيسة يسلك هذا السلوك ؟ قد يقولون أنه يختلط بجميع أنواع الخاطئين بغرض إرشادهم وإصلاحهم ولكن يجب أن يكون متزناً ومعتدلاً في سلوكه وليس شارباً للخمر . ثم يُقال لنا أن عيسى قد هدى اثنين من العشارين (متى ٩/٩ ، لوقا ١٩/١-١١) وعاهرة (إنجيل يوحنا : ٤) واحدة ، ومريم المجدلية التي كان بها مَسٌّ من الشيطان (إنجيل لوقا : ٢/٨) ، في حين كانت اللعنات والشتائم تنهال على رجال الدين والقانون (إنجيل متى ١٣ وغيره) ، إن كل هذا يبدو مربكاً وصعب التصديق ، فلا يعقل أن عيسى المسيح كان مغرماً بالنبيذ وأنه غير سته براميل من الماء إلى نبيذ

قوي لكي يذهب بعقول السكارى في قاعة عرس في قانا (إنجيل يوحنا ٢)
ويتصرف كأفاق ومشعوذ أو ساحر ينفذ أعجوبة أمام جمهور من السكارى ! إن
وصف عيسى بالسكير والنهم وصديق المستهترين والعابثين ثم إعطاءه بعدئذ لقب
(ابن الإنسان) يعتبر إنكاراً لكل الوحي اليهودي .

ويقال أيضاً أن (ابن الإنسان جاء لبيحث عما ضاع ويسترده) (إنجيل لوقا
١٩/١٠) ويفسر المعلقون هذه العبارة تفسيراً روحياً ونحن نقرر أن عيسى أرسل
فقط إلى (خراف إسرائيل الضالة) لإصلاحها وهدايتها ولا سيما لكي يشرها
عن (ابن الإنسان) الذي سيأتي بالسلطة والخلص لإعادة ما فقد وإعادة بناء ما
أصبح خراباً وهزيمة وإبادة أعداء المؤمنين ، ومن الواضح أن عيسى لم يكن
ليستطيع أن يتخذ لنفسه لقب (بارناشا) المذكور في الرؤى ثم يعجز عن إنقاذ
أحد باستثناء (زخيوس) وامرأة سامرية وعدداً قليلاً من اليهود الآخرين بما فيهم
الحواريين الذين قُتل معظمهم فيما بعد . والأرجح أن ما قاله عيسى هو : (إن ابن
الإنسان سوف يأتي لبيحث عما ضاع ويسترده) وقد جاء محمد فاسترد فعلاً ما
كان قد ضاع ، القدس ومكة والأراضي الموعودة وحقيقة الدين الصحيح وسلطة
مملكة الله على الأرض .

ويقال أيضاً أن (ابن الإنسان سوف يُسَلَّم إلى أيدي الرجال) .. إلخ (إنجيل
متى ٢١/١٦) وهذا من جملة الأقوال التي جعلت عيسى موضوع الآلام
والموت .. ولا شك أنها اختلقت من قبل كاتب دجال لا يمكن أن يكون يهودياً
بهدف إقناع اليهود أن عيسى المسيح هو المخلص الظافر المذكور في الرؤى ولكنه
سوف ينتصر يوم القيامة وليس في هذه الحياة الدنيا . تلك كانت الدعاية الخبيثة
التي صيغت خصيصاً لليهود ولكن النصارى اليهود اكتشفوا هذه الحيلة لأنه لا

يوجد شيء أكثر مناقضة لتطلعاتهم من تصوير المخلص الذي ينتظرونه (البرناشا العظيم) على أنه عيسى الذي حكم عليه كبار أحبارهم بالصليب بتهمة إغواء الناس .

ولندرس الحجج التالية التي تبرهن أن عيسى لم يتخذ لقب ابن الإنسان لنفسه:

(أ) تخصص الرؤية اليهودية لقبى (المخلص المنتظر)^(٢) و (ابن الإنسان) لخاتم الأنبياء الذي يهزم قوى الظلام ويقيم مملكة السلام (الإسلام) على الأرض أي أن اللقبين مترادفان . وفي الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد نقرأ أن عيسى نفى أن يكون المخلص المنتظر ومنع تلاميذه أن يقولوا ذلك عندما سأل تلاميذه : (من تظنونني ؟) أجابه سمعان بطرس : أنت مسيح الله فأمرهم أن لا يقولوا ذلك لأحد (إنجيل لوقا ٩/٢٠-٢١ ، إنجيل متى ١٦/٢٠ ، إنجيل مرقس ٨/٣٠) . ويذكر متى إثر ذلك (متى ١٦/١٩) أن عيسى عليه السلام بعد أن لقب بطرس بالصفاء خوّلَه سلطة مفاتيح الجنة والنار في حين أن مرقس ولوقا لم يذكرّا شيئاً عن ذلك أما يوحنا فإنه لم يسجل كلمة واحدة عن هذا الحوار .

ثم ينسبون إلى عيسى القول أن (ابن الإنسان) سوف يُسلم لأعدائه ثم يُقتل فلو صحّ ذلك لكان اعترافاً صريحاً منه بأنه ليس المخلص المنتظر وقيل أن بطرس حذره من تكرار هذا الكلام عن آلامه المقبلة وموته ولكنه وبّخ بطرس بشدة قائلاً : (ارجع خلفي يا شيطان) (متى ١٦/٢٣) ، فكيف يمكن التوفيق بين

(٢) في الكتب اليهودية يطلق لقب Messiah على (المخلص المنتظر) المفترض أن يهزم قوى الشر ويقيم مملكة السلام على الأرض .

مكافأة بطرس بلقب الصفا الرفيع وسلطة مفاتيح الجنة والجحيم ثم إطلاق لقب (شيطان) عليه بعد لحظات .

إن هذين القولين المتناقضين اللذين أوردهما متى على لسان عيسى (أو جرى دسّهما عليه من قبل أحد المحرفين) أحدهما يطل الآخر ففي خلال برهة وجيزة يسمّي بطرس صخرة الإيمان ويخوله مفاتيح الجنة والنار كما تتباهى به الكاثوليكية (متى ١٦/١٨-١٩) ، ثم يسمية شيطان الكفر (متى ١٦/٢٣) كما تصفه البروتستانتية في معرض السخرية ١٩

ولو كان عيسى ابن الإنسان أو المخلص المنتظر كما شاهده وتنبأ به دانيال وعزير وإدريس والأنبياء والأحبار واليهود الآخرون لما منع تلاميذه من إعلان ذلك .

ولو كان هو المخلص المنتظر أو ابن الإنسان لأصاب خصومه بالذعر وهزم ودمر الدولتين العظيمتين : الرومانية والفارسية ولكان جند معه محاربين أشداء أمثال علي وعمر وخالد وغيرهم كما فعل محمد ، وليس من أمثال زبدي ويونس اللذين اختفيا عندما قدّمت الشرطة الرومانية للقبض عليه .

إنه لا يمكن أن يكون هنالك (ابنان للإنسان) أحدهما يخوض الحروب المظفرة ويجتثُ الوثنية وممالكها والآخر راهب من المساكين يزعمون أنه استشهد بصورة مزرية على يد الرومان الوثنيين والأحبار اليهود الذين لم يصدقوه .

إن (ابن الإنسان) الذي رآه النبي حزقيال (ذو الكفل) تحت أجنحة الملائكة (سفر حزقيال ، الفصل الثاني) ورآه النبي دانيال أمام عرش الله تعالى (سفر دانيال الفصل السابع) لم يكن ليعلق على الصليب كما زعموا ولكنه حوّل

عروش الملوك الكفرة إلى صليبان لهم ، وحول قصورهم إلى مقابر . إن محمد وليس عيسى هو الذي حصل على لقب (ابن الإنسان) فالحقائق أبلغ من الأوهام والمعاذير .

(ب) يطلق عيسى على (ابن الإنسان) لقب (سيد يوم السبت) (إنجيل متى ٨/١٢) وهذا أمر يلفت النظر لأن شريعة موسى ركزت على قداسة اليوم السابع ، فقد أتم الله عملية الخلق في ستة أيام وزعموا أنه استراح في اليوم السابع وقد أوجبوا الراحة الإلزامية يوم السبت على كل رجل وامرأة وطفل وعبد وحتى الحيوانات تحت طائلة عقوبة الموت بحجة أن الوصية الرابعة من الوصايا العشر تقول (تذكروا يوم السبت وقدسوه) (سفر الخروج ٨/٢٠) ويدعي طلبة التوراة أن الله كان غيوراً كما يزعمون حول مراعاة يوم الراحة وهناك احتمال قوي أن السبت اليهودي جاء في الأصل من (السباتو) " Sabattu " البابلي .

وقد دحض القرآن الكريم ادعاء اليهود أن الله سبحانه وتعالى عمل ستة أيام ثم تعب كما يتعب البشر وذلك في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ (سورة الأعراف الآية ٥٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (سورة ق ، الآية ٣٨) .

لقد طغى في تفكيرهم المادي عن يوم السبت فبدلاً من جعله يوم راحة وراحة وراحة حولوه إلى يوم من الحرمان والحبس والملل فمنعوا فيه الطبخ والخروج

والإحسان وتقديم الصدقات وكان أقل خرق لذلك يعاقب عليه بالرجم أو القتل وزعموا أن موسى حكم بالرجم على مسكين التقط عصياً من الأرض يوم السبت كما أنهم وبخوا بعض الحواريين لحصدهم القمح يوم السبت رغم جوعهم . ومن المفارقات أن رجال الدين في الهيكل كانوا يخبزون الخبز ويقدمون التضحيات في يوم السبت ولكنهم وبّخوا المسيح لأنه شفى بمعجزة رجلاً فقد ذراعه يوم السبت (إنجيل متى ١٢/١٠-١٣) ، وقد أجابهم المسيح بأن السبت وجد لفائدة البشر وليس البشر لفائدة السبت . إن عيسى المسيح لم يتقيد بالتفسير الحرفي للتعليمات المشددة القاسية حول السبت متوخياً الرحمة والعطف وليس الشدة ومع ذلك فلم يفكر في إلغاء السبت ولم يكن في وسعه أن يغامر بذلك إذ لو فعل ذلك واستبدل يوماً آخر به لَهَجَرَهُ أتباعه ولهاجمه الجمهور ورجموه . يقول المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس ويوزبيوس وآخرون أن جيمس — الأخ المزعوم لعيسى — كان إبيونايتياً " Ibrionite " متشدداً وقد تزعم النصارى اليهود الذين تقيدوا بشريعة موسى وبالسبت بكل ما فيه من مظاهر ، ثم تدريجياً استبدله النصارى الهلينيون بـ (يوم الرب) أي يوم الأحد ولكن الكنائس الشرقية ظلت تراعي يومي السبت والأحد معاً حتى القرن الرابع .

فلو كان عيسى (سيد يوم السبت) لكان عليه أن يعدل من قانونه الصارم أو يلغيه كلية ولكنه لم يفعل ، وقد فهم اليهود جيداً من كلامه أن المخلص المنتظر هو سيد السبت وهذا هو السبب في سكوتهم وهنا كما في أماكن أخرى يوجد حذف متعمد في الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد حيث حذفوا بعض مواعظ عيسى عن ابن الإنسان مما سبب الغموض والتناقض وسوء

الفهم. وما لم نتخذ القرآن الكريم مرشداً ونعترف بمحمد على أنه النبي الذي هدفت إليه الكتب المقدسة فإن جميع المحاولات للوصول إلى الحقيقة أو إلى استنتاج معقول ستنتهي بالفشل .

قرأت مؤخراً مؤلفات العالم الفرنسي (أرنست رينان) عن (حياة عيسى المسيح والقديس بولس والدجال) وذهلت لكمية المراجع القديمة والحديثة التي اعتمد عليها حتى ذكرني بجيبون Gibbon وأمثاله ومع ذلك ماذا كانت نتيجة أبحاثه وأبحاث غيره ؟ صفراً أو سلباً . إنهم بهذه الكتابات يشوهون المعتقدات ويسمّمون العواطف الدينية ولو أنهم استرشدوا بروح القرآن لوجدوا أن محمد هو المصداق الحرفي والواقعي للكتب المقدسة . إن المتدينين يريدون ديناً حقيقياً عملياً وليس كلاماً نظرياً ، يريدون ابن الإنسان القوي الذي يقضي على أعداء الله ويبرهن فعلاً أنه (سيد يوم السبت) فيلغيه لأن اليهود أساءوا استعماله كما أساء النصارى استعمال عبارة (أبوة الله) وهذا ما فعله محمد بالضبط . وقد كررت مراراً أنه لا يمكن فهم هذه الكتب الدينية المحرفة إلا عندما نحصن أقوالها الغامضة والمتناقضة على ضوء القرآن وبه فقط نميز الحقيقي منها عن المزيف . فمثلاً عندما نقرأ عن الرهبان الذين أحلّوا السبت في الهيكل يُنسب إلى عيسى قوله : (أقول لكم ها هنا الشخص الذي هو أعظم من الهيكل) (إنجيل متى ١٢/٦) فلا أجد تفسيراً لعبارة (ها هنا) إلا لو كانت (سوف يكون ها هنا) لأنه لو تجرأ عيسى أو أي نبي قبله فأعلن أنه أعظم من الهيكل لهاجمه اليهود فوراً بتهمة الكفر ما لم يكن حقاً (ابن الإنسان) الذي أعطي السلطان والقوة كما كان رسول الله محمد .

وقد ألغى القرآن الكريم عطلة السبت في الآية (٩) من سورة الجمعة وقد كان العرب قبل ذلك يدعون يوم الجمعة (بالعروبة) وفي نسخة بشيتا السريانية نجد كلمة (عَرُوبًا) من الكلمة الآرامية (عَرَبٌ) بمعنى غَرَب (من غروب الشمس) لأنه بعد غروب الشمس يوم الجمعة يبدأ السبت الذي اقتبست قداسته من شريعة موسى . أما سبب اختيار الجمعة فذو مغزى مزدوج : -

أولاً : في يوم الجمعة اكتملت عملية الخلق العظيمة لهذا الكون وكان هذا أول حدث يقطع السرمدية ويبرز الزمان والمكان والمادة إلى حيّز الوجود فوجب إحياء الذكرى بهذا الحدث المعجز وإضفاء القداسة عليه .

ثانياً : إن المؤمنين يتجمعون فيه فسمي (الجمعة) لأنه يوم الجماعة .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ .. ﴾ (سورة الجمعة الآية ٩) .

أما بعد انتهاء الصلاة الجامعة فلا شيء يمنع استمرار المؤمنين في أعمالهم كالمعتاد .

ج - لقد سبق أن شرحنا عبارة متى (إنجيل متى ١٨/١١) التي تنص أن مهمة (ابن الإنسان) هي استرداد ما ضاع ، أما تلك الأشياء التي ضاعت والمفترض أن يستردها ابن الإنسان فهي على نوعين : دينية وقومية :

١ - إعادة دين إبراهيم الصحيح بتنقيته من المعتقدات الدخيلة والانحرافات وإعادة طابعه العالمي وإعادة جميع الشعوب والقبائل التي انحدرت من سلالة إبراهيم إلى دين السلام الذي هو (دينا سلاما) أو (دين الإسلام) . لقد كان دين موسى قومياً خاصاً باليهود كما كان عيسى المسيح يهودياً ولم يكن مطلوباً منه

إنجاز مثل هذا العمل الضخم فهو يقول : (لا تظنوا أنني جئت لأنقض القانون أو الأنبياء) (إنجيل متى ١٧/٥ - ١٩) . ومن ناحية أخرى كان لابد من محور الوثنية والخرافات والشعوذة التي انتشرت بين العرب وإعادة عقيدة التوحيد تحت راية (لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) .

٢ - توحيد الأمم المنحدرة من سلالة إبراهيم وتحريرها من الأفكار الفاسدة العنصرية التي تتضمنها الكتب المقدسة مثل التعصّب العنصري ضد غير اليهود ، فاليهود يحتقرون الأبناء الآخرين لجدهم العظيم إبراهيم من سلالة إسماعيل والآدوميين Edomites وبقية القبائل الإبراهيمية وقد استمر ذلك حتى عندما أصبح بنو إسرائيل أسوأ الوثنيين والكفرة . وإن ما ورد في سفر التكوين أنه بالإضافة إلى ختان إبراهيم وإسماعيل فقد تم ختان ثلاثمائة وأحد عشر من جنوده وعبيده الذكور يعتبر حجة دامغة ضد تعصّب اليهود تجاه الشعوب الأخرى من أبناء عموماتهم . إن مملكة داود لم تكد تغطي في زمانها مساحة ولايتين صغيرتين من ولايات الدولة العثمانية ، وإن (ابن داود) المخلص الأخير الذي لا يزال اليهود ينتظرونه قد لا يكون قادراً على احتلال حتى هاتين الولايتين عدا عن أن المقصود من مجيئه كان القضاء على الإمبراطورية الرومانية التي سُحِقَتْ على يد مُحَمَّد فماذا يريدون غير ذلك ؟ لقد أسس مُحَمَّد (ابن الإنسان المنتظر) مملكة السلام (الإسلام) التي دخل فيها طوعية أكثرية اليهود في شبه جزيرة العرب والشام والعراق وغيرها كما أسس أخوة شاملة نواتها أسرة إبراهيم ومن أعضائها العرب والفرس والأتراك والأكراد والبربر والصين والزنوج والجاويين والهنود والإنجليز . إلخ . فشكّلوا (أمة واحدة) (أمثا - دا - شلاما) بالسريانية أي الأمة الإسلامية .

٣ - استرداد الأراضي الموعودة بما في ذلك أرض كنعان وجميع الأراضي من النيل إلى الفرات وامتداد مملكة الله من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي ، كل ذلك ما هو إلا تحقق فعلي ومدهش لجميع النبوءات عن سيد الأنبياء والبشر .



الفصل الواحد والعشرون

ابن الإنسان بحسب الرؤى اليهودية

من الأبحاث السابقة تبين لنا أن لقب (برناشا) أو (ابن الإنسان) ليس كلقب المسيح الذي كان ينطبق على كل نبي وكاهن وملك ممسوح بالزيت وإنما هو (اسم علم) يختص بخاتم الأنبياء فقط وقد وصف المتصوفون وأصحاب أسفار الرؤى من اليهود (ابن الإنسان) على أنه الرسول الذي سوف يأتي في الوقت المناسب لينقذ بني إسرائيل والقدس من الوثنية والاضطهاد وينشئ المملكة الدائمة لعباد الله المخلصين . لقد رأى فيه المتصوفون المخلص القوي ذا الإلهام والقوة والمجد ولم يسبق لأي نبي أو متصوف قط أن ادعى أنه (ابن الإنسان) أو أنه سوف (يعود ثانية في اليوم الآخر ليحكم بين الأحياء والأموات) . إن الجمع المسكوني في نيقية (٣٢٥ م) وحده هو الذي نسب ذلك الادعاء المزعوم إلى عيسى المسيح .

وقد تكرر استعمال هذا اللقب على لسان المبشرين الأوائل مما يدل على معرفتهم الأكيدة بالرؤى اليهودية Apocalypses واعتقادهم الراسخ بمصداقيتها وقد استلهموا . ومن البديهي أن الرؤى التي حملت أسماء إدريس ، وموسى ، وباروخ ، وعزير قد كُتبت قبل الأناجيل بزمانٍ طويل ، وأن مؤلفي الأناجيل بعد ذلك استعاروا لقب (ابن الإنسان) من تلك الرؤى مما يفسر تكرار ورود اللقب في الأناجيل الحالية .

ولا شك أن عيسى المسيح كان يعلم أن (ابن الإنسان) هو شخص غيره لأنه كان يعرف تمام المعرفة طبيعة ابن الإنسان والإنجازات التي عليه تحقيقها حسب تنبؤات أصحاب الرؤى الذين كان عيسى يعتبرهم من ذوي الإلهام . ولو أن عيسى اعتقد أنه (ابن الإنسان) حقاً لوقع في تناقض ضخم ووهم أضخم مما يؤدي بنا إلى نتيجة ليست في صالح نبي معصوم ، وإن الطريق الوحيد لتبرئة المسيح من ذلك هو أن ننظر إليه كما وصفه وشرّفه القرآن . وعليه فإننا ننسب جميع الأقوال المتناقضة المنسوبة إليه في الأناجيل إلى مؤلفي الأناجيل أنفسهم أو الذين حرفوها بعدهم .

وقبل أن نستمر في دراسة موضوع (ابن الإنسان) كما صورته أسفار الرؤى اليهودية يجب أخذ الحقائق التالية بعين الاعتبار :

أولاً : إن أسفار الرؤى ليست من ضمن الكتاب اليهودي المقدس وليست حتى من ضمن الكتب الأبوكريفية (الأسطورية) التي تسمى (Deutro-Canonical) ضمن كتب العهد القديم .

ثانياً : أن مؤلفي تلك الأسفار غير معروفين رغم أنها تحمل أسماء : إدريس وموسى وباروخ وعزير . ويبدو أن مؤلفيها الحقيقيين كانوا على علم بالخراب النهائي للقدس وتشّتت اليهود تحت حكم الرومان . ويحتمل أن انتحال أسماء قدامى الأنبياء بهذه الأسفار كان منبثقاً من عواطف وتوجهات دينية معينة . وشبيه بذلك ما كتبه (أفلاطون) على لسان أستاذه سقراط .

ثالثاً : ورد على لسان كبير الأخبار (بول هاجونوار)^(٣) ما يلي :

(٣) Paul Haguenaer, Manuel de Litterature Juive. Nancy ١٩٢٧ .

احتوت هذه الأسفار على أفكار جدلية غامضة غيبية حاولت تفسير أسرار الطبيعة وأصل الإله ومشكلات الخير والشر والسعادة والعدالة والماضي والحاضر . ونسبت ذلك إلى الوحي على لسان الأنبياء من أمثال إدريس وموسى وباروخ وعزير . ومن الواضح أنها من نتاج عهود الكوارث اليهودية المؤلمة وعليه فإنه لا يمكن فهمها أكثر مما يمكن فهم سفر الرؤيا الذي يحمل اسم القديس يوحنا .

رابعاً : لقد حرف المسيحيون أسفار الرؤى ففي سفر إدريس نجد أن (ابن الإنسان) يدعي أيضاً (ابن المرأة) وتارة يدعي (ابن الله) ، مما يعتبر تحريفاً باتجاه نظرية الكنيسة حول تجسيد الإله . إذ يستحيل على أي يهودي أن يكتب أو أن يخطر على ذهنه عبارة (ابن الله) .

خامساً : يلاحظ أن الاعتقاد بمجيء المخلص الأخير ليس إلا تطويراً متأخراً للنبوءات القديمة عن آخر أنبياء الله الذي بشر به يعقوب وأنبياء آخرون ، ولم يرد الادعاء بأن هذا " المخلص الأخير " سوف يأتي من نسل داود إلا في الكتب الأبوكريفية المشكوك بصحتها وفي أسفار الرؤى اليهودية ومخطوطات الحاخاميين . صحيح أن هناك تنبؤات أخرى حصلت بعد الأسر البابلي وبعد نفي القبائل العشر إلى بلاد الآشوريين ، حول (ابن داود) الذي سيأتي كسي يجمع شتات إسرائيل ولكن هذه التنبؤات لم تتحقق إلا جزئياً وبشكل محدود على زمن (زوربابل) وهو من نسل الملك داود . ثم أنه بعد غزو الإسكندر المقدوني كانت تتكرر تلك التنبؤات ، ورغم ادعاءات البعض فإن هذه النبوءات لم تتحقق في شخص يهوذا المكابي الذي حارب بنجاح ضئيل لا

يكاد يُذكر ضد أنطيوخوس أبيفانس أحد خلفاء الإسكندر (١٦٧ ق.م) وكان نجاحه مؤقتاً غير ذي قيمة .

إن أسفار الرؤى التي تمتد رؤاها إلى حقبة ما بعد خراب القدس على يد الإمبراطور الروماني تيطوس (٧٠ م) تنبأت بأن (ابن الإنسان) سوف يظهر بسلطة عظيمة لدحر السلطة الرومانية وأعداء إسرائيل الآخرين . وقد انقضت قرون عديدة من الزمن قبل هزيمة إمبراطورية روما في القرن الخامس للميلاد بواسطة الإمبراطور التيكي (أتيل) الوثني ، ثم انهيار إمبراطورية بيزنطة على يد المسلم التركي السلطان محمد الفاتح في القرن الخامس عشر ، ولكن السلطة الرومانية كانت قد اندحرت قبل ذلك ذلك بكثير من الأراضي الموعودة لإسماعيل على يد خاتم الأنبياء محمد المصطفى .

وهكذا لم يعد هنالك من مبرر عند اليهود لانتظار مخلص آخر فلو كنتُ يهودياً متحمساً لراجعت هذا الأمل عن مجيء المخلص المنتظر وحتى لو ظهر (ابن داود) على تل صهيون وادعى بأنه المخلص المنتظر فسأكون أول من يقول له لقد تأخرت كثيراً فلا تفسد التوازن في فلسطين ولا تسفك الدماء لأن أي نجاح قد تحققه لن يتعدى النجاح الذي حققه أجداده داود ، وزوربابل ، ويهوذا المكابي . إن الفاتح اليهودي الكبير لم يكن داود بل جاء قبله بكثير وهو (يوشع بن نون) أو يوشع إذ كان هو المسيح الأول الذي بدلاً من أن يحاول هداية القبائل الوثنية الكنعانية التي أبدت مُنتهى الكرم والطيبة تجاه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فإنه أعمل فيها المذابح دون شفقة ولا رحمة . لقد كان يوشع هذا مسيح ذلك الزمن مثلما كان كل قاضٍ وملك يهودي خلال حوالي ثلاثة قرون يدّعي أنه المسيح

والمخلص . لقد كانوا يتنبأون بظهور مخلص جديد كلما حلت بهم كارثة كبرى
وكالعادة فإن الخلاص بعد الكارثة كان دوماً محدوداً وغير كافٍ .

أما النصارى الذين يدعون أن عيسى هو (ابن الإنسان) فيأني أقول لهم : لو
كان عيسى هو المخلص المنتظر لبني إسرائيل لكان حرر اليهود من النير الروماني
سواء صدّقه اليهود أم لم يُصدقون ، فالخلاص يأتي أولاً والعرفان بالجميل والولاء
ثانياً وليس العكس . لقد كان اليهود بحاجة ماسّة إلى بطل يحررهم ولم يكونوا
بحاجة إلى نبي يجترح المعجزات والخوارق فكل تاريخهم كان منسوجاً بالعجائب
والمعجزات التي لم تزدتهم إيماناً ، لقد رفض اليهود عيسى المسيح ليس فقط لأنه لم
يكن (ابن الإنسان) المذكور في الرؤى أو لأنه لم يكن هو المسيح أو لأنه لم يكن
نبياً فقد كانوا يعلمون جيداً أنه لم يكن (ابن الإنسان) وهو نفسه لم يدّع ذلك
وكانوا يعلمون أنه كان نبياً حقاً ولكنهم رفضوه لأنه صرح ان المخلص المنتظر لن
يكون ابناً لداود ولكن سيداً له وقد ورد ذلك في أناجيل متى ومرقس ولوقا (متى
٢٢/٤٤-٤٦) و (مرقس ١٢/٣٥-٣٧) و (لوقا ٢٠/٤١-٤٤) كما ورد
في إنجيل برنابا على لسان عيسى أنه سوف يتم الوفاء بالعهد على يد (شايلاه)
أي رسول الله المنحدر من نسل إسماعيل ، ولهذا السبب يصف التلموديون عيسى
بأنه (بلعام الثاني) أي أنه النبي الذي تنبأ لمصلحة الوثنيين على حساب شعب الله
المختار كما يدّعون . وهكذا فإن تقبّل اليهود لعيسى أو رفضهم له لم يكن له
علاقة بطبيعة رسالته . ولو كان هو المخلص الأخير لكان أخضع اليهود لسلطانه
وقهر السلطة الرومانية كما فعل محمد . وسوف أبيّن الآن أن (ابن الإنسان)
المذكور في أسفار الرؤى لم يكن أحداً غير محمد المصطفى .

١ - إن الوصف الرائع الذي تضمنته رؤيا النبي دانيال (سفر دانيال ، الفصل ٧) يجعل من المستحيل أن تنطبق أوصاف البرناشا (ابن الإنسان) على أحد من أبطال المكابيين أو على عيسى المسيح . وإن الوحش الفظيع الذي قهره (ابن الإنسان) في رؤيا دانيال لا يمكن أن يكون رمزاً لخليفة الإسكندر أنطيوخوس أيفانس ولا نيرون قيصر روما . لقد بلغ الشر ذروته في ذلك الوحش الفظيع بأن نطق بالكفر بالله تعالى يجعله ثلاثة آلهة بدلاً من إله واحد وكذلك باضطهاده المؤمنين الذين ثبتوا على الوحداينة ، إن الوحش لم يكن سوى قسطنطين الكبير الذي ادعى النصرانية ورعى المجمع المسكوني الأول في نيقية عام ٣٢٥ م .

٢ - تنبأ سفر إدريس (كما ذكرنا في فصل سابق) بظهور (ابن الإنسان) عندما تهاجم طيور جارحة ووحوش مفترسة قطعاً صغيراً من الغنم يدافع عنه كبش كبير وعندما يظهر (ابن الإنسان) فإنه يهزم العدو ويطرد قوى الشر من طيور جارحة ووحوش ضارية ، ثم يُسَلَّم السيف (رمز السلطة والقوة) إلى القطيع الذي يرأسه بعد ذلك ثور أبيض له قرنان أسودان بدلاً من الكبش .

هذه الرؤيا بالطبع رمزية فمنذ أيام يعقوب كان يرمز إلى (الشعب المختار) بقطيع الغنم ، أما أحفاد (عيص) فقد وُصفوا بأنهم خنازير بريّة ، وأما الوثنيين والكفار فهم الغربان والنسور والوحوش المفترسة ومن الغريب أن معظم مفسري الكتاب اليهودي المقدس يظنون أن هذه الرؤيا تُشير إلى صراع المكابيين ضدّ جيوش أنطيوخوس أيفانس (١٦٧ ق.م) والذي استمر حتى موت حنا هوركانوس (١١٠ ق.م) لكن هذا التفسير خاطيء تماماً ومن شأنه أن يجعل هذه الرؤيا غير ذات معنى . فمن غير المعقول أن يقوم إدريس (وهو نبي ما قبل

الطوفان) بسرد تاريخ البشرية ابتداء من آدم ثم ينتهي بـ (حنا هوركانوس) أو أخيه (يهودا المكابي) المرموز إليه بالثور الأبيض حسب زعم المفسرين ، لأنه بعد ذلك بقيت جماعة المؤمنين (قطع الغنم) فريسة للرومان والنصارى والوثنيين . ذلك أن حروب المكابيين ونتائجها كانت تافهة ولم تحسم الصراع بين الإيمان والكفر والوثنية كما أنه لم يظهر بين المكابيين نبي يؤسس الحكم المسيحاني الذي تسميه الأناجيل (مملكة الرب) . وعلاوة على ذلك فإن هذا التفسير لا يتمشى مع الشخصيات الرمزية لأحداث الرؤيا مثل قائد القطيع الذي يحمل في يده الصولجان ، والكبش والثور الأبيض .

أضف إلى ذلك أن الشرح النصراني لرؤيا إدريس لا يفسر مغزى التحول عن القدس إلى جهة أخرى شطر الجنوب أي بيت الله العتيق في مكة ، والذي اتجهت إليه ليس فقط الخراف المؤمنة بل ومختلف القبائل والشعوب الوثنية التي اعتنقت ديانة (ابن الإنسان) قاهر الوثنية والكفر .

والواقع أن رؤيا إدريس ربطت تسلسل الأحداث بصورة مجازية ابتداء من آدم وانتهاء بشخصية نبي مكة . وهناك العديد من الحجج التي تثبت ذلك .

(أ) إن قطع الخراف بقسميه كان يرمز إلى أهل الكتاب ، يهوداً كانوا أو نصارى من المؤمنين بوحدانية الله من جهة ، والذين أشركوا معه المسيح والروح القدس من جهة أخرى . وتقول الأناجيل أنه في يوم القيامة سوف يتم فرز الغنم عن الماعز أي المؤمنين عن الكفار (إنجيل متى ٢٥/٣٢-٤٦) مما يؤكد هذا الرأي . أما الكبش الوارد في الرؤيا فيحتمل أنه يرمز إلى أريوس أو بعض القادة الموحدين من النصارى الصادقين أو الحاخام الأكبر لليهود المؤمنين الذين واجهوا عدواً مشتركاً . وطالما عرفنا قسطنطين بالقرن الشرير فإننا

نستطيع تعريف (اريوس) بالكبش لأنه ترأس مجموعة الموحّدين المجلس المسكوني في نيقية (٣٢٥ م) ودافع بشدة عن الدين الصحيح ضد عقيدة التثليث الفظيعة . أما صفة (الشعب المختار) فقد زالت عن بني إسرائيل عندما كفروا برسالة عيسى المسيح وصار المؤمنون برسالته ورسالة خاتم الأنبياء هم الشعب المختار .

(ب) لقد أنقذ (ابن الإنسان) قطع الغنم من أعدائه ثم أعطى الغنم الصولجان الذي يقال له " شبت " في العبرية وهو شعار السلطة والتشريع أما ذلك الصولجان الصغير الذي منحه الله إلى عشيرة يهودا فقد أخذ منهم وأعطى رسول الله (شيلوه) صولجاناً أكبر وأشدّ بطشاً عوضاً عنه (سفر التكوين ١٠/٤٩) ومن الرائع والمدهش حقاً كيف تحققت الرؤيا عندما أصبح صولجان محمد شعاراً للسلطة الإسلامية في الجزيرة العربية وجميع الأراضي الموعودة التي كان فيها شعب الله محل اضطهاد قوى الوثنية : فارس والإغريق والرومان .

(ج) كانت الرؤى ترمز إلى جميع الأنبياء حتى إسماعيل بالثيران البيضاء ، ولكن من يعقوب فما بعده صارت الكباش هي الرمز لأن الديانة العالمية تقلصت فأصبحت ديانة قومية يهودية وهنا أيضاً تحققت رؤيا عجيبة فالثيران البيضاء التي رمزت إلى كبار زعماء الديانة العالمية القديمة رمزت أيضاً إلى الخلفاء المسلمين مع فارق واحد تميزوا به إذ كان يرمز إليهم بثيران بيضاء ذات قرون سوداء تمثل شعار السلطة المزدوجة الروحانية والدينية . فالخليفة ذو السلطتين الروحية والدينية كان يتبعه المؤمنون من كافة السلالات والشعوب واللغات وقد بينت الرؤيا بوضوح أن المرتدين والكفار سوف يدخلون في

القطيع وبالفعل دخل في الإسلام آلاف اليهود والنصارى والصابئين والملايين من العرب والشعوب الوثنية الأخرى ومن المفارقات الجديرة بالذكر في هذه المناسبة أن الدماء التي أريقَت في معارك بدرٍ وأُحُد والغزوات الأخرى التي قادها محمد شخصياً لم تكن شيئاً بالمقارنة مع الدم الذي أراقه (يوشع) في حروبه كما لم تقع ولم تسجل حادثة قسوة واحدة من قبل رسول الله الذي كان رؤوفاً رحيماً متسامحاً ولهذا السبب كان وحده من بين بني البشر الذي رمزت إليه الرؤى بأنه (ابن الإنسان) أي كمثل الإنسان الأول (آدم) قبل خطيئته .

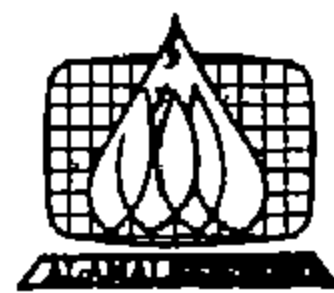
(د) أسس (ابن الإنسان) مملكة السلام كما أسس العاصمة الروحية لها التي لم تعد القدس القديمة بل القدس الجديدة وقد وصفت لنا الرؤى بشكل عجيب كيف سترفع القدس من أرضها وتزرع في بلاد جنوية . فما أروع تلك المنجزات التي تمت بوساطة خاتم الأنبياء . إن القدس الجديدة لم تكن إلا مكة التي تقع جنوباً والمرتفعان اللذان تضمّهما وهما : (المروة) و (الصفا) يحملان نفس الاسمين (موريا) و (زيون) للمرتفعين في القدس ولهما نفس المعنى وهكذا صارت مكة القبلة التي يتجه إليها المسلمون في صلاتهم وحجّهم كما أنه تحقيقاً لرؤيا إدريس فقد أعاد الخليفة الثاني عمر بناء المسجد الأقصى على جبل موريا (المروة) مكان مسجد سليمان . كل هذا يُثبت بمنتهى الروعة أن تلك الرؤيا كانت إلهاماً إلهياً عن الأحداث الإسلامية التي سوف تتحقق في المستقبل البعيد ، فهل استطاعت روما أو بيزنطة أن تدعي أنها هي القدس الجديدة ؟ وهل يستطيع " البابا " أو أي " بطريك " آخر أن يدعي بأنه هو الثور الأبيض ذو القرنين الكبيرين الذي جاء وصفه في الرؤى ؟

وهل تستطيع النصرانية أن تدعي بأنها مملكة السلام في الوقت الذي تجعل المسيح والروح القدس جوهراً واحداً متماثلاً مع الإله الواحد الأحد ؟ قطعاً لا لأن الإسلام هو مملكة السلام (شالوم) .

(هـ) في فصول الرؤيا التي تبحث موضوع (مملكة السلام) يُدعى المسيح (ابن الإنسان) ولكن عند وصف (يوم القيامة) فهو يدعى (ابن المرأة) و (ابن الله) وقد جعلوه يشاطر الله سبحانه وتعالى إصدار الأحكام على عباده يوم الحساب . وقد أقرّ جمهور العلماء أن هذه الأفكار السخيفة المغالية ليست من أصل يهودي ولكنها مخترعات وإضافات مسيحية .

أما أسفار الرؤى الأخرى ، المنسوبة إلى (موسى ، وباروخ ، وعزير ، واليوبيليين ، والأوراكيولا سيبيليانا) فيجب أن تُدرس أيضاً بموضوعية لأنه عندئذٍ فقط يمكن أن تفهم ويثبت تحققها في محمد وفي دين الإسلام فقط .





جدول الخطأ والصواب

ص	السطر	الخطأ	الصواب
١١	٩	امتدأت	امتلات
٢٠	٩	الاشخاص اللا لوهية	الاشخاص في اللا لوهية
٤٣	١٧	قضية هامة يبت فيها	قضية هامة كان يبت فيها
٤٥	١٢	يطرح	تطرح
٤٧	٢٠	الجديد	الجيد
٥٠	١٥	البكورية	بكورية
٦١	١١ و ١٣	نيقة	نيقية
٧٤	١٤	وزجته	وزوجته
٨١	١٠	أودن	أدون
٨٦	١٠	أما رسول	أمام رسول
٨٨	٩	بماء	بالماء
٩٢	٢	اليهود واحد الأخرى	اليهود الأخرى
١٠١	٣	يفسح	يفسح
١١٢	١٤	ذو قلوب	ذو قلوب
١١٥	٥	Vona	Bona
١١٥	٥	Volgate	Vulgate
١٢٠	٧	عملاء الأدب	علماء الأدب
١٢٦	٢	أو	إيفذوكيا أو
١٣٢	٦	الآية ٣٩ آل عمران بدون نجمة في الوسط	الآية ٣٩ آل عمران بدون نجمة في الوسط
١٤٧	٥	الصدوقيين	السدوقيين
١٥٠	٧	المقدس	القدس
١٥٤	٦	أي المعمودية	أي أن المعمودية
١٦٧	٣-١١-١٣	فليون	فيلون
١٦٧	١٤	اكتشف	اكتشف
١٧٦	٥	محاما	محاميا
١٧٨	٤	الاجنية	الاجنبية
١٧٨	٦	محاما	محاميا
١٧٩	١٠	انه اسما	انه كان اسما
١٨٠	١٠	لم تكن بالأساطير	لم تكن تؤمن بالأساطير
١٨٩	٨	يلقي	يلقي
١٩٣	٩	المخلص والمنتظر	المخلص المنتظر
١٩٣	١٥	ابن الإنسان وللمخلص	ابن الإنسان والمخلص
١٩٣	٣	عُرف	عُرف
٢٠١	٦	ثم يسميه	ثم يسميه
٢١١	٦	الامبراطور التيكي	الإمبراطور التركي
١٤٢	٩	أودن	أدون



دار أبو القاسم للنشر والتوزيع

جدة - شارع الصحافة - أمام نادي الإتحاد الرياضي

هاتف ٠٢/٦٧١٤٧٩٣ - فاكس ٠٢/٦٧٢٥٥٢٣

ص.ب ٦١٥٦ - جدة ٢١٤٤٢

Bibliotheca Alexandrina



0962045



الأمم المتحدة - جدة - المدينة الصناعية - ١١٦٢٢٢٢٢